الوابل الصيب

من الكلم الطيب

تأليف

الإمام شمس الدين ابن قيم الجوزية

أشرف على تحقيقه وقدم له

فضيلة الشيخ

مصطفى بن العدوي

خرج أحاديثه وعلق عليه

أبو محمد يحيى بن محمد سوس الأزهري

دار ابن رجب

الطبعة الأولى

١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م

دار ابن رجب
طبع. نشر. توزيع

فارسكور : تليفاكس ٠٠٢٠٥٧٤٤١٥٥٠ جوال : ٠١٢٣٨٣٠٣٥
المنصورة : شارع جمال الدين الأفغاني هاتف : ٠٠٢٠٥٠٢٣١٢٠٦٨

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

مقدمة المحقق

الحمد لله الذي ذكر عباده قبل إيجادهم فقدَّر ذلك لهم، وجعله عنده في كتاب، ثم ذكرهم بعد إيجادهم فوالى عليهم نعمه. وذكرهم بعد معصيتهم بتوبته، فلو لم يتب عليهم قبل توبتهم ما تاب منهم أحد. وذكرهم على ألسنة رسله بذلك ليذكروه حمدًا له وشكرًا. .٠ فأقرت نفوس الطيبين بإحسانه لهم من غير استحقاق منهم، فأوجد ذلك في قلوبهم حبًا له عجزت ألسنتهم عن تبيان مقداره، فهترت ألسنتهم بذكره، فأغناهم ذكره عن ذكر غيره، وأخلف ذكره في قلوبهم حبًا له فوق ما كان، حبًا بلغ الشغاف، ومزق الحشا. فكافأهم ربهم على ذكرهم له ذكرًا منه خيرًا لهم من ذكرهم، وأعلمهم بذلك على لسان نبيهم فيما بلغهم عن ربهم: **«مَنْ ذَكَرني في نَفْسِه ذَكَرتُه في نَفْسِي، وَمَنْ ذَكَرني فِي مَلإٍ ذَكرتُه فِي مَلإٍ خَيرٍ مِنْهُم»**.

فأنتجت معرفتهم بذلك ويقينهم به شوق قلوبهم إلى لقاء ربهم، وفرحًا في نفوسهم فوق فرحهم، ولذةً بذكرهم لربهم سلبتهم من بين الناس وهم فيهم، فرفعتهم إلى جنة الفردوس من قبل موتهم، فعبّرت ألسنتهم عن مكنون قلوبهم بلفظ تعذَّر على المطرودين تعقله لسواد قلوبهم. وما بلغت كلمات المحبين حقيقة الأمر يردد أحدهم: جنتي في قلبي أنَّى رحت فهي معي. ويردد غيره: إنه لتمر بالقلب أوقات أقول فيها: لو أن أهل الجنة في مثل ذلك إنهم لفي عيش طيب.

والصلاة والسلام على سيد الذاكرين لربه، فملأ حبُّ ربه وذكره قلبه، واحتل سويداءه، فلم يتلذذ بغير ذكر ربه، فعبّر عما به بلوغ أقصى لذته بقوله ﷺ: **«وجُعِلَت قُرةُ عَيْنِي في الصَّلاةِ»**.

فبلغ بذكره لربه أقصى المنى وغاية الطلب. ووالى الله عليه ذكره بنعمه، فقربه إليه وأدناه. واصطفاه خليلاً لنفسه، ورفع ذكره مكافأة له على تفرغ قلبه ولسانه وسائر كيانه لذكر ربه، وبلّغه فوق ما يتمني، وقدّر له من الفضل والرفعة ما لا يخطر بخيال. وخصّه بالمقام المحمود والشفاعة العظمى التي ما نالها أحد من خلقه سواه، ولن يعطاها يوم القيامة إلا بذكره لربه وحمده له بمحامد يرزقه الله معرفتها حين ذاك، فبذكره لربه بلغ ما بلغ. فصلى الله عليه وبارك وسلم.

وسلام الله وبركاته على أصحاب النبي، وأزواجه، وذريته، وأتباعه المقتفين لأثره، المتبعين سنته إلى يوم الدين، ويوم يقوم الناس لرب العالمين.

أما بعد:

فبين أيدينا كتاب من كتب شمس الدين بن قيم الجوزية -رحمه الله-، والترجمة لابن القيم بكلمات مختصره ؛ لا توفيه حقه، ولا تضيف للقارئ عن ابن القيم شيئًا جديدًا. ولهذا لن نترجم لابن القيم في هذا الكتاب ولكننا سنترجم لكتابه.

* * *

وصف الكتاب

الكتاب يتناول موضوع «الذكر» وينقسم إلى قسمين:

القسم الأول: دراسة عن الذكر وفوائده وعلاقته بالعمل الصالح.

القسم الثاني: الأذكار الموظفة.

فأما القسم الأول، فأفرد المصنف له مبحثًا في كتابه مدارج السالكين ٢/ ٣١٤ - ٣٢٦، وهو مبحث مختصر نقل ابن القيم أكثره من كتابه هذا الوابل الصيب.

وهذا القسم من الباب أهم قسميه. إذ هو فريد في بابه، لا تكاد ترى له نظيرًا في كتابات الناس إلا متفرقات متناثرة.

وأما **القسم الثاني**: فأفرد له المصنف مبحثًا في كتابه زاد المعاد ٢/ ٣٦٥ - ٤٧٥ وهو أقل مما هنا في عدد الفصول، وربما كان عدد الأذكار في بعض الفصول في الزاد أكثر مما في الوابل. لكن أكثر ما زاده المصنف في الزاد لا يصح. ويتميز ما في الزاد عما هنا بما أورده المصنف في الزاد من المناقشات الفقهية والحديثية لبعض أحاديث الأذكار.

هذا عدا متناثرات من القسمين منثورة في مواضع متفرقة من كتب المصنف - رحمه الله- أشرنا لبعضها في مواضعها بالكتاب.

ويعتقد الشيخ الألباني -رحمه الله- أن ابن القيم اعتمد في كتابة القسم الثاني من هذا الكتاب على كتاب الكلم الطيب لشيخه ابن تيمية. بل إنه يزيد على ذلك أن كتاب ابن تيمية نفسه مأخوذ من الأذكار للنووي. راجع مقدمة الشيخ الألباني للكلم الطيب لابن تيمية ص ١٧.

لابن القيم في موضوع الذكر كتاب واحد أم اثنان ؟

ذكر حاجي خليفة في كشف الظنون ٢/١٥٠٦ كتاب الكلم الطيب لابن تيمية، ثم ذكر أن ابن القيم شرحه بكتاب أوله: الله سبحانه المسئول المرجو... إلخ. ولم يذكر اسم الشرح. ثم ذكر ٢/١٩٩٤: الوابل الصيب في الكلم الطيب.

وذكر البغدادي في هدية العارفين ٢/١٥٨ لابن القيم كتابين أحدهما: الكلم الطيب والعمل الصالح، والثاني الوابل الصيب والكلم الطيب.

وقد استظهر العلامة الشيخ بكر أبو زيد في كتابه: «**ابن قيم الجوزية**» ص ١٨٦ أن كتاب الوابل الصيب من الكلم الطيب هو بعينه كتاب الكلم الطيب والعمل الصالح وقال: وهو ما استظهره الأستاذ أحمد عبيد، وعليه فقد وَهِمَ من عدهما كتابين، وقد وهم في ذلك صاحب كشف الظنون وتابعه عليه البغدادي ومحمد الفقي. ا هـ.

وقد أيد الشيخ - حفظه الله - ما ذهب إليه بما أورده ابن القيم في طريق الهجرتين ص ٧٦ وسيأتي. وهو الصواب.

هل الوابل شرح لكتاب الكلم الطيب لابن تيمية ؟

قال بذلك صاحب كشف الظنون ٢/١٥٠٦ ووهمه في ذلك العلامة بكر أبو زيد متابعًا للعلامة الألباني أثابهما الله. حيث قال الألباني في مقدمته للكلم الطيب ص ١٧: إن في إطلاق اسم الشرح على كتاب ابن القيم نظرًا كبيرًا، بل لا يصح ذلك عندي لأمرين: الأول: أنه ليس شرحًا بالمعنى المتبادر من هذا اللفظ الشرح. والآخر: أنه كتاب مستقل غير أنه ضمنه جل فصول كتاب شيخه هذا. ا هـ.

ونحن نوافق أن الكتاب ليس شرحًا بالمعنى المفهوم أو المتبادر من هذا اللفظ ولكن لا نوافق على توهيم صاحب كشف الظنون على ذلك توهيمًا مطلقًا لما يلي:

أ- أن صاحب كشف الظنون قد اطلع على كتاب ابن القيم وذكر أن أوله: الله سبحانه المسئول المرجو... إلخ.

ب- اشتهر عن ابن القيم -رحمه الله- أن يدندن حول كلام شيخه ويعتني بها شرحًا وتفصيلاً، حتى قال ابن حجر عن مصنفات ابن القيم: ومعظمها من كلام شيخه، يتصرف في ذلك، وله في ذلك ملكة قوية، ولا يزال يدندن حول مفرداته

وينصرها ويحتج لها. ا هـ. من الدرر الكامنة ٤/ ٢٢.

ج- ابن القيم رحمه الله طويل النفس في كتابة مقدمات كتبه. وبالاستقراء نجد أن:

- ابن القيم يكتب مقدماته بعد الانتهاء من تصنيف الكتاب. انظر طريق الهجرتين، الروح، روضة المحبين، تحفة المودود.

ونادرًا ما يكتب مقدمته قبل الكتاب كما هو ظاهر صنيعه في أعلام الموقعين.

- بعض كتب ابن القيم ليس لها مقدمات إلا البسملة والحمد على غير عادته في الإسهاب وهذه الكتب على ثلاثة أنواع:

أولًا: كتب ليست كتبًا في الأصل وإنما جمعت خواطر وأفكارًا وذلك ككتابه: الفوائد.

ثانيًا: كتب لم ينشئها المصنف إنشاءً من نفسه، وإنما كانت إجابة عن سؤال، فيبتدأ المصنف في إجابة السؤال من غير أن يكتب مقدمة. وهذا السؤال قد يثبته النساخ كما في أحكام أهل الذمة، تارك الصلاة، كشف الغطاء، الداء والدواء. وقد يسقط النساخ لفظ السؤال كما في الوابل، ويدل على ذلك ظاهر لفظ المصنف في أول كتابه: الله سبحانه المسئول... أن يتولاكم... وأن يسبغ عليكم... وأن يجعلكم... فالظاهر أنه يخاطب شخصًا، وكلام حاجي خليفة يفيد أن السؤال كان عن شيء ورد في كتاب ابن تيمية أو عن شيء أثاره الكتاب، ومثل ذلك لا يبعد أن يسمى شرحًا، وإن لم يكن شرحًا بالمعنى الدقيق أو المتبادر. والله أعلم.

ثالثًا: كتب لم يتبين لي فيها الوجه كجلاء الأفهام وأقسام القرآن.

اسم الكتاب

اختُلف في اسم الكتاب هل هو: الوابل الصيب، أم: الكلم الطيب والعمل الصالح؟ وقد طبع الكتاب مرات عديدة باسم الوابل الصيب من الكلم الطيب. وقد ذكره حاجي خليفة باسم الوابل الصيب وذكر البغدادي الاسمين. وقد سبق بيان ذلك. وقد استظهر العلامة الشيخ بكر أبو زيد أن اسم الكتاب هو: الكلم الصيب والعمل الصالح. وأورده في حرف الكاف. ولم يورد في الواو شيئًا. فقال في كتابه ابن قيم الجوزية ص ١٨٦: «**والمؤلف قد سمى كتابه في غير مقدمة له، فقال في طريق الهجرتين: «وقد ذكرنا في كتاب «الكلم الطيب والعمل الصالح»** من فوائد

الذكر استجلاب ذكر الله سبحانه لعبده، وذكرنا قريبا من مائة فائدة تتعلق بالذكر، كل فائدة منها لا نظير لها، وهو كتاب عظيم النفع جدًّا.

وبهذا ذكره ابن رجب، والداودي، وابن العماد وحاجي خليفة، والبغدادي كلهم باسم: الكلم الطيب والعمل الصالح». ا هـ.

وقد تابعه على هذا الترجيح الأستاذ يسري السيد محمد في مقدمته لكتاب بدائع التفسير ١/ ٥٩ حيث أورده برقم ٢٨ في حرف الكاف بقوله: «**الكلم الطيب والعمل الصالح وهو المعروف باسم الوابل الصيب**». ا هـ.

وهذا الترجيح من العلامة بكر أبو زيد - على جلالة قدره - ليس بسديد. واعتماده على ما أورده ابن القيم في طريق الهجرتين فحسب اعتماد قاصر ؛ لأن المصنف رحمه الله ذكر كتابه هذا في مبحث الذكر من كتابه مدارج السالكين ٢/ ٣٢٠ فقال: وقد ذكرنا في الذكر نحو مائة فائدة في كتابنا «**الوابل الصيب ورافع الكلم الطيب**» وذكرنا هناك أسرار الذكر، وعظم نفعه، وطيب ثمرته، وذكرنا فيه أن الذكر ثلاثة أنواع ذكر الأسماء والصفات ومعانيها والثناء على الله بها وتوحيد الله بها. وذكر الأمر والنهي والحلال والحرام. وذكر الآلاء والنعماء والإحسان والأيادي. وأنه ثلاثة أنواع أيضًا: ذكر يتواطأ عليه القلب واللسان وهو أعلاها. وذكر بالقلب وحده وهو الدرجة الثانية، وذكر باللسان المجرد وهو في الدرجة الثالثة. ا هـ.

وبمقارنة ما ذكره المصنف في المدارج، وما ذكره في طريق الهجرتين، ومطابقة ذلك على الكتاب الذي معنا يتضح لنا أن المقصود في الموضعين كتاب واحد. ولكن المصنف ذكره في موضع باسمه، وفي الآخر بصفته وموضوعه، والذي يترجح لدي هو أن الكتاب اسمه الوابل الصيب لما يلي:

- أن «**الكلم الطيب والعمل الصالح**» يحتمل الاسمية ويحتمل الوصفية، فيجوز أن يقال: هذا كتاب عن الكلم الطيب والعمل الصالح، أو موضوعه الكلم... بخلاف الوابل الصيب فإنه لا يحتمل غير الاسمية. فلا يصح أن يقال: هذا كتاب عن الوابل الصيب أو موضوعه الوابل الصيب.

- السجع في تسمية الكتاب بالوابل الصيب وقد عرف عن المصنف رحمه الله ميله إلى السجع في تسمية كتبه، وليس ذلك في: الكلم الطيب والعمل الصالح.

حاجي خليفة لم يذكر اسم «**الكلم الطيب والعمل الصالح**» بل ذكر ٢/١٥٠٦ الكلم الطيب لابن تيمية وهذا نص كلامه: الكلم الطيب لابن تيمية أبي العباس أحمد ابن عبد الحليم الحراني الدمشقي الحنبلي المتوفى سنة ٧٢٨: شرحه العلامة بدر الدين محمود بن أحمد العيني المتوفى سنة ٨٥٥ خمس وخمسين وثمانمائة وسماه: العلم الهيب. وشمس الدين محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية المتوفى سنة ٧٥١ إحدى وخمسين وسبعمائة. أوله: الله سبحانه المسئول المرجو... إلخ. ا هـ. كلامه.

ثم أورد ٢/ ١٩٩٤ الوابل الصيب. وواضح أن صنيع حاجي خليفة لا يفيد أن الكتاب الذي شرح به ابن القيم كتاب شيخه غير الوابل. فضلاً أن يفيد أن الأول اسمه: الكلم الطيب والعمل الصالح كما توهمه العلامة أبو زيد حفظه الله.

الرابط بين الجملتين في اسم الكتاب

اشتهر الكتاب باسم: «**الوابل الصيب من الكلم الطيب**»، والرابط بين الجملتين هو حرف «**من**».

وأورده حاجي خليفة ٢/ ١٩٩٤ باسم: الوابل الصيب في الكلم الطيب وأورده البغدادي ٢/١٥٨: الوابل الصيب والكلم الطيب. وهذا كله مخالف لما أورده المصنف في مدارج السالكين ٢/ ٣٢٠ حيث أسماه: الوابل الصيب ورافع الكلم الطيب، وقد راجعت عددًا من الطبعات المختلفة للمدارج فوجدتها توافقت على هذا الاسم. وقد قوَّى هذا الاسم،ما أورده الدكتور راشد بن سعد القحطاني في فهرسته للمخطوطات الأصلية بدارة الملك عبد العزيز والمنشور بمجلة الدارة العدد الرابع سنة ١٤٨٨ ص ١٤٧. حيث أورد الكتاب ص ١٨٣ باسم: الوابل الصيب في رفع الكلم الطيب. وتاريخ النسخ: ١٢٣٤ هـ.

معنى الاسم

قال المصنف في مدارج السالكين ١/ ١٨٣: الوابل: المطر الذي به حياة الأرض. وقال في كتاب الوابل: الصيب: المطر الذي يصوب من السماء. أي ينزل منها بسرعة

.* * *

عدد الفوائد

ذكر المصنف في مدارج السالكين ٢/ ٣٢٠، وفي طريق الهجرتين ص ٧٦ أنه ذكر في هذا الكتاب من فوائد الذكر قريبًا من مائة فائدة.

وعدد الفوائد في غالب النسخ تسع وسبعون فائدة. لكن وقع في نسخة الريان ١٤٠٨ هـ استبدال الفائدة الرابعة والسبعون بالفصل الأول، والخامسة والسبعون بالثاني، والسادسة والسبعون بالنوع الثاني. والسابعة والسبعون بالفصل الثاني، والتاسعة والسبعون بالفصل الثالث. وليس في شيء من النسخ: الثامنة والسبعون.

ولم يشر محقق نسخة الريان إلى أنه غير ذلك من نفسه، فالظاهر - والله أعلم - أن ذلك كان في الأصل الذي أخذ عنه. وقد ارتضيت ذلك واعتمدته في نسختنا هذه ؛ لأنه الأنسب بالسياق. والأقرب لمقصود المؤلف والله أعلم.

عملنا في الكتاب

- ترقيم الآيات القرآنية وبيان مواضعها.

- تخريج الأحاديث النبوية والحكم عليها من حيث الصحة والضعف.

- تخريج الآثار الموقوفة والمقطوعة التي صرح فيها المصنف بالقائل، وأهملت عمدًا ما لم يصرح المصنف بنسبته لأحد على اعتبار أنه قول مأثور صحيح معناه دون اعتبار لمن قاله. بعكس ما صرح فيه بقائله فلزم بيان هل قاله أم لا.

[1] - اعتمدت في التخريج طريقة السابقين والتي تقتضي عدم الانتقال من المصدر القريب إلى البعيد إلا لفائدة.

- خالفت هذه الطريقة في حالة إذا ما عزا المصنف إلى المصدر البعيد دون القريب كأن يعزو المصنفُ الحديثَ إلى البيهقي أو الحاكم وهو في الكتب الستة أو بعضها أو في المسند. ففي مثل هذه الحالة أخرجه من الموضع الذي ذكره المصنف ثم أقول وهو في كذا وكذا من المصادر القريبة أو أقول أخرجه كذا وكذا من المصادر القريبة وهو عند فلان كما قال المصنف.

- اعتمدت في التخريج على النسخ المشهورة لكتب الحديث، واعتمدت في صحيح مسلم الطبعة الذي رقمها الشيخ محمد فؤاد عبد الباقي وإليها الإشارة بفؤاد، والطبعة التي نشرتها دار الغد بترقيم د/ عبد المعطي قلعجي وإليها الإشارة بقلعجي،

واعتمدت في الترمذي على نسخة دار الفكر.

- قمت بشرح غريب الألفاظ وضبط المشكل سواء كان في الأحاديث أو الأسماء أو كلام المصنف.

- قمت بمقابلة عدد مختلف من نسخ الكتاب المطبوعة ولا أشير إلى خطأ النسخ إلا إذا توافقت عليه أو كان الخطأ غالبًا.

- وضعت بعض العناوين وجعلتها بين معقوفين تمييزًا لها دون الإشارة إلى ذلك في الحاشية.

- وضعت بعض التعليقات حيث اقتضى السياق وأكثرها من كلام المصنف نفسه في غير هذا الكتاب، مع الإشارة إلى مصدرها في الغالب.

- بعد نهاية التعليق على القسم الأول أوردت فائدتين حول الذكر ذكرهما المصنف رحمه الله في غير هذا الكتاب، رأيت إيرادهما هامًا وقد أشرت هناك إلى موضعهما من كتب المصنف.

وختامًا أسأل الله عز وجل أن أكون قد وفقت في عملي هذا، وأن ينفعني ومؤلفه وناشره وقارئه به. وأن يجعله في ميزان حسناتنا يوم القيامة.

والحمد لله رب العالمين

كتبه

أبو محمد يحيى بن محمد سوس الأزهري

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم. الله سبحانه وتعالى المسؤول المرجو الإجابة أن يتولاكم في الدنيا والآخرة، وأن يسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة، وأن يجعلكم ممن إذا أنعم عليه شكر، وإذا ابتلي صبر، وإذا أذنب استغفر. فإن هذه الأمور الثلاثة عنوان سعادة العبد، وعلامة فلاحه في دنياه وأخراه، ولا ينفك عبد عنها أبدًا، فإن العبد دائم التقلب بين هذه الأطباق الثلاث:

الأول: نعم من الله تعالى تترادف عليه، فَقَيْدُها الشكرُ. وهو مبني على ثلاثة أركان: الاعتراف بها باطنًا، والتحدث بها ظاهرًا، وتصريفها في مرضاة وليِّها ومُسديها ومُعطيها. فإذا فعل ذلك فقد شكرها مع تقصيره في شكرها.

الثاني: محن من الله تعالى يبتليه بها، ففرضه فيها الصبر والتسلِّي.

والصبر: حبس النفس عن التسخط بالمقدور، وحبس اللسان عن الشكوى، وحبس الجوارح عن المعصية كاللطم، وشق الثياب، ونتف الشعر، ونحوه.

فمدار الصبر على هذه الأركان الثلاثة، فإذا قام به العبد كما ينبغي انقلبت المحنة في حقه منحة، واستحالت البلية عطية[1]، وصار المكروه محبوبًا. فإن الله سبحانه وتعالى لم يبتله ليهلكه، وإنما ابتلاه ليمتحن صبره وعبوديته، فإن لله تعالى على العبد عبودية في الضراء، كما له عبودية في السراء، وله عبودية عليه فيما يكره، كما له عبودية فيما يحب، وأكثر الخلق يعطون العبودية فيما يحبون، والشأن في إعطاء العبودية في المكاره، ففيه تفاوت مراتب العباد، وبحسبه كانت منازلهم عند الله تعالى، فالوضوء بالماء البارد في شدة الحر عبودية، ومباشرة زوجته الحسناء التي يحبها عبودية، ونفقته عليها وعلى عياله ونفسه عبودية. هذا والوضوء بالماء البارد في شدة البرد عبودية، وتركه المعصية التي اشتدت دواعي نفسه إليها من غير خوف من الناس عبودية، ونفقته في الضراء عبودية، ولكن فَرْقٌ عظيم بين العبوديتين.

فمن كان عبدًا لله في الحالتين قائمًا بحقه في المكروه والمحبوب فذلك الذي تناوله قوله تعالى: ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ﴾[الزمر: ٣٦]، وفي القراءة الأخرى:

(١) استحال الشيء: تحول وتبدل.

﴿عِبَادَهُ﴾ (٢) وهما سواء ؛ لأن المفرد مضاف، فيعم عموم الجمع، فالكفاية التامة مع العبودية التامة، والناقصة مع الناقصةُ، فمن وجد خيرًا فَلْيَحْمَدِ الله، ومن وجد غير ذلك فلا يلومنَّ إلا نفسه.

وهؤلاء هم عباده الذين ليس لعدوه عليهم سلطان، قال تعالى: ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَـٰنٌ﴾ [**الحجر**: ٤٢].

ولما علم عدو الله إبليس أن الله تعالى لا يسلم عباده إليه ولا يسلطه عليهم قال: ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ۝ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ [ص: ٨٢، ٨٣]. وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُۥ فَٱتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝ وَمَا كَانَ لَهُۥ عَلَيْهِم مِّن سُلْطَـٰنٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يُؤْمِنُ بِٱلْـَٔاخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِى شَكٍّ﴾ [سبأ: ٢٠-٢١]. فلم يجعل لعدوه سلطانًا على عباده المؤمنين، فإنهم في حرزه وكلاءته وحفظه وتحت كنفه، وإن اغتال عدوُّه أحدَهم كما يغتال اللصُّ الرجلَ الغافلَ، فهذا لا بد منه ؛ لأن العبد قد بلي بالغفلة والشهوة والغضب، ودخوله على العبد من هذه الأبواب الثلاثة ولو احترز العبد ما احترز، فلا بد له من غفلة، ولا بد له من شهوة، ولا بد له من غضب.

وقد كان آدم أبو البشرﷺ من أحلم الخلق وأرجحهم عقلاً وأثبتهم، ومع هذا فلم يزل به عدو الله حتى أوقعه فيه، فما الظن بفراشة الحلم، ومَنْ عقله في جنب عقل أبيه كتفلة في بحر ؟(٣) ولكن عدو الله لا يخلص إلى المؤمن إلا غيلة على غرة وغفلة، فيوقعه ويظن أنه لا يستقبل ربه - عز وجل - بعدها، وأن تلك الواقعة قد اجتاحته وأهلكته، وفضل الله تعالى ورحمته وعفوه ومغفرته وراء ذلك كله.

فإذا أراد الله بعبده خيرًا فتح له من أبواب التوبة، والندم(٤) ، والانكسار، والذل، والافتقار، والاستعانة به، وصدق اللَّجَأ إليه، ودوام التضرع، والدعاء، والتقرب إليه بما أمكن من الحسنات ما تكون تلك السيئة به سبب رحمته، حتى يقول عدو الله: يا ليتني تركته ولم أوقعه.

---

(٢) قراءة الجمع «عِبَاده» هي قراءة حمزة والكسائي وأبي جعفر وخلف. وقرأ باقي العشرة «عبده» بالإفراد.

(٣) الحِلْم: العقل. قال تعالى: ﴿أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلامُهُم بِهَذَا﴾ أي عقولهم. وفراشة الحلم: الأحمق، عقله كعقل فراشة ترى النار فتقذف بنفسها فيها.

(٤) هذا هو الطبق الثالث من الأطباق التي يتقلب فيها العبد.

وهذا معنى قول بعض السلف :إن العبد ليعمل الذنب يدخل به الجنة، ويعمل الحسنة يدخل بها النار. قالوا: كيف ؟ قال: يعمل الذنب فلا يزال نصب عينيه منه مشفقًا وجلاً باكيًا نادمًا مستحيًا من ربه تعالى، ناكس الرأس بين يديه، منكسر القلب له، فيكون ذلك الذنب أنفع له من طاعات كثيرة بما ترتب عليه من هذه الأمور التي بها سعادة العبد وفلاحه، حتى يكون ذلك الذنب سبب دخوله الجنة.

ويفعل الحسنة فلا يزال يمن بها على ربه، ويتكبر بها، ويرى نفسه، ويعجب بها، ويستطيل بها ويقول: فعلت وفعلت، فيورثه من العجب والكبر والفخر والاستطالة ما يكون سبب هلاكه. فإذا أراد الله تعالى بهذا المسكين خيرًا ابتلاه بأمر يكسره به ويذل به عنقه ويصغر به نفسه عنده، وإن أراد به غير ذلك خلاَّه وعُجبَه وكبرَه، وهذا هو الخذلان الموجب لهلاكه.

فإن العارفين كلهم مجمعون على أن التوفيق ألا يكلك الله تعالى إلى نفسك، والخذلان أن يكلك الله تعالى إلى نفسك. فمن أراد الله به خيرًا فتح له باب الذل والانكسار، ودوام اللجأ إلى الله تعالى والافتقار إليه، ورؤية عيوب نفسه وجهلها وعدوانها، ومشاهدة فضل ربه وإحسانه ورحمته وجوده وبره وغناه وحمده. فالعارف سائر إلى الله تعالى بين هذين الجناحين، لا يمكنه أن يسير إلا بهما، فمتى فاته واحد منهما فهو كالطير الذي فقد أحد جناحيه (٥).

قال شيخ الإسلام (٦) : العارف يسير إلى الله بين مشاهدة المنة ومطالعة عيب النفس والعمل.

وهذا معنى قولهﷺ في الحديث الصحيح، من حديث بريدة رضي الله تعالى عنه: «**سَيِّدُ الاسْتِغْفَارِ أَنْ يَقُولَ الْعَبْدُ: اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي لا إِلَهَ إلا أَنْتَ، خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ، وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ،**

(٥) جناحا السائرين إلى رب العالمين هما: معرفة الرب ومعرفة النفس؛ فمشاهدة فضل الرب هي تمام معرفته، ورؤية عيوب النفس هي من تمام المعرفة بها.

(٦) علَّق سُرَّاع الناس على هذا الموضع بقولهم: هو شيخ الإسلام ابن تيمية قلت: وليس كذلك. وابن القيم ينقل عن اثنين يطلق عليهما شيخ الإسلام.

أشهرهما: شيخه شيخ الإسلام ابن تيمية .

والثاني: شيخ الإسلام الأنصاري الهروي صاحب منازل السائرين. وابن القيم ينقل من كتبه والعبارة المذكورة هنا هي لشيخ الإسلام الهروي وقد أوردها ابن القيم في كتابه شفاء العليل ص ٣٢ وشرحها في مدارج السالكين ١/ ١٦٨.

أَبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ، وَأَبُوءُ بِذَنْبِي فَاغْفِرْ لِي فَإِنَّهُ لا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إلا أَنْتَ» (٧).

فجمع في قوله ﷺ: «**أَبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ، وَأَبُوءُ بِذَنْبِي**» مشاهدة المنة، ومطالعة عيب النفس والعمل.

فمشاهدة المنة توجب له المحبة والحمد والشكر لولي النعم والإحسان، ومطالعة عيب النفس والعمل توجب له الذل والانكسار والافتقار والتوبة في كل وقت، وألا يرى نفسه إلا مفلسًا، وأقرب باب دخل منه العبد على الله تعالى هو الإفلاس فلا يرى لنفسه حالاً ولا مقامًا ولا سببًا يتعلق به، ولا وسيلة منه يمن بها، بل يدخل على الله تعالى من باب الافتقار الصِّرْف، والإفلاس المحض، دخول من قد كسر الفقر والمسكنة قلبه حتى وصلت تلك الكسرة إلى سويدائه فانصدع وشملته الكسرة من كل جهاته، وشهد ضرورته إلى ربه عز وجل، وكمال فاقته وفقره إليه، وأن في كل ذرة من ذراته الظاهرة والباطنة فاقة تامة، وضرورة كاملة إلى ربه تبارك وتعالى، وأنه إن تخلى عنه طرفة عين هلك وخسر خسارة لا تجبر، إلا أن يعود الله تعالى عليه ويتداركه برحمته.

ولا طريق إلى الله أقرب من العبودية، ولا حجاب أغلظ من الدعوى.

والعبودية مدارها على قاعدتين هما أصلها : حب كامل، وذل تام. ومنشأ هذين الأصلين عن ذينك الأصلين المتقدمين، وهما: مشاهدة المنة التي تورث المحبة، ومطالعة عيب النفس والعمل التي تورث الذل التام، وإذا كان العبد قد بنى سلوكه إلى الله تعالى على هذين الأصلين لم يظفر عدوه به إلا على غرة وغيلة، وما أسرع ما ينعشه الله عز وجل ويجبره ويتداركه برحمته.

استقامة القلب

فصل : وإنما يستقيم له هذا باستقامة قلبه وجوارحه.

فاستقامة القلب بشيئين :

أحدهما : أن تكون محبة الله تعالى تتقدم عنده على جميع المحاب، فإذا تعارض حب تعالى الله وحب غيره سبق حبُّ الله تعالى حبَّ ما سواه، فرتب على

---

(٧) رواية بريدة رواها الإمام أحمد في مسنده (٥/ ٣٥٦) وأبو داود (٥٠٧٠) وابن ماجه (٣٨٧٢) والحديث رواه البخاري (٦٣٠٦) و (٦٣٢٣) والترمذي (٣٤٠٤) والنسائي (٨/ ٣٧٩) من حديث شداد بن أوس. وهو أصح.

ذلك مقتضاه.

وما أسهل هذا بالدعوى وأصعبه بالفعل، فعند الامتحان، يكرم المرء أو يهان. وما أكثر ما يقدم العبد ما يحبه هو ويهواه أو يحبه كبيره وأميره وشيخه وأهله على ما يحبه الله تعالى. فهذا لم تتقدم محبة الله تعالى في قلبه جميع المحاب، ولا كانت هي الملِكة المؤمرة عليها، وسنة الله تعالى فيمن هذا شأنه أن ينكد عليه محابه وينغصها عليه ولا ينال شيئًا منها إلا بتكدر وتنغيص، جزاء له على إيثاره هواه وهوى من يعظمه من الخلق أو يحبه على محبة الله تعالى.

وقد قضى الله تعالى قضاء لا يرد ولا يدفع: أن من أحب شيئًا سواه عذب به ولا بد، وأن من خاف غيره سلط عليه، وأن من اشتغل بشيء غيره كان شؤمًا عليه، ومن آثر غيره عليه لم يبارك فيه، ومن أرضى غيره بسخطه أسخطه عليه ولا بد.

الأمر الثاني الذي يستقيم به القلب: تعظيم الأمر والنهى، وهو ناشئ عن تعظيم الآمر الناهي، فإن الله تعالى ذم من لا يعظم أمره ونهيه، قال سبحانه وتعالى: ﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾ [نوح:١٣] قالوا في تفسيرها: ما لكم لا تخافون لله تعالى عظمة.

وما أحسن ما قال شيخ الإسلام في تعظيم الأمر والنهي [٨]: هو أن لا يُعَارَضَا بترخص جاف، ولا يُعَرَّضَا لتشديد غال، ولا يحملا على علة توهن الانقياد.

ومعنى كلامه: أن أول مراتب تعظيم الحق عز وجل تعظيم أمره ونهيه، وذلك لأن المؤمن يعرف ربه عز وجل برسالته التي أرسل بها رسول الله ﷺ إلى كافة الناس ومقتضاها الانقياد لأمره ونهيه، وإنما يكون ذلك بتعظيم أمر الله عز وجل واتباعه، وتعظيم نهيه واجتنابه، فيكون تعظيم المؤمن لأمر الله تعالى ونهيه دالاً على تعظيمه لصاحب الأمر والنهي، ويكون بحسب هذا التعظيم من الأبرار المشهود لهم بالإيمان والتصديق، وصحة العقيدة، والبراءة من النفاق الأكبر [٩]. فإن الرجل

---

(٨) شيخ الإسلام الهروي. وقد شرح ابن القيم عبارته هذه في مدارج السالكين ٢/ ٣٧٠ وضمير المثنى في عبارته راجع إلى الأمر والنهي.

وقوله: يُعَارضا بترخص.....، من عارض معارضة بمعنى التصدي والممانعة، وقوله: يُعَرَّضا لتشديد.....، من عَرَّض تعريضًا بمعنى خلطه بغيره ولم يبينه.

(٩) النفاق الأكبر هو نفاق الاعتقاد. وهو المقصود في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ

قد يتعاطى فعل الأمر لنظر الخلق، وطلب المنزلة والجاه عندهم، ويتقي المناهي خشية سقوطه من أعينهم، وخشية العقوبات الدنيوية من الحدود التي رتبها الشارع ﷺ على المناهي. فهذا ليس فعله وتركه صادرًا عن تعظيم الأمر والنهي ولا تعظيم الآمر والناهي، فعلامة التعظيم للأوامر رعاية أوقاتها وحدودها والتفتيش على أركانها وواجباتها وكمالها، والحرص على تحينها في أوقاتها، والمسارعة إليها عند وجوبها، والحزن والكآبة والأسف عند فوت حق من حقوقها، كمن يحزن على فوت الجماعة ويعلم أنه لو تقبلت منه صلاته منفردًا فإنه قد فاته سبعة وعشرون ضعفًا. ولو أن رجلاً يعاني البيع والشراء تفوته صفقة واحدة في بلده من غير سفر ولا مشقة قيمتها سبعة وعشرون دينارًا لأكل يديه ندمًا وأسفًا، فكيف وكل ضِعْفٍ مما تضاعف به صلاة الجماعة خير من ألف وألف ألف وما شاء الله تعالى.

فإذا فوت العبد عليه هذا الربح قطعًا -وكثير من العلماء يقول: لا صلاة له- (١٠) وهو بارد القلب فارغ من هذه المصيبة، غير مرتاع لها، فهذا من عدم تعظيم أمر الله تعالى في قلبه، وكذلك إذا فاته أول وقت الذي هو رضوان الله تعالى، أو فاته الصف الأول الذي يصلي الله وملائكته على ميامنه (١١)، ولو يعلم العبد فضيلته لجالد عليه ولكانت قرعة (١٢). وكذلك فوت الجمع الكثير الذي تضاعف الصلاة

مِنَ النَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا﴾ [النساء: ١٤٢]. وهو مخرج من الملة؛ لأن صاحبه يبطن الكفر، أما النفاق الأصغر فهو النفاق في العمل مع إيمان القلب ويقينه، فهو بذلك معصية وليس كفرًا. وهو المقصود في قوله ﷺ: «أربعٌ مَن كُن فِيه كَان مُنافقًا خَالصًا، ومَن كانت فيه خَصْلَة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها، إذا اؤتمن خان، وإذا حدث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر» متفق عليه.

(١٠) اختلف الموجبون لصلاة الجماعة في: هل الجماعة شرط في صحة الصلاة؟ فذهب بعضهم وهي رواية عن أحمد إلى أنه لو صلى وحده كانت صلاته صحيحة، ولكنه أثم بترك الجماعة. ومذهب داود ورواية عن أحمد أن الجماعة شرط في صحة الصلاة، فلو صلى وحده مع قدرته على الجماعة كانت صلاته باطلة. واستدل له ابن القيم في كتابه حكم تارك الصلاة ص ١١٩ - ١٢٦.

(١١) روى أبو داود (٦٧٦) وابن ماجه (١٠٠٥) عن عائشة مرفوعًا: «إن الله وملائكته يصلون على ميامن الصفوف» وفي إسناده معاوية بن هشام القصار، وأسامة بن زيد الليثي. وكلاهما صدوق له أوهام. وقد أعل البيهقي الحديث بهذا اللفظ، وصَوَّب أن لفظه: «على الذين يَصِلون الصفوف» كما ذكر الألباني في تمام المنة ص ٢٨٨.

لكن روى مسلم (٧٠٩ فؤاد) (١٦١٣ قلعجي) وأبو داود (٦١٥) والنسائي (٢/ ٩٤) وابن ماجه (١٠٠٦) عن البراء بن عازب قال: «كنا إذا صلينا خلف رسول الله ﷺ أحببنا أن نكون على يمينه.

(١٢) روى البخاري (٦١٥) ومسلم (٤٣٧ فؤاد) (٩٥٦ قلعجي) وغيرهما عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «لو يعلم الناس ما في النداء والصف الأول، ثم لم يجدوا إلا أن يستهموا عليه

بكثرته وقلته، كلما كثر الجمع كان أحب إلى الله عز وجل، وكلما بعدت الخطا كانت خطوة تحط خطيئة، وأخرى ترفع درجة.

وكذلك فوت الخشوع في الصلاة وحضور القلب فيها بين يدي الرب تبارك وتعالى الذي هو روحها ولبها، فصلاة بلا خشوع ولا حضور كبدن ميت لا روح فيه، أفلا يستحي العبد أن يهدي إلى مخلوق مثله عبدًا ميتًا أو جارية ميتة؟ فما ظن هذا العبد أن تقع تلك الهدية ممن قصده بها من ملك أو من أمير أو غيره؟ فهكذا سواء الصلاة الخالية عن الخشوع والحضور وجمع الهمة على الله تعالى فيها بمنزلة هذا العبد - أو الأمة - الميت الذي يريد إهداءه إلى بعض الملوك ولهذا لا يقبلها الله تعالى منه وإن أسقطت الفرض في أحكام الدنيا، ولا يثيبه عليها، فإنه ليس للعبد من صلاته إلا ما عقل منها كما في السنن ومسند الإمام أحمد وغيره عن النبي ﷺ أنه قال: «**إِنَّ الْعَبْدَ لَيُصَلِّي الصَّلاةَ وَمَا كُتِبَ لَهُ إلا نِصْفُهَا إلا ثُلُثُهَا إلا رُبُعُهَا إلا خُمسُهَا حَتى بَلَغَ عُشْرُهَا**» (١٣).

وينبغي أن يعلم أن سائر الأعمال تجري هذا المجرى، فتفاضل الأعمال عند الله تعالى بتفاضل ما في القلوب من الإيمان والإخلاص والمحبة وتوابعها. وهذا العمل الكامل هو الذي يكفر السيئات تكفيرًا كاملاً، والناقص بحسبه.

وبهاتين القاعدتين تزول إشكالات كثيرة وهما:

. تفاضل الأعمال بتفاضل ما في القلوب من حقائق الإيمان، وتكفير العمل للسيئات بحسب كماله ونقصانه. وبهذا يزول الإشكال الذي يورده من نقص حظه من هذا الباب على الحديث الذي فيه: «**إِنَّ صَوْمَ يَوم عَرَفَةَ يُكَفِّرُ سَنَتَين، وَيَوم عَاشُورَاءَ يُكَفِّرُ سَنَةً**» (١٤). قالوا: فإذا كان دأبه دائمًا أنه يصوم يوم عرفة فصامه وصام يوم عاشوراء، فكيف يقع تكفير ثلاث سنين كل سنة، وأجاب بعضهم عن

لاستهموا» أي: يقترعوا عليه

(١٣) صحيح الإسناد: رواه أبو داود (٧٩٦) وأحمد (٤/ ٣٢١) من طريق عبد الله بن عَنَمة عن عمار ابن ياسر. ورواه أحمد (٤/ ٣١٩) واللفظ له من طريق عمر بن أبي بكر عن أبيه عن عمار. والحديث صحيح بالإسناد الأول.

(١٤) حديث صحيح: رواه مسلم (١١٦٢ فؤاد) (٢٧٠٠ قلعجي) بلفظ: «صيام يوم عرفة احتسب على الله أن يكفر السنة التي قبله والسنة التي بعده، وصيام يوم عاشوراء احتسب على الله أن يكفر السنة التي قبله». ورواه أبو داود بدون ذكر عاشوراء (٢٤٢٥). ورواه بنحوه الترمذي مقطعًا في موضعين (٧٤٩) و (٧٥٢) وابن ماجه كذلك (١٧٣٠) و (١٧٣٨).

هذا بأن ما فضل عن التكفير ينال به الدرجات [١٥].

وياللّه العجب، فليت العبد إذا أتى بهذه المكفرات كلها أن تكفر عنه سيئاته باجتماع بعضها إلى بعض، والتكفير بهذه مشروط بشروط، وموقوف على انتفاء موانع في العمل وخارجه، فإن علم العبد أنه جاء بالشروط كلها، وانتفت عنه الموانع كلها فحينئذ يقع التكفير، وأما عمل شملته الغفلة أو شملت أكثره، وفقد الإخلاص الذي هو روحه ولبه، ولم يوف حقه، ولم يقدره حق قدره، فأي شيء يكفر هذا ؟ [١٦] فإن وثق العبد من عمله بأنه وفاه حقه الذي ينبغي له ظاهرًا وباطنًا، ولم يعرض له مانع يمنع تفكيره ولا مبطل يحبطه - من عجب أو رؤية نفسه فيه أو يمن به أو يطلب من العباد تعظيمه به أو يستشرف بقلبه لمن يعظمه عليه أو يعادي من لا يعظمه عليه ويرى أنه قد بخسه حقه وأنه قد استهان بحرمته - فهذا أي شيء يكفره ؟.

ومحبطات الأعمال ومفسداتها أكثر من أن تحصر [١٧]، وليس الشأن في العمل، إنما الشأن في حفظ العمل مما يفسده ويحبطه. فالرياء وإن دق محبط للعمل، وهو أبواب كثيرة لا تحصر، وكون العمل غير مقيد باتباع السنة أيضًا موجب لكونه باطلاً، والمن به على الله تعالى بقلبه مفسد له، وكذلك المن بالصدقة والمعروف والبر والإحسان والصلة مفسد لها. كما قال سبحانه وتعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبۡطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلۡمَنِّ وَٱلۡأَذَىٰ﴾ [البقرة: ٢٦٤]، وأكثر الناس ما عندهم خبر من السيئات التي تحبط الحسنات، وقد قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجۡهَرُواْ لَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ كَجَهۡرِ بَعۡضِكُمۡ لِبَعۡضٍ أَن تَحۡبَطَ أَعۡمَٰلُكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تَشۡعُرُونَ﴾ [الحجرات: ٢] فحذر المؤمنين من حبوط أعمالهم بالجهر لرسول الله ﷺ كما يجهر بعضهم لبعض، وليس هذا بردَّة، بل معصية تحبط العمل وصاحبها

(١٥) وأجاب غيرهم بأن: صوم يوم عاشوراء يكفر ذنوب العام كلها، ويبقى صوم عرفة زيادة في الأجر. وقد عاب ابن القيم عليهم - في كتاب الداء والدواء ص ٣٥ - هذا الاغترار والجهل. ثم قرر أن جعل الشيء سببًا للتكفير لا يمتنع أن يتساعد هو وسبب آخر على التكفير، ويكون التكفير مع اجتماع السببين أقوى وأتم منه مع انفراد أحدهما، وكلما قويت أسباب التكفير كان أقوى وأتم وأشمل. ا هـ.

(١٦) هذا استفهام تقريري أو إنكاري. ومعناه: هذا لا يكفر شيئًا من الذنوب.

(١٧) محبطات الأعمال رؤوسها أربع: الكفر، والشرك، والنفاق، والفسوق، وكل منها ينقسم إلى أكبر وأصغر، فالأنواع ثمانية. وتحت كل واحد من هذه الثمانية أنواع وصور لا تكاد تنحصر. وكنت قد ابتدأت في وضع كتاب كبير عن الشرك. فنسأل الله التيسير بفضله ورحمته.

لا يشعر بها، فما الظن بمن قَدَّمَ على قول الرسول ﷺ وهديه وطريقه قول غيره وهديه وطريقه ؟. أليس هذا قد حبط عمله وهو لا يشعر ؟. ومن هذا قوله ﷺ : «**مَنْ تَرَكَ صَلاةَ الْعَصْرِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ**»(١٨) . ومن هذا قول عائشة رضى الله تعالى عنها وعن أبيها لزيد ابن أرقم رضى الله عنه لما باع بالعينة: (إنه قد أبطل جهاده مع رسول الله ﷺ ، إلا أن يتوب)(١٩) . وليس التبايع بالعينة ردة، وإنما غايته أنه معصية، فمعرفة ما يفسد الأعمال في حال وقوعها ويبطلها ويحبطها بعد وقوعها من أهم ما ينبغي أن يفتش عليه العبد ويحرص على عمله ويحذره. وقد جاء في أثر معروف: (إنَّ العَبْدَ لَيَعْمَلُ العَمَلَ سِرًّا لا يَطَّلِعُ عَلَيْه أحَدًا إلا الله تَعَالَى فَيَتَحدَّثُ بِهِ فَيَنْتَقِلُ مِنْ دِيَوانِ السر إلى دِيوانِ العَلانِية ثُمَ يَصِيرُ فِي ذَلِكَ الدِّيوانِ عَلى حَسْبِ العَلانِيَةِ فَإنْ تَحدثَ بَهِ لِلسُمعَةِ وطَلَبِ الجاهِ والمنْزِلَةِ عِنْدَ غَيْرِ اللهِ تَعَالى أبْطَلَهُ كَمَا لَو فَعَلَه لَذِلِك)(٢٠) .

فإن قيل : فإذا تاب هذا هل يعود إليه ثواب العمل ؟ قيل: إن كان قد عمله لغير الله تعالى وأوقعه بهذه النية فإنه لا ينقلب صالحًا بالتوبة، بل حَسْبَ التوبة أن تمحو

---

(١٨) حديث صحيح : رواه البخاري (٥٥٣) والنسائي (١/ ٢٣٦) وأحمد (٥/ ٣٤٩، ٣٥٠، ٣٥٧) من حديث بريدة بن الحصيب.

(١٩) ضعيف الإسناد لجهالة العالية : أخرجه عبد الرزاق في مصنفه ٨/ ١٨٥ رقم (١٤٨١٣) عن الثوري عن أبي إسحاق عن امرأته قالت: سمعت امرأة أبي السفر تقول سألت عائشة. وأخرجه الدارقطني في سنده ٣/ ٥٢ رقم (٢١١، ٢١٢) من طريق معمر بن راشد عن أبي إسحاق عن امرأته. ومن طريق شيبان بن عبد الرحمن عن يونس بن أبي إسحاق عن أمه. وعزاه المعلق على الكتاب - أبو الطيب العظيم آبادي - لأحمد في مسنده من طريق محمد بن جعفر عن شعبة عن أبي إسحاق عن امرأته أنها دخلت على عائشة هي وأم ولد زيد بن أرقم. ولم أقف عليه في المسند وليس هو في مسند عائشة. وأسانيد هذا الأثر صحيحة إلى أبي إسحاق وقد ضعفه الدارقطني بجهالة العالية امرأة أبي إسحاق. وقد نقل المعلق على سنن الدارقطني عن ابن الجوزي قوله: بل هي امرأة معروفة جليلة القدر ذكرها ابن سعد في الطبقات فقال العالية بنت أنفع بن شراحيل امرأة أبي إسحاق السبيعي سمعت عن عائشة انتهى كلامه ا هـ.

(٢٠) ضعيف : أخرجه الخطيب البغدادي في تاريخه ٦/ ٣٦ من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه مرفوعًا بنحوه، وفي إسناده إسماعيل بن أبي زياد، وأبان بن عياش وكلاهما ضعيف.

وقد استشكل البعض كيف تكون مثل هذه الأمور محبطة للعمل وهي ليست بشرك أو في منزلته. وقد أجاب ابن القيم عن ذلك في كتابيه زاد المعاد ٣/ ٤٢٥، وتارك الصلاة ص ٥٧؛ فذكر أن الحبوط نوعان: عام وخاص. فالعام حبوط الحسنات كلها بالردة. والسيئات كلها بالتوبة. والخاص حبوط السيئات والحسنات بعضها ببعض. وهذه النصوص دالة على تدافع الحسنات والسيئات، وأن القوي منها يُذهب أثر الضعيف.

عنه عقابه فيصير لا له ولا عليه. وأما إن عمله لله تعالى خالصًا، ثم عَرَضَ له عجب ورياء أو تحدث به ثم تاب من ذلك وندم فهذا قد يعود له ثواب عمله ولا يحبط. وقد يقال: إنه لا يعود إليه بل يستأنف العمل.

والمسألة مبنية على أصل (٢١): وهو أن الردة هل تحبط العمل بمجردها أو لا يحبطه إلا الموت عليها ؟. فيها للعلماء قولان مشهوران، وهما روايتان عن الإمام أحمد رضي الله عنه. فإن قلنا تحبط العمل بنفسها فمتى أسلم استأنف العمل وبطل ما كان قد عمل قبل الإسلام. وإن قلنا لا يحبط العمل إلا إذا مات مرتدًا، فمتى عاد إلى الإسلام عاد إليه ثواب عمله. وهكذا العبد إذا فعل حسنة ثم فعل سيئة تحبطها ثم تاب من تلك السيئة هل يعود إليه ثواب تلك الحسنة المتقدمة ؟ يخرج على هذا الأصل.

ولم يزل في نفسي من هذه المسألة، ولم أزل حريصًا على الصواب فيها وما رأيت أحدًا شفي فيها، والذي يظهر - والله تعالى أعلم وبه المستعان ولا قوة إلا به - أن الحسنات والسيئات تتدافع وتتقابل ويكون الحكم فيها للغالب وهو يقهر المغلوب ويكون الحكم له حتى كأن المغلوب لم يكن، فإذا غلبت على العبد الحسنات رفعت حسناته الكثيرة سيئاته، ومتى تاب من السيئة ترتبت على توبته منها حسناتٌ كثيرة قد تربى وتزيد على الحسنة التي حبطت بالسيئة، فإذا عزمت التوبة وصحت ونشأت من صميم القلب أحرقت ما مرت عليه من السيئات حتى كأنها لم تكن، فإن التائب من الذنب لا ذنب له.

وقد سأل حكيم بن حزام رضى الله عنه النبي ﷺ عن عتاقة وصلة وبر فعله في الشرك: هل يثاب عليه؟ فقال النبي ﷺ: «**أَسْلَمْتَ عَلَى مَا أَسْلَفْتَ مِنْ خَيْرٍ**» (٢٢). فهذا يقتضي أن الإسلام أعاد عليه ثواب تلك الحسنات التي كانت باطلة بالشرك فلما تاب من الشرك عاد إليه ثواب حسناته المتقدمة. فهكذا إذا تاب العبد توبة نصوحًا صادقة خالصة أحرقت ما كان قبلها من السيئات وأعادت عليه ثواب حسناته، يوضح هذا أن السيئات والذنوب هي أمراض قلبية، كما أن الحمى والأوجاع أمراض بدنية، والمريض إذا عوفي من مرضه عافية تامة عادت إليه قوته وأفضل منها حتى كأنه لم يضعف قط.

(٢١) لاحظ أن الكلام هنا عن توبة المرتد، وليس عن إسلام الكافر، فبينهما فرق لا يخفى.
(٢٢) حديث صحيح: رواه البخاري (٢٢٢٠) ومسلم (١٢٣ فؤاد) (٣١٦ قلعجي).

فالقوة المتقدمة بمنْزلة الحسنات، والمرض بمنْزلة الذنوب، والصحة والعافية بمنْزلة التوبة، وكما أن من المرضى من لا تعود إليه صحته أبدًا ؛ لضعف عافيته، ومنهم من تعود صحته كما كانت ؛ لتقاوم الأسباب وتدافعها، ويعود البدن إلى كماله الأول، ومنهم من تعود صحته أصح مما كانت، وأقوى وأنشط لقوة أسباب العافية، وقهرها، وغلبتها لأسباب الضعف والمرض، حتى ربما كان مرض هذا سببًا لعافيته (٢٣) كما قال الشاعر:

لعلَّ عتبَك محمودٌ عواقبه ... وربما صحَّتِ الأجسامُ بالعللِ

فهكذا العبد بعد التوبة على هذه المنازل الثلاث. والله الموفق لا إله غيره ولا رب سواه.

* * *

دلائل تعظيم الأمر والنهي

فصل: وأما علامات تعظيم المناهي، فالحرص على التباعد من مظانها وأسبابها وما يدعو إليها، ومجانبة كل وسيلة تقرب منها، كمن يهرب من الأماكن التي فيها الصور التي تقع بها الفتنة خشية الافتتان بها. وأن يدع ما لا بأس به حذرًا مما به بأس، وأن يجانب الفضول من المباحات خشية الوقوع في المكروه، ومجانبة من يجاهر بارتكابها ويحسنها ويدعو إليها ويتهاون بها ولا يبالي ما ركب منها، فإن مخالطة مثل هذا داعية إلى سخط الله تعالى وغضبه، ولا يخالطه إلا من سقط من قلبه تعظيم الله تعالى وحرماته.

ومن علامات تعظيم الله أن يغضب لله عز وجل إذا انتهكت محارمه، وأن يجد في قلبه حزنًا وكسرة إذا عُصى الله تعالى في أرضه، ولم يُضْلَع بإقامة حدوده وأوامره (٢٤)، ولم يستطع هو أن يغير ذلك.

ومن علامات تعظيم الأمر والنهي ألا يسترسل مع الرخصة إلى حد يكون صاحبه

---

(٢٣) راجع هذا المعنى في طريق الهجرتين ص ٣٥٤ - ٣٥٦ ومدارج السالكين ١/ ٢٢٠ - ٢٢٢ وقد أفاد ابن القيم في مدارج السالكين ١/ ٢٢١ أن ذلك مما استفاده من شيخ الإسلام ابن تيمية.

(٢٤) يُضْلَع بالبناء للمجهول، من ضَلِعَ إذا ثقل فهو ضليع أن ثقيل. ورجل ضليع: يتحمل الأثقال.

والمقصود: أن يحزن العبد إذا لم يقم ولاة الأمر بثقل إقامة حدود الله وشريعته مطبقين لها ومدافعين عنها. ولم يستطع هو القيام بذلك بنفسه.

جافيًا غير مستقيم على المنهج الوسط، مثال ذلك: أن السنة وردت بالإبراد بالظهر في شدة الحر[٢٥] فالترخص الجافي أن يبرد إلى فوات الوقت أو مقاربة خروجه فيكون مترخصًا جافيًا، وحكمة هذه الرخصة أن الصلاة في شدة الحر تمنع صاحبها من الخشوع والحضور ويفعل العبادة بتكره وضجر، فمن حكمة الشارعﷺ أن أمرهم بتأخيرها حتى ينكسر الحر فيصلي العبد بقلب حاضر، ويحصل له مقصود الصلاة من الخشوع والإقبال على الله تعالى. ومن هذا نهيهﷺ أن يصلي الرجل بحضرة الطعام أو عند مدافعة البول والغائط[٢٦]، لتعلق قلبه من ذلك بما يشوش عليه مقصود الصلاة ولا يحصل المراد منها، فمن فقه الرجل في عبادته أن يقبل على شغله فيعمله، ثم يفرغ قلبه للصلاة فيقوم فيها وقد فرّغ قلبه لله تعالى ونصب وجهه له وأقبل بكليته عليه، فركعتان من هذه الصلاة يغفر للمصلي بهما ما تقدم من ذنبه[٢٧].

والمقصود: ألا يترخص ترخصًا جافيًا، ومن ذلك أنه رخص للمسافر في الجمع بين الصلاتين عند العذر، وتعذر فعل كل صلاة في وقتها لمواصلة السير، وتعذر النُّزول أو تعسره عليه، فإذا قام في المنزل اليومين والثلاثة أو أقام اليوم فجمع بين الصلاتين لا موجب له؛ لتمكنه من فعل كل صلاة في وقتها من غير مشقة، فالجمع ليس سنة راتبة كما يعتقد أكثر المسافرين أن سنة السفر الجمع سواء وجد عذر أو لم يوجد، بل الجمع رخصة، والقصر سنة راتبة، فسنة المسافر قصر الرباعية سواء كان له عذر أو لم يكن، وأما جمعه بين الصلاتين فحاجة ورخصة، فهذا لون وهذا لون. ومن هذا أن الشبع في الأكل رخصة غير محرمة فلا ينبغي أن يجفو العبد فيها حتى يصل به الشبع إلى حد التخمة والامتلاء فيتطلب ما يصرف به الطعام فيكون همه بطنه قبل الأكل وبعده، بل ينبغي للعبد أن يجوع ويشبع ويدع

---

(٢٥) روى البخاري (٥٣٩) ومسلم (٦١٦ فؤاد) (١٣٧٤ قلعجي) وغيرهما من حديث أبي ذر أن رسول اللهﷺ قال: «إن شدة الحر من فَيْح جهنم. فإذا اشتد الحر فأبردوا بالصلاة».
والإبراد لا يكون إلا في الظهر وهو أن تؤخر الصلاة عن أول وقتها في الحر حتى يتناقص الحر ويكون للحيطان ظل يمشي الناس فيه.

(٢٦) روى مسلم (٦٥٠ فؤاد)، (١٢٢٤ قلعجي) وأبو داود (٨٩) عن عائشة رضي الله عنها أن رسول اللهﷺ قال: «لا صلاة بحضرة طعام، ولا وهو يدافعه الأخبثان». والأخبثان هما: البول والغائط. ومعنى يدافعه الأخبثان: أي وهو محتقن بهما أو بأحدهما.

(٢٧) روى النسائي (١/ ٩٥) عن عقبة بن نافع الجهني أن رسول اللهﷺ قال: «من توضأ فأحسن الوضوء، ثم صلى ركعتين يُقبل عليهما بقلبه ووجهه وجبت له الجنة». والحديث صحيح.

الطعام وهو يشتهيه، وميزان ذلك قول النبي ﷺ **«ثُلُثٌ لِطَعَامِهِ، وَثُلُثٌ لِشَرَابِهِ، وَثُلُثٌ لِنَفَسِهِ»** (٢٨). ولا يجعل الثلاثة الأثلاث كلها للطعام وحده.

وأما تعريض الأمر والنهي للتشديد الغالي فهو كمن يتوسوس في الوضوء متغاليًا فيه حتى يفوت الوقت، أو يردد تكبيرة الإحرام إلى أن تفوته مع الإمام قراءة الفاتحة أو يكاد تفوته الركعة، أو يتشدد في الورع الغالي حتى لا يأكل شيئا من طعام عامة المسلمين خشية دخول الشبهات عليه. ولقد دخل هذا الورع الفاسد على بعض العباد الذين نقص حظهم من العلم حتى امتنع أن يأكل شيئًا من بلاد الإسلام وكان يتقوت بما يحمل إليه من بلاد النصارى ويبعث بالقصد لتحصيل ذلك، فأوقعه الجهل المفرط، والغلو الزائد في إساءة الظن بالمسلمين، وحسن الظن بالنصارى نعوذ بالله من الخذلان.

فحقيقة التعظيم للأمر والنهي ألا يعارضا بترخص جاف، ولا يعرضا لتشديد غال. فإن المقصود هو الصراط المستقيم الموصل إلى الله عز وجل بسالكه، وما أمر الله عز وجل بأمر إلا وللشيطان فيه نزغتان: إما تقصير وتفريط، وإما إفراط وغلو. فلا يبالي بما ظفر من العبد من الخطيئتين، فإنه يأتي إلى قلب العبد فيستامه (٢٩)، فإن وجد فيه فتورًا وتوانيًا وترخيصًا أخذه من هذه الخطة فثبطه وأقعده وضربه بالكسل والتواني والفتور، وفتح له باب التأويلات والرجاء وغير ذلك، حتى ربما ترك العبد المأمور جملة.

وإن وجد عنده حذرًا وجدًا وتشميرًا ونهضة وأيس أن يأخذه من هذا الباب أمره بالاجتهاد الزائد وسوَّل له أن هذا لا يكفيك وهمتك فوق هذا، وينبغي لك أن تزيد على العاملين، وألا ترقد إذا رقدوا، ولا تفطر إذا أفطروا، وألا تفتر إذا فتروا، وإذا غسل أحدهم يديه ووجهه ثلاث مرات فاغسل أنت سبعًا، وإذا توضأ للصلاة فاغتسل أنت لها، ونحو ذلك من الإفراط والتعدي، فيحمله على الغلو والمجاوزة وتعدي الصراط المستقيم، كما يحمل الأول على التقصير دونه وأن لا يقربه، ومقصوده من الرَّجُلَينِ إخراجهما عن الصراط المستقيم: هذا بألا يقربه ولا يدنو منه، وهذا بأن يجاوزه ويتعداه. وقد فتن بهذا أكثر الخلق، ولا ينجي من ذلك إلا

(٢٨) حديث صحيح: رواه الترمذي (٢٣٨٧) وابن ماجه (٣٣٤٩) وأحمد (٤/١٣٢) وقال الترمذي هذا حديث حسن صحيح. والحديث صحيح.

(٢٩) استامه: اختبره.

علم راسخ، وإيمان وقوة على محاربته ولزوم الوسط. والله المستعان.

ومن علامات تعظيم الأمر والنهي: ألا يحمل الأمر على علة تضعف الانقياد والتسليم لأمر الله عز وجل، بل يسلم لأمر الله تعالى وحكمه ممتثلاً ما أمر به سواء ظهرت له حكمته أو لم تظهر، فإن ظهرت له حكمة الشرع في أمره ونهيه حمله ذلك على مزيد الانقياد والبذل والتسليم، ولا يحمله ذلك على الانسلاخ منه وتركه جملة كما حمل ذلك كثيرًا من زنادقة الفقراء والمنتسبين إلى التصوف، فإن الله عز وجل شرع الصلوات الخمس إقامة لذكره واستعمالاً للقلب والجوارح واللسان في العبودية، وإعطاء كل منها قسطه من العبودية التي هي المقصود بخلق العبد، فوضعت الصلاة على أكمل مراتب العبودية.

فإن الله سبحانه وتعالى خلق هذا الآدمي واختاره من بين سائر البرية، وجعل قلبه محل كنوزه من الإيمان والتوحيد والإخلاص والمحبة والحياء والتعظيم والمراقبة، وجعل ثوابه إذا قدم عليه أكمل الثواب وأفضله، وهو النظر إلى وجهه والفوز برضوانه ومجاورته في جنته، وكان مع ذلك قد ابتلاه بالشهوة والغضب والغفلة، وابتلاه بعدوه إبليس لا يفتر عنه، فهو يدخل عليه من الأبواب التي هي من نفسه وطبعه فتميل نفسه معه ؛ لأنه يدخل عليها بما تحب، فيتفق هو ونفسه وهواه على العبد: ثلاثة مسلطون آمرون، فيبعثون الجوارح في قضاء وطرهم، والجوارح آلة منقادة فلا يمكنها إلا الانبعاث، فهذا شأن هذه الثلاثة وشأن الجوارح، فلا تزال الجوارح في طاعتهم كيف أمروا وأين يمموا.

هذا مقتضى حال العبد، فاقتضت رحمة ربه العزيز الرحيم به أن أعانه بجند آخر وأمده بمدد آخر يقاوم به هذا الجند الذي يريد هلاكه، فأرسل إليه رسوله وأنزل عليه كتابه وأيده بملك كريم يقابل عدوه الشيطان، فإذا أمره الشيطان بأمر أمره الملك بأمر ربه وبين له ما في طاعة العدو من الهلاك، فهذا يلم به مرة وهذا مرة، والمنصور من نصره الله عز وجل، والمحفوظ من حفظه الله تعالى(٣٠) .

وجعل له مقابل نفسه الأمارة نفسًا مطمئنة إذا أمرته النفس الأمارة بالسوء نهته عنه

(٣٠) روى الترمذي (٢٩٩٩) عن عبد الله بن مسعود مرفوعًا، وابن جرير في تفسيره (٣/ ٨٨) عند تفسير قوله تعالى: ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الفَقْرَ﴾. مرفوعًا وموقوفًا: «إن للشيطان لَمَّة بابن آدم، وللملك لمة. فأما لمة الشيطان فإيعاد بالشر وتكذيب بالحق. وأما لمة الملك فإيعاد بالخير وتصديق بالحق. فمن وجد ذلك فليعلم أنه من الله فليحمد الله. ومن وجد الأخرى فليتعوذ بالله من الشيطان الرجيم». والموقوف صحيح.

النفس المطمئنة، وإذا نهته الأمارة عن الخير أمرته به النفس المطمئنة. فهو يطيع هذه مرة وهذه مرة، وهو للغالب منهما، وربما انقهرت إحداهما بالكلية قهرًا لا تقوم معه أبدًا. وجعل له مقابل الهوى الحامل له على طاعة الشيطان والنفس الأمارة نورًا وبصيرة وعقلاً يرده عن الذهاب مع الهوى، فكلما أراد أن يذهب مع الهوى ناداه العقل والبصيرة والنور: الحذر الحذر، فإن المهالك والمتالف بين يديك وأنت صيد الحرامية وقطاع الطريق إن سرت خلف هذا الدليل. فهو يطيع الناصح مرة فيبين له رشده ونصحه، ويمشي خلف دليل الهوى مرة فيقطع عليه الطريق ويؤخذ ماله ويسلب ثيابه فيقول: ترى من أين أتيت ؟

والعجب أنه يعلم من أين أُتِيَ، ويعرف الطريق التي قطعت عليه وأخذ فيها ويأبى إلا سلوكها ؛ لأن دليلها قد تمكن منه، وتحكم فيه وقوي عليه، ولو أضعفه بالمخالفة له، وزجره إذا دعاه، ومحاربته إذا أراد أخذه لم يتمكن منه، ولكن هو مكنه من نفسه وهو أعطاه يده، فهو بمنزلة الرجل يضع يده في يد عدوه فيأسره ثم يساومه سوء العذاب، فهو يستغيث فلا يغاث، فهكذا يستأسر للشيطان والهوى ولنفسه الأمارة ثم يطلب الخلاص فيعجز عنه.

فلما أن بُلِيَ العبد بما بُلِيَ به أعين بالعساكر والعُدَدِ والحصون، وقيل: قاتل عدوك وجاهده، فهذه الجنود خذ منها ما شئت، وهذه الحصون تحصن بأي حصن شئت منها ورابط إلى الموت، فالأمر قريب ومدة المرابطة يسيرة جدًا، فكأنك بالملك الأعظم وقد أرسل إليك رسله فنقلوك إلى داره واسترحت من هذا الجهاد وفرق بينك وبين عدوك وأطلقت في دار الكرامة تتقلب فيها كيف شئت وسجن عدوك في أصعب الحبوس وأنت تراه. فالسجن الذي كان يريد أن يودعك فيه قد أدخله وأغلقت عليه أبوابه وأيس من الروح [٣١] والفرج، وأنت فيما اشتهت نفسك، وقرت عينك، جزاء على صبرك في تلك المدة اليسيرة ولزومك الثغر للرباط، وما كانت إلا ساعة ثم انقضت وكأن الشدة لم تكن.

فإن ضعفت النفس عن ملاحظة قصر الوقت وسرعة انقضائه فليتدبر قوله - عز وجـــــل -: ﴿فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ﴾ [الأحقاف: ٣٥]، وقوله عز وجل: ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ

(٣١) راح رَوْحًا ورَواحًا: عاد ورجع، ويوم رَوْح: طيب الريح يرتاح الناس فيه. والمعنى أنه قد يئس أن يعود إلى الدنيا أو يرتاح في سجنه في نار جهنم. عياذًا بالله.

يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا﴾ [النازعات: ٤٦] ، وقوله عز وجل: ﴿قَٰلَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِى ٱلْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ قَالُواْ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَسْـَٔلِ ٱلْعَآدِّينَ قَٰلَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا لَّوْ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[المؤمنون: ١١٢-١١٤] ، وقوله عز وجل: ﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ وَنَحْشُرُ ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا يَتَخَٰفَتُونَ بَيْنَهُمْ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا﴾[طه: ١٠٢-١٠٤] وخطب النبي ﷺ أصحابه يومًا، فلما كانت الشمس على رءوس الجبال وذلك عند الغروب قال: «**إِنَّهُ لَمْ يَبْقَ مِنَ الدُّنْيَا فِيمَا مَضَى مِنْهَا إلا كَمَا بَقِيَ مِنْ يَوْمِكُمْ هَذَا فِيمَا مَضَى مِنْهُ**»[٣٢] .

فليتأمل العاقل الناصح لنفسه هذا الحديث، وليعلم أي شيء حصل له من هذا الوقت الذي قد بقي في الدنيا بأسرها، ليعلم أنه في غرور وأضغاث أحلام، وأنه قد باع سعادة الأبد والنعيم المقيم بحظ خسيس لا يساوي شيئًا، ولو طلب الله تعالى والدار الآخرة لأعطاه ذلك الحظ موفورًا وأكمل منه، كما في بعض الآثار: ابن آدم بع الدنيا بالآخرة تربحهما جميعًا، ولا تبع الآخرة بالدنيا تخسرهما جميعًا. وقال بعض السلف: ابن آدم، أنت محتاج إلى نصيبك من الدنيا، وأنت إلى نصيبك من الآخرة أحوج. فإن بدأت بنصيبك من الدنيا أضعت نصيبك من الآخرة وكنت من نصيب الدنيا على خطر، وإن بدأت بنصيبك من الآخرة فزت بنصيبك من الدنيا فانتظمته انتظامًا.

وكان عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه يقول في خطبته: أيها الناس، إنكم لم تخلقوا عبثًا، ولم تتركوا سدى. وإن لكم معادًا يجمعكم الله عز وجل فيه للحكم فيكم، والفصل بينكم، فخاب وشقي عبد أخرجه الله عز وجل من رحمته التي وسعت كل شيء، وجنته التي عرضها السموات والأرض. وإنما يكون الأمان غدًا لمن خاف الله تعالى واتقى، وباع قليلاً بكثير، وفانيًا بباق، وشقاوة بسعادة، ألا ترون أنكم في أسلاب الهالكين[٣٣] ، وسيخلفه بعدكم الباقون ؟ ألا ترون أنكم في

(٣٢) ضعيف: أخرجه ابن المبارك في الزهد ١٥٩٣، وهو جزء من حديث طويل رواه أحمد في مسنده (٣/ ١٩)، والترمذي (٢١٩٨)، وفي إسناده علي بن زيد بن جدعان وهو ضعيف، وقال ابن القيم - في عدة الصابرين ص (٢٣٥) - موضحًا هذا الحديث: فالدنيا كلها كيوم واحد بعث رسول الله ﷺ في آخره، قبل غروب شمسه بيسير. ا هـ.

(٣٣) في كل النسخ التي اطلعت عليها: في أصلاب الهالكين. بالصاد وهو تحريف ظاهر لا يستقيم المعنى به، وصوابه أسلاب بالسين جمع سَلَب. وهو بمعنى قول الله سبحانه: ﴿وَسَكَنتُمْ فِي مَسَاكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ﴾. وقد وردت خطبة عمر بن عبد العزيز هذه في عيون الأخبار لابن قتيبة ٢/

كل يوم تشيعون غاديًا رائحًا إلى الله قد قضى نحبه، وانقطع أمله، فتضعونه في بطن صدع من الأرض غير موسد ولا ممهد، قد خلع الأسباب، وفارق الأحباب، وواجه الحساب ؟

والمقصود: أن الله عز وجل قد أمد العبد في هذه المدة اليسيرة بالجنود والعدد والأمداد، وبين له بماذا يحرز نفسه من عدوه (٣٤)، وبماذا يُفَتكُّ نفسه إذا أُسِر. وقد روى الإمام أحمد رضي الله عنه والترمذي من حديث الحارث الأشعري عن النبي ﷺ أنه قال: **«إِنَّ اللَّهَ أَمَرَ يَحْيَى بْنَ زَكَرِيَّا ﷺ بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ أَنْ يَعْمَلَ بِهَا، وَيَأْمُرَ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنْ يَعْمَلُوا بِهَا، وَإِنَّهُ كَادَ أَنْ يُبْطِئَ بِهَا، فَقَالَ له عِيسَى عليه السلام: إِنَّ اللَّهَ أَمَرَكَ بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ ؛ لِتَعْمَلَ بِهَا، وَتَأْمُرَ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنْ يَعْمَلُوا بِهَا، فَإِمَّا أَنْ تَأْمُرَهُمْ، وَإِمَّا أَنْ آمُرَهُمْ، فَقَالَ يَحْيَى: أَخْشَى إِنْ سَبَقْتَنِي بِهَا أَنْ يُخْسَفَ بِي أَوْ أُعَذَّبَ، فَجَمَعَ النَّاسَ فِي بَيْتِ الْمَقْدِسِ فَامْتَلأَ الْمَسْجِدُ، وَقَعَدُوا عَلَى الشُّرَفِ (٣٥)، فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وتَعالى أَمَرَنِي بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ أَنْ أَعْمَلَ بِهِنَّ وَآمُرَكُمْ أَنْ تَعْمَلُوا بِهِنَّ: أَوَّلُهُنَّ أَنْ تَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَإِنَّ مَثَلَ مَنْ أَشْرَكَ بِاللَّهِ كَمَثَلِ رَجُلٍ اشْتَرَى عَبْدًا مِنْ خَالِصِ مَالِهِ بِذَهَبٍ أَوْ وَرِقٍ (٣٦)، فَقَالَ لَه: هَذِهِ دَارِي، وَهَذَا عَمَلِي، فَاعْمَلْ وَأَدِّ إِلَيَّ، فَكَانَ يَعْمَلُ وَيُؤَدِّي إِلَى غَيْرِ سَيِّدِهِ ! فَأَيُّكُمْ يَرْضَى أَنْ يَكُونَ عَبْدُهُ كَذَلِكَ ؟ وَإِنَّ اللَّهَ أَمَرَكُمْ بِالصَّلَاةِ، فَإِذَا صَلَّيْتُمْ فَلَا تَلْتَفِتُوا، فَإِنَّ اللَّهَ يَنْصِبُ وَجْهَهُ لِوَجْهِ عَبْدِهِ فِي صَلَاتِهِ مَا لَمْ يَلْتَفِتْ، وَآمُرُكُمْ بِالصِّيَامِ، فَإِنَّ مَثَلَ ذَلِكَ كَمَثَلِ رَجُلٍ فِي عِصَابَةٍ مَعَهُ صُرَّةٌ فِيهَا مِسْكٌ فَكُلُّهُمْ يَعْجَبُ أَوْ يُعْجِبُهُ رِيحُهَا، وَإِنَّ رِيحَ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ، وَآمُرُكُمْ بِالصَّدَقَةِ، فَإِنَّ مَثَلَ ذَلِكَ كَمَثَلِ رَجُلٍ أَسَرَهُ الْعَدُوُّ، فَأَوْثَقُوا يَدَهُ إِلَى عُنُقِهِ وَقَدَّمُوهُ لِيَضْرِبُوا عُنُقَهُ، فَقَالَ: أَنَا أَفْتَدِي مِنْكُمْ بِالْقَلِيلِ وَالْكَثِيرِ، فَفَدَى نَفْسَهُ مِنْهُمْ، وَآمُرُكُمْ أَنْ تَذْكُرُوا اللَّهَ تَعَالى، فَإِنَّ مَثَلَ**

---

٢٤٦ ولفظ هذه الجملة هكذا: «ألا ترون أنكم في أسلاب الهالكين، وستكون من بعدكم للباقين، حتى ترد إلى خير الوارثين». ا هـ وقد أوردها ابن كثير (٣/ ٢٦٧) وابن أبي حاتم بالصاد «أصلاب» لكن المعنى مخالف والعبارة عندهم: ألا ترون أنكم من أصلاب الهالكين وسيكون من بعدكم الباقين، حتى تردوا إلى خير الوارثين. ا هـ.

(٣٤) يحرز: يحمي ويحصن.

(٣٥) الشُّرَف جمع شُرْفة. وهي الموضع العالي في البناء. والمقصود أنهم جلسوا على الأماكن العالية التي تطل على المسجد ليستمعوا. حيث كان المسجد قد امتلأ.

(٣٦) الوَرِق: الفضة.

ذَلِكَ كَمَثَلِ رَجُلٍ خَرَجَ الْعَدُوُّ فِي أَثَرِهِ سِرَاعًا حَتَّى إِذَا أَتَى عَلَى حِصْنٍ حَصِينٍ فَأَحْرَزَ نَفْسَهُ مِنْهُمْ، كَذَلِكَ الْعَبْدُ لَا يُحْرِزُ نَفْسَهُ مِنَ الشَّيْطَانِ إِلَا بِذِكْرِ اللَّهِ». قال النبي ﷺ: «**وَأَنَا آمُرُكُمْ بِخَمْسٍ اللَّهُ أَمَرَنِي بِهِنَّ: السَّمْعُ، وَالطَّاعَةُ، وَالْجِهَادُ، وَالْهِجْرَةُ، وَالْجَمَاعَةُ، فَإِنَّهُ مَنْ فَارَقَ الْجَمَاعَةَ قِيدَ شِبْرٍ فَقَدْ خَلَعَ رِبْقَةَ الاسْلَامِ مِنْ عُنُقِهِ، إِلَا أَنْ يَرْجِعَ، وَمَنْ ادَّعَى دَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ فَإِنَّهُ مِنْ جُثَا جَهَنَّمَ**». فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَإِنْ صَلَّى وَصَامَ؟ قَالَ: «**وَإِنْ صَلَّى وَصَامَ، وزَعَمَ أَنَّه مُسْلِمٌ، فَادْعُوا بِدَعْوَى اللَّهِ الَّذِي سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ الْمُؤْمِنِينَ عِبَادَ اللَّهِ**». قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح (٣٧).

فقد ذكر ﷺ في هذا الحديث العظيم الشأن - الذي ينبغي لكل مسلم حفظه وتعقله - ما ينجي من الشيطان وما يحصل للعبد به الفوز والنجاة في دنياه وأخراه، فذكر مثل الموحد والمشرك، فالموحد كمن عمل لسيده في داره وأدى لسيده ما استعمله فيه، والمشرك كمن استعمله سيده في داره فكان يعمل ويؤدي خراجه وعمله إلى غير سيده، فهكذا المشرك يعمل لغير الله تعالى في دار الله تعالى ويتقرب إلى عدو الله بنعم الله تعالى. ومعلوم أن العبد من بني آدم لو كان مملوكه كذلك لكان أمقت المماليك عنده وكان أشد شيء غضبًا عليه وطردًا له وإبعادًا، وهو مخلوق مثله كلاهما في نعمة غيرهما، فكيف برب العالمين الذي ما بالعبد من نعمة فمنه وحده لا شريك له، ولا يأتي بالحسنات إلا هو، ولا يصرف السيئات إلا هو، وهو وحده المنفرد بخلق عبده ورحمته وتدبيره ورزقه ومعافاته وقضاء حوائجه، فكيف يليق به مع هذا أن يعدل به غيره في الحب والخوف والرجاء والحلف والنذر والمعاملة، فيحب غيره كما يحبه أو أكثر، ويخاف غيره ويرجوه كما يخافه أو أكثر، وشواهد أحوالهم - بل وأقوالهم وأعمالهم - ناطقة بأنهم يحبون أنداده (٣٨) من الأحياء والأموات ويخافونهم ويرجونهم ويطلبون رضاءهم ويهربون من سخطهم أعظم مما يحبون الله تعالى ويخافون ويرجون ويهربون من

---

(٣٧) صحيح: رواه الترمذي (٢٨٧٢) وأحمد (٤/ ٢٠٢) وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح غريب. اهـ والحديث صحيح. وقد خلط المصنف في بعض ألفاظ الحديث بين رواية الترمذي ورواية أحمد، والغالب عليه لفظ الترمذي.

(٣٨) أنداده بحسب ادعائهم. لا في حقيقة الأمر، فإنه سبحانه لا سمي له ولا نظير ولا مكافئ ولا ند ولا ظهير. فقول المصنف: أنداده. فيه تجوز. كقوله تعالى: ﴿نَادُوا شُرَكَائِيَ﴾ أي شركائي بحسب زعمكم.

سخطه، وهذا هو الشرك الذي لا يغفره الله عز وجل، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨].

والظلم عند الله عز وجل يوم القيامة له دواوين ثلاثة: ديوان لا يغفر الله منه شيئًا، وهو الشرك به، فإن الله لا يغفر أن يشرك به. وديوان لا يترك الله تعالى منه شيئًا، وهو ظلم العباد بعضهم بعضًا، فإن الله تعالى يستوفيه كله. وديوان لا يعبأ الله به شيئًا، وهو ظلم العبد نفسه بينه وبين ربه عز وجل، فإن هذا الديوان أخف الدواوين وأسرعها محوًا، فإنه يمحى بالتوبة والاستغفار والحسنات الماحية والمصائب المكفرة ونحو ذلك، بخلاف ديوان الشرك فإنه لا يمحى إلا بالتوحيد، وديوان المظالم لا يمحى إلا بالخروج منها إلى أربابها واستحلالهم منها.

ولما كان الشرك أعظم الدواوين الثلاثة عند الله عز وجل حرم الجنة على أهله، فلا تدخل الجنة نفس مشركة، وإنما يدخلها أهل التوحيد فإن التوحيد هو مفتاح بابها، فمن لم يكن معه مفتاح لم يفتح له بابها، وكذلك إن أتى بمفتاح لا أسنان له لم يمكن الفتح به (٣٩). وأسنان هذا المفتاح هي: الصلاة، والصيام، والزكاة، والحج، والجهاد، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وصدق الحديث، وأداء الأمانة، وصلة الرحم، وبر الوالدين. فأي عبد اتخذ في هذه الدار مفتاحًا صالحًا من التوحيد وركب فيه أسنانًا من الأوامر جاء يوم القيامة إلى باب الجنة ومعه مفتاحها الذي لا يفتح إلا به فلم يَعُقْه عن الفتح عائق، اللهم إلا أن تكون له ذنوب وخطايا وأوزار لم يذهب عنه أثرها في هذه الدار بالتوبة والاستغفار، فإنه يحبس عن الجنة حتى يتطهر منها، وإن لم يطهره الموقف وأهواله وشدائده فلا بد من دخول النار ليخرج خبثه فيها ويتطهر من درنه ووسخه، ثم يخرج منها فيدخل الجنة فإنها دار الطيبين لا يدخلها إلا طيب. قال سبحانه وتعالى: ﴿ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمُ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ﴾ [النحل: ٣٢] وقال تعالى: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ﴾ [الزمر: ٧٣]فعقب دخولها على الطيب بحرف الفاء الذي يؤذِنُ بأنه سبب للدخول، أي بسبب طيبكم قيل لكم: ادخلوها.

---

(٣٩)سئل وهب بن مُنَبِّه: أليس مفتاح الجنة لا إله إلا الله؟ قال: «بلى، ولكن ليس مفتاح إلا له أسنان، فإن جئت بمفتاح له أسنان فتح لك وإلا لم يفتح». اهـ. أخرجه البخاري في صحيحه (٣/ ١٠٩) تعليقًا أول كتاب الجنائز، باب في الجنائز، ومن كان آخر كلامه لا إله إلا الله.

وأما النار: فإنها دار الخبث في الأقوال والأعمال والمآكل والمشارب ودار الخبيثين، فالله تعالى يجمع الخبيث بعضه إلى بعض فيركمه كما يركم الشيء لتراكب بعضه على بعض، ثم يجعله في جهنم مع أهله فليس فيها إلا خبيث (٤٠).

ولما كان الناس على ثلاث طبقات: طيب لا يشينه خبيث، وخبيث لا طيب فيه، وآخرون فيهم خبث وطيب، كانت دورهم ثلاثة: دار الطيب المحض، ودار الخبيث المحض، وهاتان الداران لا تفنيان، ودار لمن معه خبث وطيب وهي الدار التي تفنى، وهي دار العصاة، فإنه لا يبقى في جهنم من عصاة الموحدين أحد، فإنهم إذا عذبوا بقدر جزائهم أخرجوا من النار فأدخلوا الجنة، ولا يبقي إلا دار الطيب المحض، ودار الخبث المحض.

الالتفات في الصلاة

وقوله في الحديث: «**وآمُرُكُمْ بِالصَّلَاةِ، فَإِذَا صَلَّيْتُمْ فَلَا تَلْتَفِتُوا، فَإِنَّ اللَّهَ يَنْصِبُ وَجْهَهُ لِوَجْهِ عَبْدِهِ فِي صَلَاتِهِ مَا لَمْ يَلْتَفِتْ**».

الالتفات المنهي عنه في الصلاة قسمان:

أحدهما: التفات القلب عن الله عز وجل إلى غير الله تعالى.

الثاني: التفات البصر وكلاهما منهي عنه.

ولا يزال الله مقبلاً على عبده ما دام العبد مقبلاً على صلاته، فإذا التفت بقلبه أو بصره أعرض الله تعالى عنه. وقد سئل رسول الله ﷺ عن التفات الرجل في صلاته فقال: «**اخْتِلَاسٌ يَخْتَلِسُهُ الشَّيْطَانُ مِنْ صَلَاةِ الْعَبْدِ**» (٤١). وفي أثر يقول الله تعالى: (إِلَى خَيْرٍ مِنِي، إِلَى خَيْرٍ مِنِي؟) (٤٢).

ومثل من يلتفت في صلاته ببصره أو بقلبه، كمثل رجل قد استدعاه السلطان فأوقفه بين يديه وأقبل يناديه ويخاطبه، وهو في خلال ذلك يلتفت عن السلطان يمينًا وشمالاً وقد انصرف قلبه عن السلطان فلا يفهم ما يخاطبه به، لأن قلبه ليس حاضرًا

---

(٤٠) كما قال تعالى: ﴿لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضَهُ عَلَى بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُ فِي جَهَنَّمَ أُوْلَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾. [الأنفال: ٣٧].

(٤١) صحيح: أخرجه البخاري (٧٥١) و (٣٢٩١) وأبو داود (٩١٠) والترمذي (٥٩٠) والنسائي (٣/٨).

(٤٢) أورده المنذري في الترغيب والترهيب ١/ ٣٧٠ من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه مرفوعًا به، وعزاه المنذري للبزار.

معه، فما ظن هذا الرجل أن يفعل به السلطان ؟ أفليس أقل المراتب في حقه أن ينصرف من بين يديه ممقوتًا مبعدًا قد سقط من عينيه ؟.

فهذا المصلي لا يستوي والحاضر القلب المقبل على الله تعالى في صلاته الذي قد أشعر قلبه عظمة من هو واقف بين يديه فامتلأ قلبه من هيبته، وذلت عنقه له، واستحيى من ربه تعالى أن يقبل على غيره أو يلتفت عنه. وبين صلاتيهما كما قال حسان بن عطية[٤٣] : إن الرجلين ليكونان في الصلاة الواحدة، وإن ما بينهما في الفضل كما بين السماء والأرض، وذلك أن أحدهما مقبل بقلبه على الله عز وجل، والآخر ساهٍ غافل.

فإذا أقبل العبد على مخلوق مثله وبينه وبينه حجاب لم يكن إقبالاً ولا تقريبًا، فما الظن بالخالق عز وجل ؟ وإذا أقبل على الخالق عز وجل وبينه وبينه حجاب الشهوات والوساوس والنفس مشغوفة بها ملأى منها فكيف يكون ذلك إقبالاً وقد ألهته الوساوس والأفكار وذهبت به كل مذهب؟ والعبد إذا قام في الصلاة غار الشيطان منه، فإنه قد قام في أعظم مقام وأقربه وأغيظه للشيطان وأشده عليه، فهو يحرص ويجتهد ألا يقيمه فيه، بل لا يزال به يعده ويمنيه وينسيه ويجلب عليه بخيله ورجله حتى يهون عليه شأن الصلاة فيتهاون بها فيتركها. فإن عجز عن ذلك منه وعصاه العبد وقام في ذلك المقام أقبل عدو الله تعالى حتى يخطر بينه وبين نفسه، ويحول بينه وبين قلبه، فيذكره في الصلاة ما لم يذكر قبل دخوله فيها، حتى ربما كان قد نسي الشيء والحاجة وأيس منها فيذكره إياها في الصلاة ليشغل قلبه بها ويأخذه عن الله عز وجل، فيقوم فيها بلا قلب، فلا ينال من إقبال الله تعالى وكرامته وقربه ما يناله المقبل على ربه عز وجل الحاضر بقلبه في صلاته، فينصرف من صلاته مثلما دخل فيها بخطاياه وذنوبه وأثقاله لم تخفف عنه بالصلاة، فإن الصلاة إنما تكفر سيئات من أدى حقها، وأكمل خشوعها، ووقف بين يدي الله تعالى بقلبه وقالبه. فهذا إذا انصرف منها وجد خفة من نفسه، وأحس بأثقال قد وضعت عنه. فوجد نشاطًا وراحة وروحًا، حتى يتمنى أنه لم يكن خرج منها ؛

---

(٤٣) حسان بن عطية. أحد ثقات التابعين وفضلائهم. قال عنه الأوزاعي: ما أدركت أحدًا أشد اجتهادًا ولا أعمل منه. ا هـ. راجع في ترجمة حلية الأولياء، (٦/ ٧٠) وتهذيب التهذيب (٢/ ٢٥١) وغير ذلك. والأثر المذكور أخرجه ابن المبارك في الزهد ص (٣٩٤)، وأبو نعيم في الحلية (٦/ ٧١) من طريق الأوزاعي عن حسان بن عطية. ا هـ.

لأنها قرة عينيه ونعيم روحه وجنة قلبه ومستراحه في الدنيا، فلا يزال كأنه في سجن وضيق حتى يدخل فيها فيستريح بها لا منها. فالمحبون يقولون: نصلي فنستريح بصلاتنا كما قال إمامهم وقدوتهم ونبيهم ﷺ: «**يَا بِلالُ أَرِحْنَا بِالصَّلاةِ**» (٤٤) ولم يقل أرحنا منها.

وقال ﷺ: «**جُعِلَتْ قُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلاةِ**» (٤٥). فمن جعلت قرة عينه في الصلاة كيف تقر عينه بدونها، وكيف يطيق الصبر عنها ؟. فصلاة هذا الحاضر بقلبه الذي قرة عينه في الصلاة هي التي تصعد ولها نور وبرهان، حتى يستقبل بها الرحمن عز وجل فتقول: «**حَفِظَكَ اللَّهُ كَمَا حَفِظْتَنِي**»، وأما صلاة المفرط المضيع لحقوقها وحدودها وخشوعها، فإنها تلف كما يلف الثوب الخلق (٤٦) ويضرب بها وجه صاحبها وتقول: «**ضَيعَكَ اللهُ كَمَا ضَيعتَنِي**».

وقد روي في حديث مرفوع رواه بكر بن بشر عن سعيد بن سنان عن أبي الزاهرية عن أبي شجرة عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما يرفعه أنه قال: «**مَا مِنْ مُؤْمِنٍ يُتِمُ الوُضُوءَ إِلَى أَمَاكِنِه، ثُم يَقومُ إِلَى الصَّلاةِ فِي وَقْتِهَا فَيُؤَدِّيهَا لله عَزَّ وَجَلَّ لَمْ يَنْقِصْ مِنْ وَقْتِهَا وَرُكُوعِهَا وسُجُودِهَا ومَعَالِمِهَا شَيْئًا إِلَّا رُفِعَتْ لَهُ إِلَى الله عَزّ وَجَلَّ بَيْضَاء مُسْفرَة يَسْتَضِيءُ بِنُورِهَا مَا بَيْنَ الخَافِقَين حَتى يَنْتَهِي بِهَا إِلى الرَّحْمَنِ عَزَّ وَجَلَّ، وَمَنْ قَامَ إِلى الصَّلاةِ فَلَمْ يُكْمِلْ وُضُوءِها وَأَخَّرَهَا عَنْ وَقْتِهَا وَاسْتَرَقَ** (٤٧) **رِكُوعَهَا وَسُجُودَهَا وَمَعَالِمِهَا رُفِعتَ عَنْهُ سَوْدَاءَ مُظْلِمَةً، ثُمْ لَا تَجَاوزْ شَعْرَ رَأْسِهِ تَقُولُ: ضَيَّعَكَ اللَّهُ كَمَا ضَيَّعْتَنِي، ضَيَّعَكَ اللّهُ كَمَا ضَيَّعَتَنِي**» (٤٨).

---

(٤٤) صحيح: أخرجه أبو داود (٤٩٨٥) وأحمد (٥/ ٣٦٤، ٣٧١) من حديث رجل من الأنصار والحديث صحيح.

(٤٥) صحيح: أخرجه النسائي (٧/ ٦١) وأحمد (٣/ ١٢٨، ١٩٩، ٢٨٥) والحاكم ٢/ ١٦٠ من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه مرفوعًا، وقال الحاكم: صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي. والحديث صحيح.

قال المصنف في كتابه كشف الغطاء ص ١٤٠: تأمل قوله: «وجعلت قرة عيني في الصلاة» ولم يقل بالصلاة. إعلامًا بأن عينه إنما تقر بدخوله فيها، كما تقر عين المحب بملابسته لمحبوبه، وتقر عين الخائف بدخوله في محل أمنه. فقرة العين بالدخول في الشيء أكمل وأتم من قرة العين به قبل الدخول. ولما جاء إلى راحة القلب من تعبه ونصبه قال: يا بلال أرحنا بالصلاة. أي: أقمها لنستريح بها من مقاساة الشواغل. كما يستريح التعبان إذا وصل منزله وقر فيه وسكن. ا هـ.

(٤٦) الثوب الخلق: البالي.

(٤٧) استرق الشيء: سرقه.

(٤٨) ضعيف: أورده الهيثمي بنحوه في مجمع الزوائد (١/ ٣٠٢) من حديث أنس بن مالك، ثم

فالصلاة المقبولة والعمل المقبول أن يصلي العبد صلاة تليق بربه عز وجل. فإن كانت صلاة تصلح لربه تبارك وتعالى وتليق به كانت مقبولة.

والمقبول من العمل قسمان:

أحدهما : أن يصلي العبد ويعمل سائر الطاعات وقلبه متعلق بالله عز وجل ذاكر لله عز وجل على الدوام، فأعمال هذا العبد تعرض على الله عز وجل حتى تقف قبالته فينظر الله عز وجل إليها، فإذا نظر إليها رآها خالصة لوجهه مرضية قد صدرت عن قلب سليم مخلص محب لله عز وجل متقرب إليه أحبها ورضيها وقبلها.

والقسم الثاني : أن يعمل العبد الأعمال على العادة والغفلة وينوي بها الطاعة والتقرب إلى الله فأركانه مشغولة بالطاعة وقلبه لاهٍ عن ذكر الله، وكذلك سائر أعماله، فإذا رفعت أعمال هذا إلى الله عز وجل لم تقف تجاهه ولا يقع نظره عليها، ولكن توضع حيث توضع دواوين الأعمال حتى تعرض عليه يوم القيامة فتميز، فيثيبه على ما كان له منها ويرد عليه ما لم يرد وجهه به منها. فهذا قبوله لهذا العمل إثابته عليه بمخلوق من مخلوقاته من القصور والأكل والشرب والحور العين، وإثابته الأول رضا العمل لنفسه ورضاه عن معاملة عاملة وتقريبه منه وإعلاء درجته ومنزلته، فهذا يعطيه بغير حساب، فهذا لون والأول لون.

والناس في الصلاة على مراتب خمسة:

أحدها : مرتبة الظالم لنفسه المفرط وهو الذي انتقص من وضوئها ومواقيتها وحدودها وأركانها.

الثاني : من يحافظ على مواقيتها وحدودها وأركانها الظاهرة ووضوئها، لكن قد ضيع مجاهدة نفسه في الوسوسة فذهب مع الوساوس والأفكار.

الثالث : من حافظ على حدودها وأركانها وجاهد نفسه في دفع الوساوس

قال: رواه الطبراني في الأوسط وفيه عباد بن كثير، وقد أجمعوا على ضعفه. ا هـ ثم أورده في (٢/ ١٢٢) من حديث عباده بن الصامت. وقال: رواه الطبراني في الكبير والبزار بنحوه، وفيه الأحوص ابن حكيم، وثقه ابن المديني والعجلي، وضعف جماعة، وبقية رجاله موثقون. ا هـ.

وقد ورد الحديث في كنز العمال (٧/ ٣١٦ وما بعدها) برقم (١٩٠٥٢) من حديث أنس بن مالك وبرقم (١٩٠٥٣، ١٩٠٥٤، ١٩٠٥٥) من حديث عبادة بن الصامت ولم أقف عليه من حديث عبد الله بن عمرو. والإسناد الذي ذكره المصنف فيه سعيد بن سنان الحمصي، متروك. ورماه جماعة من العلماء بالوضع والكذب.

والأفكار، فهو مشغول بمجاهدة عدوه لئلا يسرق صلاته، فهو في صلاة وجهاد.

الرابع: من إذا قام إلى الصلاة أكمل حقوقها وأركانها وحدودها واستغرق قلبه مراعاة حدودها وحقوقها لئلا يضيع شيئًا منها، بل همه كله مصروف إلى إقامتها كما ينبغي وإكمالها وإتمامها، قد استغرق قلبه شأن الصلاة وعبودية ربه تبارك وتعالى فيها.

الخامس: من إذا قام إلى الصلاة قام إليها كذلك، ولكن مع هذا قد أخذ قلبه ووضعه بين يدي ربه عز وجل ناظرًا بقلبه إليه مراقبًا له ممتلئًا من محبته وعظمته، كأنه يراه ويشاهده، وقد اضمحلت تلك الوساوس والخطرات وارتفعت حجبها بينه وبين ربه، فهذا بينه وبين غيره في الصلاة أفضل وأعظم مما بين السماء والأرض، وهذا في صلاته مشغول بربه عز وجل قرير العين به.

فالقسم الأول: معاقب، والثاني: محاسب، والثالث: مكفر عنه، والرابع: مثاب، والخامس: مقرب من ربه [٤٩]؛ لأن له نصيبًا ممن جعلت قرة عينه في الصلاة، فمن قرت عينه بصلاته في الدنيا قرت عينه بقربه من ربه عز وجل في الآخرة، وقرت عينه أيضًا به في الدنيا، ومن قرت عينه بالله قرت به كل عين، ومن لم تقرَّ عينه بالله تعالى تقطعت نفسه على الدنيا حسرات، وقد روي أن العبد إذا قام يصلي قال الله عز وجل: «**ارْفَعُوا الحُجُبَ، فَإِذَا التَفَتَ قَالَ: أَرْخُوهَا**».

وقد فسر هذا الالتفات بالتفات القلب عن الله عز وجل إلى غيره، فإذا التفت إلى غيره، أرخى الحجاب بينه وبين العبد فدخل الشيطان وعرض عليه أمور الدنيا

(٤٩) هذا القسم ذكره بعينه تقي الدين بن محمد بن مفلح في كتابه «مصائب الإنسان من مكائد الشيطان» ص (١٣٥) ولعله أخذه من ابن القيم. فالأول معاقب لأنه قصَّر وأفسد. والثاني محاسب أي واقع في المشيئة إن شاء الله عاقبه لتقصيره وإن شاء عفا عنه وسامحه، والثالث مكفر عنه أي: سقطت مطالبته بها وأجزأت صلاته عنه، ولكن لا ثواب له عليها. والرابع مثاب.

وفي هذا تنبيه إلى الفرق بين شروط الصحة وشروط القبول. فالأول والثاني اختلّت فيهما شروط الصحة، فما كان الله ليقبل منهما. أما الثالث فاجتمعت في عمله شروط الصحة وافتقدت شروط القبول، فسقطت عنه المطالبة بها، ولكنه حُرم الثواب. فلا ثواب له ولا عقاب عليه. وأما الرابع والخامس فاجتمعت فيهما شروط الصحة فأجزأت صلاته عنه في الدنيا. كما اجتمعت شروط القبول فأثيب العبد على قدر ما حقق في صلاته من شروط القبول.

وهذا الفرق بين شروط الصحة وشروط القبول. نفيس فتنبه له، ولا تستطل هذا التعليق فقد قلَّ من يتفطن لهذا الفرق. وقد دل على هذا الفرق قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾ فمع أنهم حققوا في الأعمال شروط الصحة، إلا أنهم خافوا من تقصيرهم في شروط القبول.

وأراه إياها في صورة المرآة، وإذا أقبل بقلبه على الله ولم يلتفت لم يقدر الشيطان على أن يتوسط بين الله تعالى وبين ذلك القلب، وإنما يدخل الشيطان إذا وقع الحجاب، فإن فر إلى الله تعالى وأحضر قلبه فر الشيطان، فإن التفت حضر الشيطان، فهو هكذا شأنه وشأن عدوه في الصلاة.

أنواع القلوب

فصل : وإنما يقوى العبد على حضوره في الصلاة واشتغاله فيها بربه عز وجل إذا قهر شهوته وهواه، وإلا فقلب قد قهرته الشهوة وأسره الهوى ووجد الشيطان فيه مقعدًا تمكن فيه كيف يخلص من الوساوس والأفكار ؟.

والقلوب ثلاثة:

قلب خال من الإيمان وجميع الخير ، فذلك قلب مظلم قد استراح الشيطان من إلقاء الوساوس إليه ؛ لأنه قد اتخذ بيتًا ووطنًا وتحكم فيه بما يريد وتمكن منه غاية التمكن.

القلب الثاني : قلب قد استنار بنور الإيمان وأوقد فيه مصباحه لكن عليه ظلمة الشهوات وعواصف الأهوية[٥٠] ، فللشيطان هنالك إقبال وإدبار ومجالات ومطامع، فالحرب دول وسجال. وتختلف أحوال هذا الصنف بالقلة والكثرة، فمنهم من أوقات غلبته لعدوه أكثر، ومنهم من أوقات غلبة عدوه له أكثر. ومنهم من هو تارة وتارة.

القلب الثالث : قلب محشو بالإيمان قد استنار بنور الإيمان، وانقشعت عنه حجب الشهوات، وأقلعت عنه تلك الظلمات، فلنوره في صدره إشراق، ولذلك الإشراق إيقاد لو دنا منه الوسواس احترق به، فهو كالسماء التي حرست بالنجوم فلو دنا منها الشيطان يتخطاها رجم فاحترق. وليست السماء بأعظم حرمة من المؤمن، وحراسة الله تعالى له أتم من حراسة السماء، والسماء متعبد الملائكة ومستقر الوحي وفيها أنوار الطاعات، وقلب المؤمن مستقر التوحيد والمحبة والمعرفة والإيمان وفيه أنوارها، فهو حقيق أن يحرس ويحفظ من كيد العدو فلا ينال منه شيئًا إلا خطفه[٥١] .

(٥٠) **الأهوية**: جمع هوى. فإنه يجمع على أهواء وأهوية.
(٥١) **الخطفة**: الجزء المخطوف. والمقصود أنه لا ينال منه شيئًا إلا أقل القليل يأخذه بالخطف والخديعة.

وقد مثل ذلك بمثال حسن، وهو: ثلاثة بيوت: بيت للملك فيه كنوزه وذخائره وجواهره. وبيت للعبد فيه كنوز العبد، وذخائره، وجواهره، وليس جواهر الملك وذخائره. وبيت خال صفر لا شيء فيه. فجاء اللص يسرق من أحد البيوت فمن أيها يسرق ؟ فإن قلت: من البيت الخالي كان محالاً ؛ لأن البيت الخالي ليس فيه شيء يسرق، ولهذا قيل لابن عباس رضي الله عنهما: إن اليهود تزعم أنها لا توسوس في صلاتها، فقال: وما يصنع الشيطان بالقلب الخراب ؟ وإن قلت: يسرق من بيت الملك كان ذلك كالمستحيل الممتنع، فإن عليه من الحرس واليزك (٥٢) ما لا يستطيع اللص الدنو منه، كيف وحارسه الملك بنفسه ؟ وكيف يستطيع اللص الدنو منه وحوله من الحرس والجند ما حوله ؟ فلم يبق للص إلا البيت الثالث فهو الذي يشن عليه الغارات.

فليتأمل اللبيب هذا المثال حق التأمل ولينزِله على القلوب فإنها على منواله. فقلب خلا من الخير كله وهو قلب الكافر والمنافق فذلك بيت الشيطان قد أحرزه لنفسه واستوطنه واتخذه سكنًا ومستقرًا، فأي شيء يسرق منه وفيه خزائنه وذخائره وشكوكه وخيالاته ووساوسه.

وقلب قد امتلأ من جلال الله عز وجل وعظمته ومحبته ومراقبته والحياء منه، فأي شيطان يجترئ على هذا القلب ؟ وإن أراد سرقة شيء منه فماذا يسرق، وغايته أن يظفر في الأحايين منه بخطف ونهب يحصل له على غرة من العبد وغفلة لا بد له منها، إذ هو بشر وأحكام البشرية جارية عليه من الغفلة والسهو والذهول وغلبة الطبع.

وقد ذكر عن وهب بن منبه (٥٣) - رحمه الله تعالى - أنه قال: وفي بعض

---

(٥٢) هكذا في كل النسخ وفي الهامش: اليَزَك بالتركية. المنع والحظر. اهـ قلت: وأظنها تصحفت على النساخ في النَّزْك بالنون بعدها زاي ساكنة. ومعناها: الطعن. فيكون المعنى: فإن عليه من الحرس والطعن. أي أسباب الطعن. فإنهم يقولون: عندي من الجند والقتل. أي عندي من الجند وأسباب القتل من رماح وسيوف وغيره.

لكن ظهر لي أنها كلمة دارجة مستخدمة في ذاك الوقت، بذات المعنى الذي ذكرته من الحراسة والجند، فقد أوردها المصنف أيضًا في تفسيره لسورة الفلق، وأوردها الذهبي في كتابه دول الإسلام ٢/ ٢٠٥ في كلامه عن حوادث سنة ٧٠٠ هـ.

(٥٣) وهب بن مُنَبِّه أبو عبد الله اليماني. أحد ثقات التابعين. قال المثنى بن الصباح: لبث وهب بن منبه أربعين سنة لم يسب شيئًا فيه الروح، ولبث عشرين سنة لم يجعل بين العشاء والصبح وضوءًا. اهـ. وكان عالمًا بكتب أهل الكتاب مكثرًا من النقل عنها توفي سنة ١١٠ هـ أو بعدها.

الكتب الإلهية: «لَسْتُ أَسْكُنُ البُيُوتَ وَلا تَسَعْنِي، وأيُ شَيءٍ يَسَعُنِي والسمَاوَاتُ حَشوُ كُرسِيَ؟ وَلَكِنْ أَنَا فِي قَلْبِ الوَادِعِ التَارِكِ لِكُلِ شَيءٍ سِواي».

وهذا معنى الأثر الآخر: «مَا وَسِعَتْنِي سَمَاوَاتِي وَلا أَرْضِي، وَوَسِعَنِي قَلْبُ عَبْدِي المُؤْمِن» (٥٤).

وقلب فيه توحيد الله تعالى ومعرفته ومحبته والإيمان به والتصديق بوعده ووعيده، وفيه شهوات النفس وأخلاقها ودواعي الهوى والطبع. وقلب بين هذين الداعيين: فمرة يميل بقلبه داعي الإيمان والمعرفة والمحبة لله تعالى وإرادته وحده، ومرة يميل بقلبه داعي الشيطان والهوى والطباع. فهذا القلب للشيطان فيه مطمع، وله منه منازلات ووقائع، ويعطي الله النصر من يشاء ﴿وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ﴾ [آل عمران: ١٢٦] وهذا لا يتمكن الشيطان منه إلا بما عنده من سلاحه، فيدخل إليه الشيطان فيجد سلاحه عنده فيأخذه ويقاتله به، فإن أسلحته هي الشهوات والشبهات والخيالات والأماني الكاذبة، وهي في القلب، فيدخل الشيطان فيجدها عتيدة فيأخذها ويصول بها على القلب. فإن كان عند العبد عدة عتيدة من الإيمان تقاوم تلك العدة وتزيد عليها انتصف من الشيطان، وإلا فالدولة لعدوه عليه ولا حول ولا قوة إلا بالله. فإذا أذن العبد لعدوه وفتح له باب بيته وأدخله عليه ومكنه من السلاح يقاتله به فهو الملوم.

فنفسَكَ لُمْ ولا تَلُمِ المطايا ومُتْ كَمَدًا فليسَ لكَ اعتذارُ

خلوف فم الصائم

عدنا إلى شرح حديث الحارث الذي فيه ذكر ما يحرز العبد من عدوه: قوله ﷺ: **«وَآمُرُكُمْ بِالصِّيَام، فَإِنَّ مَثَلَ ذَلِكَ كَمَثَلِ رَجُلٍ فِي عِصَابَةٍ مَعَهُ صُرَّةٌ فِيهَا مِسْكٌ فَكُلُّهُمْ يَعْجَبُ أَوْ يُعْجِبُهُ رِيحُهَا، وَإِنَّ رِيحَ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللَّهِ مِن رِيحِ الْمِسْكِ».**

إنما مَثَّلَ ﷺ ذلك بصاحب الصرة التي فيها المسك؛ لأنها مستورة عن العيون مخبوءة تحت ثيابه كعادة حامل المسك، وهكذا الصائم صومه مستور عن مشاهدة

(٥٤) قال ابن الدَّيْبَع: ذكره الغزالي في الإحياء، وقال العراقي لم أر له أصلاً. وكذا قال ابن تيمية: هو مذكور في الإسرائيليات. وليس له إسناد معروف عن النبي ﷺ. ا هـ من تمييز الطيب من الخبيث ص ٢٣٧ رقم ١٢٢٨، وفي كشف الخفاء ٢/ ٢٥٥: أنه حديث باطل وأنه من وضع الملاحدة.

الخلق لا تدركه حواسهم.

والصائم: هو الذي صامت جوارحه عن الآثام، ولسانه عن الكذب والفحش وقول الزور، وبطنه عن الطعام والشراب، وفرجه عن الرفث. فإن تكلم لم يتكلم بما يجرح صومه، وإن فعل لم يفعل ما يفسد صومه، فيخرج كلامه كله نافعًا صالحًا، وكذلك أعماله فهي بمنزلة الرائحة التي يشمها من جالس حامل المسك، كذلك من جالس الصائم انتفع بمجالسته وأمن فيها من الزور والكذب والفجور والظلم. هذا هو الصوم المشروع لا مجرد الإمساك عن الطعام والشراب، ففي الحديث الصحيح: «**مَنْ لَمْ يَدَعْ قَوْلَ الزُّورِ وَالْعَمَلَ بِهِ وَالْجَهلَ، فَلَيْسَ لِلَّهِ حَاجَةٌ أَنْ يَدَعَ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ**» (٥٥).

وفي الحديث: «**رُبَّ صَائِمٍ حَظُّهُ مِنْ صِيَامِهِ الْجُوعُ وَالْعَطَشُ**» (٥٦).

فالصوم هو صوم الجوارح عن الآثام وصوم البطن عن الشراب والطعام، فكما أن الطعام والشراب يقطعه ويفسده فهكذا الآثام تقطع ثوابه وتفسد ثمرته، فتصيره بمنزلة من لم يصم.

وقد اختلف في وجود هذه الرائحة من الصائم هل هي في الدنيا أو في الآخرة على قولين. ووقع بين الشيخين الفاضلين أبي محمد [عز الدين] بن عبد السلام، وأبي عمرو بن الصلاح في ذلك تنازع (٥٧)، فمال أبو محمد إلى أن تلك في الآخرة خاصة وصنف فيه مصنفًا، ومال الشيخ أبو عمرو إلى أن ذلك في الدنيا

---

(٥٥) صحيح: أخرجه البخاري (٩٦٦) والترمذي (٧٠٧) وأبو داود (٢٣٦٢) من حديث أبي هريرة.

(٥٦) صحيح: أخرجه أحمد (٢/ ٣٧٣) وابن ماجه (١٦٩٠) والحاكم (١/ ٤٣١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا به، وصححه الحاكم، ووافقه الذهبي. وهو صحيح.

(٥٧) تقي الدين أبو عمرو عثمان بن الصلاح عبد الرحمن الشهرزوري أحد أئمة المسلمين علمًا ودينًا، صاحب كتاب علوم الحديث المشهور بمقدمة ابن الصلاح. انشغل العلماء من بعده بكتابه اختصارًا ونظمًا وشرحًا وتعليقًا. وكانت وفاته سنة ٦٤٣ هـ وأما أبو محمد عز الدين بن عبد السلام فهو عبد العزيز بن عبد السلام الدمشقي ثم المصري المعروف بالعز بن عبد السلام. سلطان العلماء وشيخ الإسلام في زمانه، كان جريئًا في الحق، قويًا في المجاهرة به. اشتهر بأنه بائع الملوك؛ وذلك لأنه رفض مبايعة أمير مصر لأنه مملوك. وأصر على أنه يباع الأمير في السوق ثم يعتق قبل أن يبايعه بالإمارة. وكانت وفاته سنة ٦٦٠ هـ.

وكان بين الشيخين أبي عمرو بن الصلاح والعز بن عبد السلام -رحمهما الله- مساجلات ومنازعات في مسائل فقهية عديدة.

والآخرة، وصنف فيه مصنفًا رد فيه على أبي محمد، وسلك أبو عمرو في ذلك مسلك أبي حاتم بن حبان فإنه في صحيحه بوب عليه كذلك فقال: (ذِكْرُ البَيَانِ بِأَنَّ خُلُوفَ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللَّهُ تَعَالَى مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ) (٥٨) ثم ساق حديث الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة عن النبي ﷺ: **«كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ لَهُ إلا الصِّيامَ فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ، وَلَخُلُوفُ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ»** (٥٩).

ثم قال: (ذِكْرُ البَيَانِ بِأَنَّ خُلُوفَ فَمِ الصَّائِمِ يَكُونُ أَطْيَبُ عِنْدَ اللهِ مِنْ رِيحِ المِسْكِ يَومَ القِيَامَةِ) (٦٠) ثم ساق حديثًا من حديث ابن جريج عن عطاء عن أبي صالح الزيات أنه سمع أبا هريرة يقول: قال رسول الله ﷺ: **«قَالَ اللهُ تعالَى: كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ لَهُ إلا الصِّيَامَ فَإِنَّه لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَخُلُوفُ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ، لِلصَّائِمِ فَرْحَتَانِ: إِذَا أَفْطَرَ فَرِحَ بِفِطْرِهِ، وَإِذَا لَقِيَ الله تَعَالَى فَرِحَ بِصَوْمِهِ»** (٦١).

قال أبو حاتم: شعار المؤمنين يوم القيامة التحجيل بوضوئهم في الدنيا فرقًا بينهم وبين سائر الأمم. وشعارهم في القيامة بصومهم طيب خلوف أفواههم أطيب من ريح المسك، ليعرفوا من بين ذلك الجمع بذلك العمل. جعلنا الله تعالى منهم (٦٢).

ثم قال: (ذِكْرُ البَيَانِ بِأَنَّ خُلُوفَ فَمِ الصَّائِمِ قَدْ يَكُونُ أَيْضًا أَطْيَبُ مِنْ رِيحِ المِسْكِ فِي الدُّنْيَا) (٦٣)، ثم ساق من حديث شعبة عن سليمان عن ذكوان عن أبي هريرة عن النبي ﷺ: **«كُلُّ حَسَنَةٍ يَعْمَلُهَا ابْنُ آدَمَ بِعَشْرِ حَسَنَاتٍ إِلَى سَبْعُمَائَةِ ضِعْفٍ، يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: إلا الصَّوْمَ فهُوَ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ، يَدَعُ الطَّعَامَ مِنْ أَجْلِي وَالشَّرَابَ مِنْ أَجْلِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ، وَلِلصَّائِمِ فَرْحَتَانِ: فَرْحَةٌ حِينَ يُفطِرُ، وَفَرْحَةٌ حِينَ يَلْقَى رَبَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، وَلَخُلُوفُ فَمِ الصَّائِمِ حِينَ يَخْلُفُ مِنَ الطَّعَامِ أَطْيَبُ عِنْدَ**

(٥٨) صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان ٨/ ٢١٠.
(٥٩) صحيح: أخرجه ابن حبان ٨/ ٢١٠ رقم (٣٤٢٢) ورواه بنحوه مسلم (١١٥١ فؤاد) (٢٦٦٤ قلعجي) والنسائي (٤/ ١٦٤) وابن ماجه (١٦٣٨).
(٦٠) صحيح ابن حبان (٨/ ٢١٠).
(٦١) صحيح: أخرجه ابن حبان (٨/ ٢١٠) رقم (٣٤٢٣) وأخرجه البخاري (١٩٠٤) ومسلم (١١٥١ فؤاد) (٢٦٦٣ قلعجي) والنسائي (٤/ ١٦٣).
(٦٢) ابن حبان (٨/ ٢١١) وليس في كلامه هذه الجملة الأخيرة بل فيه: نسأل الله بركة ذلك اليوم.
(٦٣) السابق.

اللَّهِ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ» (٦٤).

واحتج الشيخ أبو محمد بالحديث الذي فيه تقييد الطيب بيوم القيامة.

قلت: ويشهد لقوله الحديث المتفق عليه: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا مِنْ مَكْلُوم يُكْلَمُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ - واللهُ أعلَمُ بِمَنْ يُكْلَمُ فِي سَبِيلِه - إلا جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَكَلْمُهُ يَدْمَى اللَّوْنُ لَوْنُ دَم، وَالرِّيحُ رِيحُ الْمِسْكِ**» (٦٥). فأخبر ﷺ عن رائحة كلم المكلوم في سبيل الله عزّ وجل بأنها كريح المسك يوم القيامة، وهو نظير إخباره عن خلوف فم الصائم، فإن الحس يدل على أن هذا دم في الدنيا، وهذا خلوف له، ولكن يجعل الله تعالى رائحة هذا وهذا مسكًا يوم القيامة.

واحتج الشيخ أبو عمر بما ذكره أبو حاتم في صحيحه من تقييد ذلك بوقت إخلافه، وذلك يدل على أنه في الدنيا، فلما قيد المبتدأ وهو خلوف فم الصائم بالظروف وهو قوله: «**حين يَخْلُفُ**» كان الخبر عنه وهو قوله: «**أَطْيَبُ عِنْدَ اللهِ**» خبرًا عنه في حال تقييده، فإن المبتدأ إذا تقيد بوصف أو حال أو ظرف كان الخبر عنه حال كونه مقيدًا، فدل على أن طيبه عند الله تعالى ثابت حال إخلافه.

قال: وروى الحسن بن سفيان في مسنده عن جابر أن النبي ﷺ قال: «**أُعْطِيَتْ أُمَّتِي فِي شَهرِ رَمَضَانَ خَمْسًا**»، فذكر الحديث وقال فيه: «. . . . **وَأَمَا الثانية فَإِنَهُم يَمْسُونَ وَرِيحُ أَفْوَاهِهِم أَطْيَبُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ**» (٦٦).

ثم ذكر كلام الشراح في معنى طيبه وتأويلهم إياه بالثناء على الصائم والرضا بفعله، على عادة كثير منهم بالتأويل من غير ضرورة، حتى كأنه قد بورك فيه فهو موكل به، وأي ضرورة تدعو إلى تأويل كونه أطيب عند الله من ريح المسك بالثناء على فاعله والرضا بفعله، وإخراج اللفظ عن حقيقته؟ وكثير من هؤلاء ينشئ للفظ معنى ثم يدعي إرادة ذلك المعنى بلفظ النص من غير نظر منه إلى استعمال ذلك اللفظ في المعنى الذي عينه أو احتمال اللغة له. ومعلوم أن هذا يتضمن الشهادة

---

(٦٤) صحيح: ابن حبان برقم (٤٣٢٤) ومسلم (١١٥١ فؤاد) (٢٦٦٤ قلعجي) وابن ماجه (١٦٣٨) والتقييد بحين يخلف إنما هو في رواية ابن حبان وأحمد (٢/ ٤٨٠).

(٦٥) صحيح: أخرجه البخاري (٢٨٠٣) ومسلم (١٨٧٦ فؤاد) (٤٧٧٦ قلعجي) وغيرهما من حديث أبي هريرة.

(٦٦) ضعيف: أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٣/ ٣٠٣) رقم (٣٦٠٣) وإسناده ضعيف، وروى أحمد نحوه (٢/ ٢٩٢) من حديث أبي هريرة. وليس فيه التقييد بـ «يمسون». وفي إسناده أيضًا ضعف.

على الله تعالى ورسوله ﷺ بأن مراده من كلامه كيت وكيت، فإن لم يكن ذلك معلومًا بوضع اللفظ لذلك المعنى أو عُرْف الشارع ﷺ وعادته المطردة أو الغالبة باستعمال ذلك اللفظ في هذا المعنى أو تفسيره له به وإلا كانت شهادة باطلة، وأدنى أحوالها أن تكون شهادة بلا علم.

ومن المعلوم أن أطيب ما عند الناس من الرائحة رائحة المسك، فمثل النبي ﷺ هذا الخلوف عند الله تعالى بطيب رائحة المسك عندنا وأعظم. ونسبة استطابة ذلك إليه سبحانه وتعالى كنسبة سائر صفاته وأفعاله إليه فإنها استطابة لا تماثل استطابة المخلوقين، كما أن رضاه وغضبه وفرحه وكراهته وحبه وبغضه لا تماثل ما للمخلوق من ذلك، كما أن ذاته سبحانه وتعالى لا تشبه ذوات خلقه وصفاته لا تشبه صفاتهم وأفعالهم. وهو سبحانه وتعالى يستطيب الكلم الطيب فيصعد إليه، والعمل الصالح فيرفعه. وليست هذه الاستطابة كاستطابتنا.

ثم إن تأويله لا يرفع الإشكال، إذ ما استشكله هؤلاء من الاستطابة يلزم مثله الرضا، فإن قال: رضًا ليس كرضا المخلوقين، فقولوا: استطابة ليس كاستطابة المخلوقين. وعلى هذا جميع ما يجيء من هذا الباب. ثم قال: وأما ذكر يوم القيامة في الحديث فلأنه يوم الجزاء، وفيه يظهر رجحان الخلوف في الميزان على المسك المستعمل لدفع الرائحة الكريهة طلبًا لرضاء الله تعالى حيث يؤمر باجتنابها واجتلاب الرائحة الطيبة كما في المساجد والصلوات وغيرها من العبادات، فخص يوم القيامة بالذكر في بعض الروايات كما خص في قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ﴾ **[العاديات: ١١]**، وأطلق في باقيها نظرًا إلى أن أصل أفضليته ثابت في الدارين (٦٧).

قلت: من العجب رده على أبي محمد بما لا ينكره أبو محمد ولا غيره، فإن الذي فسر به الاستطابة المذكورة في الدنيا بثناء الله تعالى على الصائمين ورضائه بفعلهم أمر لا ينكره مسلم، فإن الله تعالى قد أثنى عليهم في كتابه وفيما بلغه عنه رسوله ﷺ ورضي بفعله، فإن كانت هذه هي الاستطابة أَفَتَرَى الشيخ أبا محمد

(٦٧) إلى هنا انتهى استدلال ابن الصلاح على ما ذهب إليه من أن رائحة خلوف فم الصائم أطيب في الدنيا من رائحة المسك،

وفي المسألة ستة أقوال. وابن القيم يذهب مذهب العز بن عبد السلام -رحمهما الله تعالى- ويرى أن ذلك يوم القيامة.

ينكرها (٦٨).

والذي ذكره الشيخ أبو محمد أن هذه الرائحة إنما يظهر طيبها على طيب المسك في اليوم الذي يظهر فيه طيب دم الشهيد ويكون كرائحة المسك، ولا ريب أن ذلك يوم القيامة فإن الصائم في ذلك اليوم يجيء ورائحة فمه أطيب من رائحة المسك كما يجيء المكلوم في سبيل الله عز وجل ورائحة دمه كذلك، لا سيما والجهاد أفضل من الصيام، فإن كان طيب رائحته إنما يظهر يوم القيامة فكذلك الصائم.

وأما حديث جابر: **«فَإِنَهُم يَمْسُونَ وَرِيحُ أَفْوَاهِهِم أَطْيَبُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ»**، فهذه جملة حالية لا خبرية، فإن خبر إمسائه لا يقترن بالواو ؛ لأنه خبر مبتدأ فلا يجوز اقترانه بالواو. وإذا كانت الجملة حالية فلأبي محمد أن يقول: هي حال مقدرة، والحال المقدرة يجوز تأخيرها عن زمن الفعل العامل فيها، ولهذا لو صرح بيوم القيامة في مثل هذا فقال: **«فَإِنَهُم يَمْسُونَ وَرِيحُ أَفْوَاهِهِم أَطْيَبُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ يَوْمَ القِيَامَةِ»**. لم يكن التركيب فاسدًا، كأنه قال يمسون وهذا لهم يوم القيامة. وأما قوله: **«لخَلوفُ فَم الصَّائِم حِين يُخْلُفُ»** فهذا الظرف تحقيق للمبتدأ أو تأكيد له وبيان إرادة الحقيقةَ المفهومَة منه لا مجازه ولا استعارته، وهذا كما تقول: جهاد المؤمن حين يجاهد وصلاته حين يصلي يجزيه الله تعالى بها يوم القيامة ويرفع بها درجته يوم القيامة، وهذا قريب من قوله ﷺ: **«لا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلا يَشْرَبُ الْخَمْرَ حِينَ يَشْرَبُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ»** (٦٩) وليس المراد تقييد نفي الإيمان المطلق عنه حالة مباشرة تلك الأفعال فقط بحيث إذا كملت مباشرته وانقطع فعله عاد إليه الإيمان، بل هذا النفي مستمر إلى حين التوبة، وإلا فما دام مصرًا وإن لم يباشر الفعل فالنفي لاحقٌ به ولا يزول عنه اسم الذنب والأحكام المترتبة على المباشرة إلا بالتوبة النصوح، والله سبحانه وتعالى أعلم.

قلت: وفصل النزاع في المسألة أن يقال: حيث أخبر النبي ﷺ بأن ذلك الطيب يكون يوم القيامة فلأنه الوقت الذي يظهر فيه ثواب الأعمال وموجباتها من

---

(٦٨) في النسخ المطبوعة: فيرى الشيخ أبو محمد لا ينكرها. بزيادة «لا» وأشير في الهامش إلى أنها ليست في الأصل. وأنها زيادة يقتضيها السياق. قلت: وأحسب أن حذفها هو الصواب، والجملة إنكارية. والمعنى: فكيف - والحال كذلك - يرى أو يزعم أن أبا محمد ينكرها؟! والله أعلم.

(٦٩) صحيح: رواه البخاري (٥٥٧٨) ومسلم (٥٧ فؤاد) (١٩٩ قلعجي) وغيرهما من حديث أبي هريرة.

الخير والشر، فيظهر للخلق طيب ذلك الخلوف على المسك، كما يظهر فيه رائحة دم المكلوم في سبيله كرائحة المسك، وكما تظهر فيه السرائر وتبدو على الوجوه وتصير علانية ويظهر فيه قبح رائحة الكفار وسواد وجوههم، وحيث أخبر بأن ذلك حين يخلف وحين يمسون فلأنه وقت ظهور أثر العبادة، ويكون حينئذ طيبها على ريح المسك عند الله تعالى وعند ملائكته، وإن كانت تلك الرائحة كريهة للعباد فرب مكروه عند الناس محبوب عند الله تعالى، وبالعكس، فإن الناس يكرهونه لمنافرته طباعهم، والله تعالى يستطيبه ويحبه لموافقته أمره ورضاه ومحبته فيكون عنده أطيب من ريح المسك عندنا، فإذا كان يوم القيامة ظهر هذا الطيب للعباد وصار علانية، وهكذا سائر آثار الأعمال من الخير والشر.

وإنما يكمل ظهورها ويصير علانية في الآخرة، وقد يقوى العمل ويتزايد حتى يستلزم ظهور بعض أثره على العبد في الدنيا في الخير والشر كما هو مشاهد بالبصر والبصيرة.

قال ابن عباس: إن للحسنة ضياءً في الوجه ونورًا في القلب وقوة في البدن وسعة في الرزق ومحبة في قلوب الخلق. وإن للسيئة سوادًا في الوجه وظلمة في القلب ووهنًا في البدن ونقصًا في الرزق وبغضة في قلوب الخلق [٧٠].

وقال عثمان بن عفان: ما عمل رجل عملاً إلا ألبسه الله رداءه، إن خيرًا فخير، وإن شرًا فشر [٧١]. وهذا أمر معلوم، يشترك فيه وفي العلم به أصحاب البصائر وغيرهم، حتى إن الرجل الطيب البر لتشم منه رائحة طيبة وإن لم يمس طيبًا، فيظهر طيب رائحة روحه على بدنه وثيابه. والفاجر بالعكس. والمزكوم الذي أصابه الهوى لا يشم لا هذا ولا هذا، بل زكامه يحمله على الإنكار. فهذا فصل الخطاب في هذه المسألة. والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب

* * *

(٧٠) أخرج البيهقي في شعب الإيمان نحوه برقم (٧٢٢٠) من كلام إبراهيم بن أدهم.

(٧١) أخرجه ابن جرير في تفسيره (٨/ ١١١) بنحوه في تفسير قوله تعالى ﴿ولباس التقوى ذلك خير﴾. وفي إسناده إلى عثمان ضعف.

الصدقة وآثارها

فصل: «**وَآمُرُكُمْ بالصَّدَقَةِ، فَإِنَّ مَثَلَ ذَلِكَ كَمَثَلِ رَجُلٍ أَسَرَهُ الْعَدُوُّ، فَأَوْثَقُوا يَدَهُ إِلَى عُنُقِهِ وَقَدَّمُوهُ لِيَضْرِبُوا عُنُقَهُ، فَقَالَ: أَنَا أَفْتَدِي مِنْكُمْ بِالْقَلِيلِ وَالْكَثِيرِ، فَفَدَى نَفْسَهُ مِنْهُمْ**»، هذا أيضًا من الكلام الذي برهانه وجوده، ودليله وقوعه، فإن للصدقة تأثيرًا عجيبًا في دفع أنواع البلاء ولو كانت من فاجر أو من ظالم بل من كافر، فإن الله تعالى يدفع بها عنه أنواعًا من البلاء، وهذا أمر معلوم عند الناس خاصتهم وعامتهم، وأهل الأرض كلهم مقرون به؛ لأنهم جربوه.

وقد روى الترمذي في جامعه من حديث أنس بن مالك أن النبي ﷺ قال: «**إِنَّ الصَّدَقَةَ تُطْفِئُ غَضَبَ الرَّبِّ، وَتَدْفَعُ مِيتَةَ السُّوءِ**»[٧٢] وكما أنها تطفئ غضب الرب تبارك وتعالى فهي تطفئ الذنوب والخطايا كما يطفئ الماء النار.

وفي الترمذي عن معاذ بن جبل قال: كنت مع رسول الله ﷺ في سفر، فأصبحت يومًا قريبًا منه ونحن نسير فقال: «**أَلا أَدُلُّكَ عَلَى أَبْوَابِ الْخَيْرِ؟ الصَّوْمُ جُنَّةٌ، وَالصَّدَقَةُ تُطْفِئُ الْخَطِيئَةَ كَمَا يُطْفِئُ الْمَاءُ النَّارَ، وَصَلاةُ الرَّجُلِ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ شِعَارُ الصَّالِحِينَ**» ثم تلا: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾[٧٣] **[السجدة: ١٦]**.

وفي بعض الآثار: «**بَاكِرُوا بِالصَّدَقَةِ، فَإِن البَلاءَ لا يَتَخَطَّى الصَّدَقَةَ**». وفي تمثيل النبي ﷺ ذلك بمن قدم ليضرب عنقه فافتدى نفسه منهم بماله كفاية، فإن الصدقة تفدي العبد من عذاب الله تعالى، فإن ذنوبه وخطاياه تقتضي هلاكه فتجيء الصدقة تفديه من العذاب وتفكه منه. ولهذا قال النبي ﷺ في الحديث الصحيح لما خطب النساء يوم العيد: «**يَا مَعْشَرَ النِّسَاءِ تَصَدَّقْنَ وَلو مِن حُلِيكُنَّ، فَإِنِّي رأَيْتُكُنَّ أَكْثَرَ أَهْلِ النَّارِ**»[٧٤]. وكأنه حثهن ورغبهن على ما يفدين به أنفسهن من النار.

---

(٧٢) **ضعيف**: رواه الترمذي (٦٦٤) وقال حديث حسن غريب من هذا الوجه. ا هـ وفي إسناده عبد الله بن عيسى الخزاز ضعيف.

(٧٣) **حسن بمجموع طرقه**: رواه الترمذي (٢٦٢٥) وابن ماجه (٣٩٧٣) وأحمد (٥/ ٢٣١ و ٢٣٥) من حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه. وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح. ا هـ والحديث صحيح أو حسن بمجموع طرقه. وطرقه أخرجها أحمد (٥/ ٢٣٣، ٢٣٧، ٢٤٢، ٢٤٥، ٢٤٦، ٢٤٨)، والحاكم (٢/ ٤١٢).

(٧٤) **صحيح**: أخرجه البخاري (١٤٦٦) ومسلم (١٠٠٠ فؤاد) (٢٢٨١ قلعجي) وغيرهما من

وفي الصحيحين عن عدي بن حاتم قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَا مِنْكُمْ أَحَدٌ إلا سَيُكَلِّمُهُ رَبُّهُ لَيس بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ تُرْجُمَانٌ، فَيَنْظُرُ أَيْمَنَ مِنْهُ فَلا يَرَى إلا مَا قَدَّمَ، وَيَنْظُرُ أَشْأَمَ مِنْهُ فَلا يَرَى إلا مَا قَدَّمَ، وَيَنْظُرُ بَيْنَ يَدَيْهِ فَلا يَرَى إلا النَّارَ تِلْقَاءَ وَجْهِهِ، فَاتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ**»(٧٥).

وفي حديث أبي ذر أنه قال: سألت رسول الله ﷺ ماذا ينجي العبد من النار؟ قال: «**الإِيمَانُ بِاللهِ**» قلت: يا نبي الله، مع الإيمان عمل؟ قال: «**أَنْ تَرْضَخَ مما خَوَّلَكَ اللهُ أو: تَرْضَخَ مما رَزَقَكَ اللهُ**» قلت: يا نبي الله، فإن كان فقيرًا لا يجد ما يرضخ؟ قال: «**يَأْمُر بِالمَعْرُوفِ وَيَنْهَى عَنِ المُنْكَرِ**». قلت: إن كان لا يستطيع أن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر؟ قال: «**فَلْيُعِن الأَخْرَقَ**». قلت: يا رسول الله، أرأيت إن كان لا يحسن أن يصنع؟ قال: «**فَلْيُعِن مَظْلُومًا**» قلت: يا رسول الله، أرأيت إن كان ضعيفًا لا يستطيع أن يعين مظلومًا؟ قال: «**مَا تُرِيدُ أَنْ تَتْرُكَ فِي صَاحِبَكَ مِنْ خَيْرٍ؟ لِيُمْسِكَ أَذَاهُ عَنِ النَّاسِ**» قلت: يا رسول الله، أرأيت إن فعل هذا يدخل الجنة؟ قال: «**مَا مِنْ مُؤْمِنٍ يُصِيبُ خِصْلَةً مِنْ هَذِه الخِصَالِ إلا أَخَذَتْ بِيَدِهِ حَتَّى أَدْخَلَتْهُ الجَنَّةَ**»(٧٦) ذكره البيهقي في كتاب شعب الإيمان.

قال عمر بن الخطاب: ذكر لي أن الأعمال تتباهى، فتقول الصدقة: «أنا أفضلكم»(٧٧).

وفي الصحيحين عن أبي هريرة قال: «**ضَرَبَ رَسُولُ اللهِ ﷺ** مَثَلَ الْبَخِيلِ وَالْمُتَصَدِّقِ كَمَثَلِ رَجُلَيْنِ عَلَيْهِمَا جُبَّتَانِ مِنْ حَدِيدٍ أو - جُنَّتَانِ مِنْ حَدِيدٍ - قَدْ اضْطُرَّتْ أَيْدِيهِمَا إِلَى ثُدِيِّهِمَا وَتَرَاقِيهِمَا فَجَعَلَ الْمُتَصَدِّقُ كُلَّمَا تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ انْبَسَطَتْ عَنْهُ حَتَّى تَغْشَى أَنَامِلَهُ وَتَعْفُوَ أَثَرَهُ، وَجَعَلَ الْبَخِيلُ كُلَّمَا هَمَّ بِصَدَقَةٍ قَلَصَتْ وَأَخَذَتْ كُلُّ حَلْقَةٍ بِمَكَانِهَا». قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ فَأَنَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ بِإِصْبَعِهِ هَكَذَا فِي

حديث زينب امرأة عبد الله بن مسعود.

(٧٥) **صحيح**: البخاري (٧٥١٢) ومسلم (١٠١٦ فؤاد) (٢٣١٠ قلعجي).

(٧٦) **صحيح الإسناد**: أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٣/ ٢٠٣) برقم (٣٣٢٧)، (٣٣٢٨)، (٤/ ٦٩) برقم (٤٣٤٣) وإسناده صحيح.

(٧٧) **حسن الإسناد إلى عمر بن الخطاب موقوفًا عليه**: أخرجه الحاكم في المستدرك (١/ ٤١٩) بإسناد حسن إلى عمر؛ إلا أنه من طريق سعيد بن المسيب عن عمر، وقد قيل: لم يسمع سعيد من عمر. لكن له طريق آخر أخرجه البيهقي في الشعب (٣/ ٢٠٥) رقم (٣٣٢٩) وفي إسناده إلى عمر: أبو قرة الأسدي وهو مجهول. وهذا الإسناد مع ضعفه يصلح شاهدًا لطريق الحاكم. وقد وقع في الشعب «قرة» هكذا مهملاً، وإنما هو: أبو قرة الأسدي.

جَيْبِهِ فَرَأَيْتَهُ يُوَسِّعُهَا وَلا تَتَوَسَّعُ [٧٨].

ولما كان البخيل محبوسًا عن الإحسان ممنوعًا عن البر والخير وكان جزاؤه من جنس عمله، فهو ضيق الصدر ممنوع من الانشراح ضيق العطن صغير النفس قليل الفرح كثير الهم والغم والحزن لا يكاد تقضى له حاجة ولا يعان على مطلوب. فهو كرجل عليه جبة من حديد قد جمعت يداه إلى عنقه بحيث لا يتمكن من إخراجها ولا حركتها، وكلما أراد إخراجها أو توسيع تلك الجبة لزمت كل حلقة من حلقها موضعها. وهكذا البخيل كلما أراد أن يتصدق منعه بخله فبقي قلبه في سجنه كما هو.

والمتصدق كلما تصدق بصدقة انشرح لها قلبه وانفسح بها صدره فهو بمنزلة اتساع تلك الجبة عليه، فكلما تصدق اتسع وانفسح وانشرح وقوي فرحه وعظم سروره، ولو لم يكن في الصدقة إلا هذه الفائدة وحدها لكان العبد حقيقًا بالاستكثار منها والمبادرة إليها. وقد قال تعالى: ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: ٩]، وكان عبد الرحمن بن عوف - أو سعد بن أبي وقاص - يطوف بالبيت وليس له دأب إلا هذه الدعوة: «**رَبِّ قِنِي شُحَّ نَفْسِي، رَبِّ قِنِي شُحَّ نَفْسِي**». فقيل له: أما تدعو بغير هذه الدعوة، فقال: «**إذا وُقِيتُ شُحَ نَفْسِي فَقَدْ أَفْلَحْتُ**» [٧٩].

والفرق بين الشح والبخل: أن الشح هو شدة الحرص على الشيء والإحفاء في طلبه والاستقصاء في تحصيله وجشع النفس عليه، والبخل منع إنفاقه بعد حصوله وحبه وإمساكه، فهو شحيح قبل حصوله بخيل بعد حصوله، فالبخل ثمرة الشح والشح يدعو إلى البخل والشح كامن في النفس، فمن بخل فقد أطاع شحه ومن لم يبخل فقد عصى شحه ووقي شره، وذلك هو المفلح ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: ٩].

والسخي قريب من الله تعالى ومن خلقه ومن أهله، وقريب من الجنة وبعيد من النار، والبخيل بعيد من خلقه بعيد من الجنة قريب من النار، فجود الرجل يحببه إلى أضداده، وبخله يبغضه إلى أولاده:

---

(٧٨) صحيح: أخرجه البخاري (٥٧٩٧) ومسلم (١٠٢١ فؤاد) (٢٣٢٢ قلعجي).
(٧٩) أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٢/٤٢) بإسناد حسن عن عبد الرحمن بن عوف.

ويُظهرُ عَيْبَ المَرءِ في النَّاسِ بُخْلُهُ ... ويَسترُه عَنْهُم جَميعًا سَخَاؤُهُ
تَغَطَّ بِأَثْوابِ السَّخَاءِ فَإِنَّنِي ... أَرَى كُلَّ عَيْبٍ بِالسَّخَاءِ غِطَاؤُهُ (٨٠)
وَقَارِنْ إِذَا قَارَنْتَ حُرًّا فَإِنَّمَا ... يَزِينُ وَيَزْرِي بِالفَتَى قُرَنَاؤُهُ
وَأَقْلِل إِذَا مَا اسْطَعْتَ قَولاً فَإِنَّه ... إِذَا قَلَّ قَولُ المَرءِ قَلَّ خُطَاؤه
إِذَا قَلَّ مَالُ المَرءِ قَلَّ صَدِيقُهُ ... وَضَاقَتْ عَلَيه أَرْضُهُ وَسَمَاؤه
وَأَصْبَحَ لا يَدْرِي وإِنْ كَانَ حَازِمًا ... أَقُدَّامُهُ خَيْرٌ لَهُ أَمْ وَرَاؤُه
إِذَا المَرءُ لَمْ يَخْتَرْ صَدِيقًا لِنَفْسِه ... فَنَادِ بِه في النَّاسِ هَذَا جَزَاؤه

وحد السخاء : بذل ما يحتاج إليه عند الحاجة، وأن يوصل ذلك إلى مستحقه بقدر الطاقة، وليس - كما قال البعض من نقص عمله : - حد الجود بذل الموجود. ولو كان كما قال هذا القائل لارتفع اسم السرف والتبذير، وقد ورد الكتاب بذمهما، وجاءت السنة بالنهي عنهما.

وإذا كان السخاء محمودًا فمن وقف على حده سمي كريمًا وكان للحمد مستوجبًا، ومن قصر عنه كان بخيلاً وكان للذم مستوجبًا، وقد روي في أثر: إن الله عز وجل أقسم بعزته ألا يجاوره بخيل (٨١) .

والسخاء نوعان : فأشرفهما سخاؤك عما بيد غيرك، والثاني سخاؤك ببذل ما في يدك. فقد يكون الرجل من أسخى الناس وهو لا يعطيهم شيئًا ؛ لأنه سخا عما في أيديهم. وهذا معنى قول بعضهم: السخاء أن تكون بمالك متبرعًا، وعن مال غيرك متورعًا.

وسمعت شيخ الإسلام ابن تيمية - قدس الله روحه - يقول: أوحى الله إلى إبراهيم ﷺ **«أتدري لِمَ اتخذْتُك خليلًا»** ؟ قال: لا. قال: **«لأني رأيتُ العطاء أحبَّ إليك من الأخذِ»** (٨٢) .

(٨٠) أورد أبو حاتم بن حبان البيتين الأولين. وذكر أنهما ليحيى بن أكثم. روضة العقلاء ص (٢٣٧).

(٨١) قال ابن القيم - في الروح ص ٣١٤ -: وإيضاح ذلك أن الله بحكمته جعل في المال حقوقًا، وهي نوعان: حقوق موظفة، وحقوق ثانية. فالحقوق الموظفة: كالزكاة والنفقات الواجبة على من تلزمه نفقته. والثانية: كحق الضيف. ومكافأة المهدي. وما وقى به عرضه ونحو ذلك. فالجواد يتوخى بماله أداء هذه الحقوق على وجه الكمال. طيبة بها نفسه راضية، مؤملة للخلف في الدنيا، والثواب في العقبى، بخلاف المبذر، فإنه يبسط يده في ماله بحكم هواه وشهوته جزافًا، لا على تقدير، ولا مراعاة مصلحة وإن اتفقت له. ا هـ.

(٨٢) أخرجه أبو نعيم في الحلية (٨/ ٢٤٢) من قول يوسف بن أسباط. وهذا الأثر من

وهذه صفة من صفات الرب جل جلاله فإنه يعطي ولا يأخذ ويُطعِم ولا يُطعَم، وهو أجود الأجودين وأكرم الأكرمين، وأحب الخلق إليه من اتصف بمقتضيات صفاته، فإنه كريم يحب الكريم من عباده، وعالم يحب العلماء، وقادر يحب الشجعان، وجميل يحب الجمال.

وروى الترمذي في جامعه قال: حدثنا محمد بن بشار حدثنا أبو عامر أخبرنا خالد بن إلياس عن صالح بن أبي حسان قال: سمعت سعيد بن المسيب يقول: «**إِنَّ اللَّهَ طَيِّبٌ يُحِبُّ الطَّيِّبَ، نَظِيفٌ يُحِبُّ النَّظَافَةَ، كَرِيمٌ يُحِبُّ الْكَرَمَ، جَوَادٌ يُحِبُّ الْجُودَ - أراه قال: فَنَظِّفُوا أَخبِيَتَكُمْ وَلا تَشَبَّهُوا بِالْيَهُودِ**» (٨٣). قال: فذكرت ذلك للمهاجر بن مسمار فقال: حدثنيه عامر بن سعد عن أبيه رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ مثله إلا أنه قال: «**فَنَظِّفُوا أَفنِيَتَكُمْ**». هذا حديث غريب، خالد بن إلياس يُضَعَّف.

وفي الترمذي أيضًا في كتاب البر قال: حدثنا الحسن بن عرفة حدثنا سعيد ابن محمد الوراق عن يحيى بن سعيد عن الأعرج عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «**السَّخِيُّ قَرِيبٌ مِنْ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنْ الْجَنَّةِ قَرِيبٌ مِنْ النَّاسِ بَعِيدٌ مِنْ النَّارِ، وَالْبَخِيلُ بَعِيدٌ مِنْ اللَّهِ بَعِيدٌ مِنْ الْجَنَّةِ بَعِيدٌ مِنْ النَّاسِ قَرِيبٌ مِنَ النَّارِ، وَلَجَاهِلٌ سَخِيٌّ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ عَالِمٍ بَخِيلٍ**» (٨٤).

وفي الصحيح: «**إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى وِتْرٌ يُحِبُّ الْوِتْرَ**» (٨٥).

وهو سبحانه وتعالى رحيم يحب الرحماء، وإنما يرحم من عباده الرحماء، وهو

الإسرائيليات التي لا تقوم بها حجة.

(٨٣) في النسخ المطبوعة: «فنظفوا أخبيتكم» بالخاء جمع خباء. وهو تحريف من النساخ بسبب إسقاطهم لفظة الرواي: أراه قال على الشك، ورواية المهاجر على الجزم، وليس في نسخه الترمذي طبعة دار الفكر وطبعة دار الحديث أخبيتكم بالخاء. وكذلك في تحفة الأحوذي ٨/ ٨٣ للمباركفوري. ولم يشر في شرحه على الحديث إلى ورود لفظة أخبيتكم بالخاء في النسخ أو الروايات.

والحديث أخرجه الترمذي كما قال المصنف. برقم (٢٧٩٩) طبعة عطوة دار الحديث (٢٨٠٨) دار الفكر (٢٩٥١) تحفة الأحوذي. وإسناده ضعيف.

(٨٤) **ضعيف**: أخرجه الترمذي (١٩٦٨) من حديث أبي هريرة. وقال الترمذي: حديث غريب... وقد خولف سعيد بن محمد... إنما يروي عن يحيى بن سعيد عن عائشة شيء مرسل. اهـ وإسناد الترمذي ضعيف؛ لضعف سعيد بن محمد الوراق.

(٨٥) **صحيح**: البخاري (٦٤١٠) ومسلم (٢٦٧٧ فؤاد) (٦٦٨٣ قلعجي).

ستير يحب من يستر على عباده، وعفو يحب من يعفو عنهم، وغفور يحب من يغفر لهم، ولطيف يحب اللطيف من عباده، ويبغض الفظ الغليظ القاسي الجعظري الجواظ [٨٦]، ورفيق يحب الرفق، وحليم يحب الحلم، وبر يحب البر وأهله، وعدل يحب العدل، وقابل المعاذير يحب من يقبل معاذير عباده، ويجازي عبده بحسب هذه الصفات فيه وجودًا وعدمًا، فمن عفا عفا عنه، ومن غفر غفر له، ومن سامح سامحه، ومن حاقق حاققه، ومن رفق بعباده رفق به، ومن رحم خلقه رحمه، ومن أحسن إليهم أحسن إليه، ومن جاد عليهم جاد عليه، ومن نفعهم نفعه، ومن سترهم ستره، ومن صفح عنهم صفح عنه، ومن تتبع عورتهم تتبع عورته، ومن هتكهم هتكه وفضحه، ومن منعهم خيره منعه خيره، ومن شاقَّ شاقَّ الله تعالى به، ومن مكر مكر به، ومن خادع خادعه، ومن عامل خلقه بصفة عامله الله تعالى بتلك الصفة بعينها في الدنيا والآخرة. فالله تعالى لعبده على حسب ما يكون العبد لخلقه، ولهذا جاء في الحديث: «**مَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَه اللَّهُ تَعالى فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، ومَنْ نَفَّسَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا نَفَّسَ اللَّهُ تَعَالى عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ يَسَّرَ اللَّهُ تَعَالى حِسابَه**» [٨٧]، «**وَمَنْ أَقَالَ نَادِمًا أَقَالَ اللهُ تَعَالَى عَثْرَتَه**» [٨٨]، «**ومَنْ أَنْظَرَ مُعْسِرًا، أَوْ وَضَعَ عنَهُ؛ أَظَلَّهُ اللَّهُ تَعَالى فِي ظِلِّ عَرْشِهِ**» [٨٩]؛ لأنه لما جعله في ظل الإنظار والصبر ونجاه من حر المطالبة وحرارة تكلف الأداء مع عسرته وعجز نجاه الله تعالى من حر الشمس يوم القيامة إلى ظل العرش.

وكذلك الحديث الذي في الترمذي وغيره عن النبي ﷺ أنه قال في خطبته يومًا: «**يَا مَعْشَرَ مَنْ آمَنَ بِلِسَانِهِ وَلَمْ يَدْخُلِ الإِيمَانُ إِلَى قَلْبِهِ: لا تُؤْذُوا الْمُسْلِمِينَ،**

---

(٨٦) **الجعظري**: الفظ الغليظ المستكبر، **والجواظ**: الجموع المنوع، أو كثير اللحم المختال في مشيته. وفي الحديث: «لا يدخل الجنة الجواظ ولا الجعظري» صحيح رواه أبو داود (٤٨٠١) وأحمد في مواضع.

(٨٧) **صحيح**: رواه مسلم (٢٦٩٩ فؤاد) (٦٧٢٦ قلعجي) وأبو داود (٤٩٤٦) والترمذي (١٩٣٧)، (٢٩٥٤) من حديث أبي هريرة.

(٨٨) **صحيح**: رواه أبو داود (٣٤٦٠) وابن ماجه (٢١٩٩) وأحمد (٢/ ١٥٢) والحاكم (٢/ ٤٥)، بلفظ: «من أقال مسلمًا»... والحديث صحيح. وأما رواية «نادمًا» فأخرجها ابن عدي في الكامل (٦/ ١٨٠، ٣٠٤) ولا تصح.

(٨٩) **صحيح**: رواه مسلم (٣٠٠٦ فؤاد) (٧٣٦٨ قلعجي) من حديث أبي اليسر رضي الله عنه مرفوعًا به، ورواه الترمذي (١٣١٠) من حديث أبي هريرة وقال: حديث حسن صحيح. ا هـ.

وَلا تَتَّبِعُوا عَوْرَاتِهِمْ ؛ فَإِنَّهُ مَنْ تَتَبَّعَ عَوْرَةَ أَخِيهِ تَتَبَّعَ اللَّهُ عَوْرَتَهُ، وَمَنْ تَتَبَّعَ اللَّهُ عَوْرَتَهُ يَفْضَحْهُ وَلَوْ فِي جَوْفِ بَيْتِه» (٩٠)، فكما تدين تدان. وكن كيف شئت فإن الله تعالى لك كما تكون أنت ولعباده.

ولما أظهر المنافقون الإسلام وأسروا الكفر وأظهر الله تعالى لهم يوم القيامة نورًا على الصراط وأظهر لهم أنهم يجوزون الصراط وأسر لهم أن يطفئ نورهم، وأن يحال بينهم وبين الصراط من جنس أعمالهم. وكذلك من يظهر للخلق خلاف ما يعلمه الله فيه فإن الله تعالى يظهر له في الدنيا والآخرة أسباب الفلاح والنجاح والفوز ويبطن له خلافها. وفي الحديث: **«مَنْ رَاءى رَاءى اللَّهُ بِهِ، وَمَنْ سَمَّعَ سَمَّعَ اللَّهُ بِهِ»** (٩١).

والمقصود أن الكريم المتصدق يعطيه الله ما لا يعطي البخيل الممسك، ويوسع عليه في ذاته، وخلقه، ورزقه ونفسه وأسباب معيشته، جزاء له من جنس عمله.

ذكر الله وفوائده

وقوله ﷺ: **«وَآمُرُكُمْ أَنْ تَذْكُرُوا اللَّهَ تَعَالى، فَإِنَّ مَثَلَ ذَلِكَ كَمَثَلِ رَجُلٍ خَرَجَ الْعَدُوُّ فِي أَثَرِهِ سِرَاعًا حَتَّى إِذَا أَتَى عَلَى حِصْنٍ حَصِينٍ فَأَحْرَزَ نَفْسَهُ مِنْهُمْ، كَذَلِكَ الْعَبْدُ لَا يُحْرِزُ نَفْسَهُ مِنَ الشَّيْطَانِ إِلَا بِذِكْرِ اللَّهِ»** فلو لم يكن في الذكر إلا هذه الخصلة الواحدة لكان حقيقًا بالعبد ألا يفتر لسانه من ذكر الله تعالى وألا يزال لهجًا بذكره، فإنه لا يحرز نفسه من عدوه إلا بالذكر، ولا يدخل عليه العدو إلا من باب الغفلة، فهو يرصده فإذا غفل وثب عليه وافترسه.

وإذا ذكر الله تعالى انخنس عدو الله تعالى وتصاغر وانقمع حتى يكون كالوصع (٩٢) وكالذباب، ولهذا سمي «الوسواس الخناس» أي يوسوس في الصدور، فإذا ذكر الله تعالى خنس أي كف وانقبض، قال ابن عباس: الشيطان جاثم على قلب ابن آدم، فإذا سها وغفل وسوس، فإذا ذكر الله تعالى خنس (٩٣).

(٩٠) حسن: أخرجه الترمذي (٢٠٣٩) من حديث عبد الله بن عمر وقال: حديث حسن. ا هـ، وأبو داود (٤٨٨٠) من حديث أبي برزة الأسلمي بنحوه. والحديث حسن.

(٩١) صحيح: أخرجه البخاري (٦٤٩٩) ومسلم (٢٩٨٦ فؤاد) (٧٣٣٣ قلعجي) من حديث جندب العلقي. ورواه مسلم من حديث أبي هريرة وابن عباس أيضًا.

(٩٢) الوَضع بإسكان الصاد وتحريكها: طائر أصغر من العصور.

(٩٣) أخرجه ابن جرير من تفسيره (١٢/ ٧٥٢) رقم (٣٨٣٩٠) في تفسير سورة الناس.

وفي مسند الإمام أحمد عن عبد العزيز بن أبي سلمة الماجشون عن زياد بن أبي زياد مولى عبد الله بن عباس بن أبي ربيعة أنه بلغه عن معاذ بن جبل قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَا عَمِلَ آدَمِيٌّ عَمَلًا قَطُّ أَنْجَى لَهُ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ عز وجَل**» .

وقال معاذ: قال رسول الله ﷺ: «**أَلا أُخْبِرُكُم بِخَيْرِ أَعْمَالِكُمْ وَأَزْكَاهَا عِنْدَ مَلِيكِكُمْ وَأَرْفَعِهَا فِي دَرَجَاتِكُمْ وَخَيْرٍ لَكُمْ مِنْ إِنْفَاقِ الذَّهَبِ وَالفِضةِ وَمِنْ أَنْ تَلْقَوْا عَدُوَّكُمْ فَتَضْرِبُوا أَعْنَاقَهُمْ وَيَضْرِبُوا أَعْنَاقَكُمْ ؟**». قالوا: بلى يا رسول الله. قال: «**ذِكْرُ اللَّهِ عَز وَجَلَّ**» (٩٤) .

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يسير في طريق مكة فمر على جبل يقال له جمدان فقال: «**سِيرُوا هَذَا جُمْدَانُ سَبَقَ الْمُفَرِّدُونَ**». قيل: وما المفردون يا رسول الله ؟ قال: «**الذَّاكِرُونَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتُ**» (٩٥) .

وفي السنن عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَا مِنْ قَوْمٍ يَقُومُونَ مِنْ مَجْلِسٍ لا يَذْكُرُونَ اللَّهَ فِيهِ إلا قَامُوا عَنْ مِثْلِ جِيفَةِ حِمَارٍ وَكَانَ عَلَيهِمْ حَسْرَةً**» (٩٦) .

وفي رواية الترمذي: «**مَا جَلَسَ قَوْمٌ مَجْلِسًا لَمْ يَذْكُرُوا اللَّهَ فِيهِ وَلَمْ يُصَلُّوا عَلَى نَبِيِّهِمْ إلا كَانَ عَلَيهِمْ تِرَةً، فَإِنْ شَاءَ عَذَّبَهُمْ وَإِنْ شَاءَ غَفَرَ لَهُمْ**» (٩٧) .

وفي صحيح مسلم عن الأغر أبي مسلم قال: أشهد على أبي هريرة وأبي سعيد أنهما شهدا على رسول الله ﷺ أنه قال: «**لا يَقْعُدُ قَوْمٌ يَذْكُرُونَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ إلا حَفَّتْهُمُ الْمَلائِكَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ، وَنَزَلَتْ عَلَيهِمُ السَّكِينَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِيمَنْ**

---

(٩٤) إسناده منقطع: رواه أحمد من حديث معاذ بن جبل مرفوعًا (٥/ ٢٣٩) وإسناده منقطع. لكن رواه الترمذي (٣٣٨٨) وابن ماجه (٣٧٩٠) بسند حسن من حديث أبي الدرداء عن النبي ﷺ. وعن معاذ موقوفًا: «ما شيء أنجى من عذاب الله من ذكر الله».

(٩٥) صحيح: رواه مسلم (٢٦٧٦ فؤاد) (٦٦٨٢ قلعجي) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٩٦) صحيح: أخرجه أبو داود (٤٨٥٥) وأحمد (٢/ ٥١٥) والحديث صحيح.

(٩٧) حسن بطرقه: أخرجه أبو داود (٤٨٥٦) والترمذي (٣٣٩١) واللفظ له وقال: حديث حسن صحيح. ا هـ، والحديث حسن، ومعنى ترة: نقص. وفي إسناد الترمذي صالح مولى التوأمة صدوق اختلط، في إسناد أبي داود ابنُ عجلان عن المقبري، وهو مضطرب في المقبري. لكن يتقوى الحديث بطريقيه.

عِنْدَهُ»(٩٨) .

وفي الترمذي عن عبد الله بن بُسْرٍ أن رجلاً قال: يا رسول الله، إن أبواب الخير كثيرة ولا أستطيع القيام بكلها، فأخبرني بما شئت أتشبث به ولا تكثر عليَّ فأنسى. وفي رواية: إن شرائع الإسلام قد كثرت عليَّ، وأنا كبرت، فأخبرني بشيء أتشبث به. قال: **«لا يَزَالُ لِسَانُكَ رَطْبًا بِذِكْرِ اللَّهِ تَعَالى»**(٩٩) .

وفي الترمذي أيضًا عن أبي سعيد أن رسول الله ﷺ سئل: أي العباد أفضل وأرفع درجة عند الله يوم القيامة ؟ قال: **«الذَّاكِرُونَ اللَّهَ كَثِيرًا»** قيل: يا رسول الله، ومن الغازي في سبيل الله؟ قال: **«لَوْ ضَرَبَ بِسَيْفِهِ فِي الْكُفَّارِ وَالْمُشْرِكِينَ حَتَّى يَنْكَسِرَ وَيَخْتَضِبَ دَمًا ؛ لَكَانَ الذَّاكِرُ للَّهِ تَعَالى أَفْضَلَ مِنْهُ دَرَجَةً»**(١٠٠) .

وفي صحيح البخاري عن أبي موسى عن النبي ﷺ قال: **«مَثَلُ الَّذِي يَذْكُرُ رَبَّهُ وَالَّذِي لا يَذْكُرُ رَبَّهُ مَثَلُ الْحَيِّ وَالْمَيِّتِ»**(١٠١) .

وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : **«يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي، فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي، وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلإٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلإٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ شِبْرًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ منه بَاعًا، وَإِنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً»**(١٠٢) .

وفي الترمذي عن أنس أن رسول الله ﷺ قال: **«إِذَا مَرَرْتُمْ بِرِيَاضِ الْجَنَّةِ فَارْتَعُوا»** .

---

(٩٨) **صحيح**: أخرجه مسلم (٢٧٠٠ فؤاد) (٦٧٢٨ قلعجي) والترمذي (٣٣٨٩) وابن ماجه (٣٧٩١).

(٩٩) **حسن**: أخرجه الترمذي (٣٣٨٦) وابن ماجه (٣٧٩٣) والحديث حسن.

(١٠٠) **ضعيف**: أخرجه الترمذي (٣٣٨٧) من طريق ابن لهيعة عن دارج عن أبي الهيثم عن أبي سعيد، وقال الترمذي: حديث غريب. ا هـ. **قلت**: إسناده ضعيف.

(١٠١) **صحيح**: رواه البخاري (٦٤٠٧) ورواه مسلم (٧٧٩ فؤاد) (١٧٩٢ قلعجي) ولفظ مسلم: «مثل البيت الذي يذكر الله فيه، والبيت الذي لا يذكر الله فيه، مثل الحي والميت».

قال المصنف في مدارك السالكين (٢/ ٣٢٠) فتضمن اللفظان أن القلب الذاكر كالحي في بيوت الأحياء، والغافل كالميت في بيوت الأموات. ولا ريب أن أبدان الغافلين قبور لقلوبهم، وقلوبهم فيها كالأموات في القبور. ا هـ.

(١٠٢) **صحيح**: رواه البخاري (٧٤٠٥) ومسلم (٢٦٧٥ فؤاد) (٦٦٧٩ قلعجي) من حديث أبي هريرة.

قالوا: يا رسول الله، وما رياض الجنة ؟ قال: «**حِلَقُ الذِّكْرِ**»(١٠٣) .

وفي الترمذي أيضًا عن النبي ﷺ عن الله عز وجل أنه يقول: «**إِنَّ عَبْدِي كُلَّ عَبْدِيَ الَّذِي يَذْكُرُنِي وَهُوَ مُلاقٍ قِرْنَهُ**»(١٠٤) .

وهذا الحديث هو فصل الخطاب والتفصيل بين الذاكر والمجاهد، فإن الذاكر المجاهد أفضل من الذاكر بلا جهاد والمجاهد الغافل، والذاكر بلا جهاد أفضل من المجاهد الغافل عن الله تعالى. فأفضل الذاكرين المجاهدون، وأفضل المجاهدين الذاكرون.

قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُواْ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ **[الأنفال: ٤٥]** فأمرهم بالذكر الكثير والجهاد معًا ؛ ليكونوا على رجاء من الفلاح، وقد قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾ **[الأحزاب: ٤١]** وقال تعالى: ﴿وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ﴾ **[الأحزاب: ٣٥]** أي كثيرًا، وقال تعالى: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَٰسِكَكُمْ فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَذِكْرِكُمْ ءَابَآءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا﴾ **[البقرة: ٢٠٠]** ، ففيه الأمر بالذكر بالكثرة والشدة لشدة حاجة العبد إليه وعدم استغنائه عنه طرفة عين، فأي لحظة خلا فيها العبد عن ذكر الله عز وجل كانت عليه لا له، وكان خسرانه فيها أعظم مما ربح في غفلته عن الله. وقال بعض العارفين: لو أقبل عبد على الله تعالى كذا وكذا سنة ثم أعرض عنه لحظة لكان ما فاته أعظم مما حصله.

---

(١٠٣) **ضعيف الإسناد**: رواه الترمذي (٣٥٢١) وقال هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه. ا هـ. وإسناده ضعيف؛ لضعف محمد بن ثابت.

(١٠٤) **ضعيف**: رواه الترمذي (٣٥٩١) وقال: حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه ليس إسناده بالقوي. ا هـ في إسناده الوليد بن مسلم، يدلس تدليس تسوية ولم يصرح بالتحديث في كل طبقات السند، وإن صرح به عن شيخه وشيخ شيخه وفيه عفير بن معدان ضعيف. لكن أخرجه ابن المبارك في الزهد ص (٢٢٢) رقم (٩٥٧) عن شريح بن عبيد؛ وعبد الرحمن بن جبير بن نفير مرسلاً، فيتقوى الحديث بذلك ومعنى ملاق قرنه أي في الحرب والقتال.

قال المصنف في مدارج السالكين (٢/ ٣١٨) بعد ذكره لهذا الحديث: سمعت شيخ الإسلام ابن تيمية يستشهد به، وسمعته يقول: المحبون يفتخرون بذكر من يحبونه في هذا الحال كما قال عنترة:

ولقد ذكرتُك والرماحُ كأنها   أشطانُ بئرٍ في لَبَانِ الأدهمِ

وهو مما يدل على قوة المحبة، فإن ذِكْرَ المحبِّ محبوبَه في تلك الحال يدل على أنه بمنزلة نفسه أو أعز منها. وهذا دليل على صدق المحبة والله أعلم. ا هـ باختصار. وراجع طريق الهجرتين ص (٤٥٨) وروضة المحبين ص (٢٤٩).

وذكر البيهقي عن عائشة عن النبي ﷺ أنه قال: «**مَا مِنْ سَاعَةٍ تَمُرُ بِابْنِ آدَمَ لا يَذْكُر فِيها إلا تَحَسَّرَ عَلَيهَا يومَ القِيَامَةِ**»(١٠٥).

وذكر عن معاذ بن جبل يرفعه أيضًا: «**لَيْسَ يَتَحَسَّرَ أهلُ الجَنةِ إلا عَلَى سَاعَةٍ مَرتْ بِهِم لَمْ يَذْكُرُوا اللهَ عَز وَجَل فِيهَا**»(١٠٦).

وعن أم حبيبة زوج النبي ﷺ قالت: قال رسول الله ﷺ: «**كَلامُ ابْنِ آدَمَ كُله عَلَيْهِ لا لَهُ إلا الأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيَ عَنْ الْمُنْكَرِ وَذِكْرَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ**»(١٠٧).

وعن معاذ بن جبل قال: سألت رسول الله ﷺ: أي الأعمال أحب إلى الله عز وجل ؟ قال: «**أَنْ تَمُوتَ وَلِسَانُكَ رَطْبٌ مِنْ ذِكْرِ اللهِ عَز وَجَل**»(١٠٨).

وقال أبو الدرداء رضي الله تعالى عنه: لكل شيء جلاء، وإن جلاء القلوب ذكر الله عز وجل(١٠٩).

وذكر البيهقي مرفوعًا من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه كان يقول: «**لِكُلِ شَيءٍ صَقَالَةٍ، وإنَّ صَقَالَةَ القُلُوبِ ذِكْرُ اللهِ عَز وَجَل، وَمَا مِنْ شَيءٍ أَنْجَى مِنْ عَذَابِ اللهِ عَز وَجَل مِنْ ذِكْر اللهِ عَزَ وَجَل**». قالوا: ولا الجهاد في سبيل الله عز وجل ؟ قال: «**وَلَو أنْ يَضْرِبَ بِسَيفِهِ حَتَى يَنقَطِع**»(١١٠).

---

(١٠٥) ضعيف: أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (١/ ٣٩٢) رقم (٥١١) وعقب عليه بقوله: وفي هذا الإسناد ضعف، غير أن له شواهد من حديث معاذ. ا هـ. قلت: في إسناده عمرو بن حصين متروك.

(١٠٦) ضعيف: أخرجه البيهقي في الشعب (١/ ٣٩٢) رقم (٥١٢، ٥١٣) وفي إسناده يزيد بن يحيى أبو خالد القرشي، أورده ابن حبان في الثقات (٩/ ٢٧١) وهو مجهول، والراوي عنه سليمان بن عبد الرحمن بن عيسى، إذا حدث عن الضعفاء والمجاهيل يغرب.

(١٠٧) ضعيف الإسناد: أخرجه البيهقي في الشعب (١/ ٣٩٣) رقم (٥١٤) وهو في الترمذي (٢٤٢٠) وابن ماجه (٣٩٧٤) وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث محمد بن يزيد بن خنيس. ا هـ. قلت: ومحمد بن يزيد قال فيه أبو حاتم: شيخ صالح. لكن في إسناده أيضًا أم صالح بنت صالح، لا يعرف حالها.

(١٠٨) ضعيف الإسناد: أخرجه البيهقي في الشعب (١/ ٣٩٣) رقم (٥١٦) وفي إسناده عبد الرحمن بن ثابت بن ثوبان، ضعفه: أحمد، وابن معين، والنسائي.

(١٠٩) أخرجه البيهقي في الشعب (١/ ٣٩٦) رقم (٥٢٣) وهو منقطع بين أبي الدرداء والراوي عنه ربيعة ابن يزيد.

(١١٠) ضعيف: أخرجه البيهقي في الشعب (١/ ٣٩٦) رقم (٥٢٢) وفي إسناده: سعيد بن سنان متروك. ومعنى صقالة: تجلية. وقد ورد هذا اللفظ في البيهقي بالسين «سقالة» وأورده المتقي

ولا ريب أن القلب يصدأ كما يصدأ النحاس والفضة وغيرهما، وجلاؤه بالذكر، فإنه يجلوه حتى يدعه كالمرآة البيضاء. فإذا ترك صدئ، فإذا ذكر جلاه.

وصدأ القلب بأمرين : بالغفلة والذنب، وجلاؤه بشيئين بالاستغفار والذكر.

فمن كانت الغفلة أغلب أوقاته كان الصدأ متراكبًا على قلبه، وصدأه بحسب غفلته، وإذا صدئ القلب لم تنطبع فيه صور المعلومات على ما هي عليه فيرى الباطل في صورة الحق، والحق في صورة الباطل ؛ لأنه لما تراكم عليه الصدأ أظلم فلم تظهر فيه صورة الحقائق كما هي عليه. فإذا تراكم عليه الصدأ واسودَّ وركبه الرَّان فسد تصوره وإدراكه، فلا يقبل حقًّا ولا ينكر باطلاً. وهذا أعظم عقوبات القلب.

وأصل ذلك من الغفلة واتباع الهوى فإنهما يطمسان نور القلب ويعميان بصره، قال تعالى: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا﴾ [الكهف: ٢٨].

فإذا أراد العبد أن يقتدي برجل فلينظر: هل هو من أهل الذكر أو من الغافلين ؟ وهل الحاكم عليه الهوى أو الوحي. فإن كان الحاكم عليه هو الهوى وهو من أهل الغفلة كان أمره فرطًا. ومعنى الفُرُطُ قد فسر: بالتضييع، أي أمره الذي يجب أن يلزمه ويقوم به وبه رشده وفلاحه ضائع قد فرط فيه، وفسر: بالإسراف أي: قد أفرط، وفسر: بالإهلاك، وفسر: بالخلاف للحق. وكلها أقوال متقاربة.

والمقصود: أن الله سبحانه وتعالى نهى عن طاعة من جمع هذه الصفات، فينبغي للرجل أن ينظر في شيخه وقدوته ومتبوعه فإن وجده كذلك فليبعد منه. وإن وجده ممن غلب عليه ذكر الله تعالى عز وجل واتباع السنة وأمره غير مفروط عليه بل هو حازم في أمره فليستمسك بغرزه، ولا فرق بين الحي والميت إلا بالذكر، فمثل الذي يذكر ربه والذي لا يذكر ربه كمثل الحي والميت. وفي المسند مرفوعًا:

الهندي في كنز العمال (١/ ٤١٨) رقم (١٧٧٨) صقالة بالصاد وعزاه للبيهقي. وفي هامشه: في المنتخب: سقالة. ا هـ. وأورده بالصاد أيضًا (١/ ٤٢٨) رقم (١٨٤٨) وهو مضبوط في هذه المواضع بكسر الصاد. وهو في المشكاة (٢/ ٧٠٥) رقم (٢٢٨٦) بالصاد فوقها فتحة.

أما بقية الحديث فقد رواه ابن أبي شيبة (١٣/ ٤٥٥) رقم (١٦٨٩٧) من حديث معاذ بن جبل، ورجاله ثقات، إلا أنه منقطع بين طاوس ومعاذ. وعزاه الهيثمي في المجمع (١٠/ ٧٣) للطبراني وقال رجاله رجال الصحيح.

«أَكْثِرُوا ذِكْرَ اللَّهِ حَتَّى يُقَالَ مَجْنُونٌ» (١١١).

وفي الذكر أكثر من مائة فائدة:

إحداها: أنه يطرد الشيطان ويقمعه ويكسره.

الثانية: أنه يرضي الرحمن عز وجل.

الثالثة: أنه يزيل الهم والغم عن القلب.

الرابعة: أنه يجلب للقلب الفرح والسرور والبسط.

الخامسة: أنه يقوى القلب والبدن.

السادسة: أنه ينور الوجه والقلب.

السابعة: أنه يجلب الرزق.

الثامنة: أنه يكسو الذاكر المهابة والحلاوة والنضرة.

التاسعة: أنه يورثه المحبة التي هي روح الإسلام، وقطب رحى الدين ومدار السعادة والنجاة. وقد جعل الله لكل شيء سببًا، وجعل سبب المحبة دوام الذكر. فمن أراد أن ينال محبة الله عز وجل فَلْيلهَج بذكره ؛ فإنه الدرس والمذاكرة كما أنه باب العلم، فالذكر باب المحبة وشارعها الأعظم وصراطها الأقوم.

العاشرة: أنه يورثه المراقبة حتى يدخله في باب الإحسان، فيعبد الله كأنه يراه، ولا سبيل للغافل عن الذكر إلى مقام الإحسان، كما لا سبيل للقاعد إلى الوصول إلى البيت.

الحادية عشرة: أنه يورثه الإنابة، وهي الرجوع إلى الله عز وجل، فمتى أكثر الرجوع إليه بذكره أورثه ذلك رجوعه بقلبه إليه في كل أحواله، فيبقى الله عز وجل مفزعه وملجأه، وملاذه ومعاذه، وقِبْلَةَ قَلْبِهِ، ومهربه عند النوازل والبلايا.

الثانية عشرة: أنه يورثه القرب منه، فعلى قدر ذكره لله عز وجل يكون قربه منه، وعلى قدر غفلته يكون بعده منه.

الثالثة عشرة: أنه يفتح له بابًا عظيمًا من أبواب المعرفة، وكلما أكثر من الذكر

---

(١١١) **ضعيف:** أخرجه أحمد (٣/ ٧١) والحاكم (١/ ٤٩٩) والبيهقي في الشعب (١/ ٣٩٧) رقم (٥٢٦) وفي إسناده ابن لهيعة ضعيف، ودراج أبي السمح ضعيف وبخاصة في روايته عن أبي الهيثم وهذا منه.

ازداد من المعرفة.

الرابعة عشرة أنه يورثه الهيبة لربه عز وجل وإجلاله، لشدة استيلائه على قلبه وحضوره مع الله تعالى، بخلاف الغافل فإن حجاب الهيبة رقيق في قلبه.

الخامسة عشرة أنه يورثه ذِكْرَ الله تعالى له كما قال تعالى: ﴿فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ﴾ [البقرة: ١٥٢] ولو لم يكن في الذكر إلا هذه وحدها لكفى بها فضلاً وشرفًا، وقال النبي ﷺ فيما يروي عن ربه تبارك وتعالى: **«مَنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي، وَمَنْ ذَكَرَنِي فِي مَلإٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلإٍ خَيرٌ مِنْهُمْ»** (١١٢).

السادسة عشرة أنه يورث حياة القلب، وسمعت شيخ الإسلام ابن تيمية - قدس الله تعالى روحه - يقول: الذكر للقلب مثل الماء للسمك فكيف يكون حال السمك إذا فارق الماء؟.

السابعة عشرة أنه قوت القلب والروح، فإذا فقده العبد صار بمنزلة الجسم إذا حيل بينه وبين قوته. وحضرت شيخ الإسلام ابن تيمية مرة صلى الفجر ثم جلس يذكر الله تعالى إلى قريب من انتصاف النهار، ثم التفتَ إليَّ وقال: هذه غدوتي. ولو لم أتغدَّ الغداء سَقطتْ قوتي. أو كلامًا قريبًا من هذا (١١٣).

وقال لي مَرَّةً: لا أترك الذكر إلا بنية إجمام نفسي وإراحتها لأستعد بتلك الراحة لذكر آخر. أو كلامًا هذا معناه.

الثامنة عشرة أنه يورث جلاء القلب من صدئه كما تقدم في الحديث، وكل شيء له صدأ، وصدأ القلب الغفلة والهوى، وجلاؤه الذكر والتوبة والاستغفار وقد تقدم هذا المعنى.

التاسعة عشرة أنه يحط الخطايا ويذهبها. فإنه من أعظم الحسنات، والحسنات يذهبن السيئات.

العشرون أنه يزيل الوحشة بين العبد وبين ربه تبارك وتعالى، فإن الغافل بينه وبين الله عز وجل وحشة لا تزول إلا بالذكر.

---

(١١٢) صحيح: البخاري (٧٤٠٥) ومسلم (٢٦٧٥ فؤاد) (٦٦٧٩ قلعجي) من حديث أبي هريرة.

(١١٣) ذكر ابن حجر قريبًا من هذا عن ابن القيم أيضًا، حيث يقول: وكان - ابن القيم - إذا صلى الصبح جلس مكانه يذكر الله حتى يتعالى النهار. ويقول: هذه غدوتي، لو لم أتغدها سقطت قواي. اهـ. راجع الدرر الكامنة لابن حجر (٤/ ٢١) رقم (٣٥٨٦).

الحادية والعشرون أن ما يذكر به العبد ربه عز وجل من جلاله وتسبيحه وتحميده يذكر بصاحبه عند الشدة، فقد روى الإمام أحمد في المسند عن النبي ﷺ قال: **«إنَّ مَا تَذْكُرُونَه مِنْ جَلالِ اللَّهِ عَز وَجَل مِنَ التَّهلِيلِ والتَّكْبيرِ والتَّحْمِيدِ يَتَعَاطَفْنَ حَوْلَ الْعَرْشِ لَهُنَّ دَوِيٌّ كَدَوِيِّ النَّحْلِ يُذَكِّرْنَ بِصَاحِبِهِنَّ أفلا يُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَكُونَ لَهُ مَا يُذَكِّرُ بِهِ»** (١١٤) ؟ هذا الحديث أو معناه.

الثانية والعشرون أن العبد إذا تعرف إلى الله تعالى بذكره في الرخاء عرفه في الشدة، وقد جاء أثر معناه أن العبد المطيع الذاكر لله تعالى إذا أصابته شدة أو سأل الله تعالى حاجة قالت الملائكة: يا رب صوت معروف، من عبد معروف، والغافل المعرض عن الله عز وجل إذا دعاه وسأله قالت الملائكة: يا رب، صوت منكر، من عبد منكر (١١٥).

الثالثة والعشرون: أنه ينجي من عذاب الله تعالى، كما قال معاذ رضي الله عنه ويروى مرفوعًا: **«مَا عَمِلَ آدَمِيٌّ عَمَلًا قَطُّ أَنْجَى لَهُ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ عَز وَجَل مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ تَعالى»** (١١٦).

الرابعة والعشرون: أنه سبب تنزيل السكينة، وغشيان الرحمة، وحفوف الملائكة بالذاكر كما أخبر به النبي ﷺ (١١٧).

الخامسة والعشرون: أنه سبب اشتغال اللسان عن الغيبة والنميمة والكذب والفحش والباطل. فإن العبد لا بد له من أن يتكلم. فإن لم يتكلم بذكر الله تعالى وذكر أوامره تكلم بهذه المحرمات أو بعضها، ولا سبيل إلى السلامة منها ألبتة إلا بذكر الله تعالى.

---

(١١٤) صحيح الإسناد: أخرجه أحمد (٤/ ٢٦٨)، (٤/ ٢٧١) وابن ماجه (٣٨٠٩) وهو حديث صحيح الإسناد. لكن وقع في إسناده: عون بن عبد الله عن أبيه أو عن أخيه، ورواية عون عن أبيه مرسلة.

(١١٥) صحيح موقوفًا: أخرجه ابن أبي شيبة (١٠/ ٣٠٩) رقم (٩٥٢٩) عن سلمان الفارسي موقوفًا وإسناده صحيح.

(١١٦) صحيح موقوفًا: رواه الترمذي (٣٣٨٨) وابن ماجه (٣٧٩٠) عن معاذ موقوفًا وهو صحيح، وروى أحمد (٥/ ٢٣٩) المرفوع بإسناد منقطع، وابن أبي شيبة (١٣/ ٤٥٥) رقم (١٦٨٩٧) بإسناد منقطع أيضًا.

(١١٧) روى مسلم (٢٧٠٠فؤاد) (٦٧٢٦ قلعجي) والترمذي (٣٣٨٩) وابن ماجه (٣٧٩١) أن رسول الله ﷺ قال: **«لا يقعد قوم يذكرون الله عز وجل إلا حفتهم الملائكة، وغشيتهم الرحمة، ونزلت عليهم السيكنة، وذكرهم الله فيمن عنده»**.

والمشاهدة والتجربة شاهدان بذلك، فمن عود لسانه ذكر الله صان لسانه عن الباطل واللغو، ومن يبس لسانه عن ذكر الله تعالى ترطب بكل باطل ولغو وفحش، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

السادسة والعشرون أن مجالس الذكر مجالس الملائكة، ومجالس اللغو والغفلة مجالس الشياطين. فليتخير العبد أعجبهما إليه وأولاهما به، فهو مع أهله في الدنيا والآخرة.

السابعة والعشرون أنه يسعد الذاكر بذكره ويسعد به جليسه، وهذا هو المبارك أين ما كان. والغافل واللاغي يشقى بلغوه وغفلته ويشقى به مُجالسُه.

الثامنة والعشرون أنه يؤمن العبد من الحسرة يوم القيامة. فإن كل مجلس لا يذكر العبد فيه ربه تعالى كان عليه حسرة وترة يوم القيامة.

التاسعة والعشرون أنه مع البكاء في الخلوة سبب لإظلال الله تعالى العبد يوم الحر الأكبر في ظل عرشه، والناس في حر الشمس قد صهرتهم في الموقف. وهذا الذاكر مستظل بظل عرش الرحمن عز وجل(١١٨).

الثلاثون أن الاشتعال به سبب لعطاء الله للذاكر، أفضل ما يعطي السائلين، ففي الحديث عن عمر بن الخطاب قال: قال رسول الله ﷺ: **«يَقُولُ الرَّبُّ عَزَّ وَجَلَّ مَنْ شَغَلَهُ الْقُرْآنُ وَذِكْرِي عَنْ مَسْأَلَتِي أَعْطَيْتُهُ أَفْضَلَ مَا أُعْطِي السَّائِلِينَ»**(١١٩).

الحادية والثلاثون أنه أيسر العبادات، وهو من أجلها وأفضلها، فإن حركة اللسان أخف حركات الجوارح وأيسرها، ولو تحرك عضو من الإنسان في اليوم والليلة بقدر حركة لسانه لشق عليه غاية المشقة بل لا يمكنه ذلك.

الثانية والثلاثون أنه غراس الجنة، فقد روى الترمذي في جامعه من حديث عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: **«لَقِيتُ إِبْرَاهِيمَ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِي فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ أَقْرِئْ أُمَّتَكَ مِنِّي السَّلامَ وَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ الْجَنَّةَ طَيِّبَةُ التُّرْبَةِ عَذْبَةُ الْمَاءِ وَأَنَّهَا قِيعَانٌ وَأَنَّ غِرَاسَهَا سُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ وَلا إِلَهَ إِلا اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ»**(١٢٠) قال

(١١٨) روى البخاري (١١٤٢٣) ومسلم (١٠٣١١ فؤاد) (٢٣٤٢ قلعجي) أن رسول الله ﷺ قال: «سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله... ورجل ذكر الله خاليًا ففاضت عيناه».
(١١٩) ضعيف: أخرجه الترمذي (٢٩٣٥) من حديث أبي سعيد الخدري. وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب. اهـ. وفي إسناده محمد بن الحسن الهمداني، وعطية العوفي: ضعيفان.
(١٢٠) ضعيف الإسناد: أخرجه الترمذي (٣٤٧٣) وقال: حسن غريب. اهـ. وإسناده ضعيف،

الترمذي: حديث حسن غريب، من حديث ابن مسعود.

وفي الترمذي من حديث أبي الزبير عن جابر عن النبي ﷺ قال: «**مَنْ قَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ غُرِسَتْ لَهُ نَخْلَةٌ فِي الْجَنَّةِ**» (١٢١). قال الترمذي: حديث حسن صحيح.

الثالثة والثلاثون أن العطاء والفضل الذي رتب عليه لم يرتب على غيره من الأعمال. ففي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**مَنْ قَالَ: لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ فِي يَوْمٍ مِائَةَ مَرَّةٍ؛ كَانَتْ لَهُ عَدْلَ عَشْرِ رِقَابٍ، وَكُتِبَتْ لَهُ مِائَةُ حَسَنَةٍ، وَمُحِيَتْ عَنْهُ مِائَةُ سَيِّئَةٍ، وَكَانَتْ لَهُ حِرْزًا مِنَ الشَّيْطَانِ يَوْمَهُ ذَلِكَ حَتَّى يُمْسِيَ، وَلَمْ يَأْتِ أَحَدٌ بِأَفْضَلَ مِمَّا جَاءَ بِهِ إِلا رَجُلٌ عَمِلَ أَكْثَرَ مِنْهُ، وَمَنْ قَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ فِي يَوْمٍ مِائَةَ مَرَّةٍ حُطَّتْ خَطَايَاهُ وَلَوْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ**» (١٢٢).

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**لأَنْ أَقُولَ: سُبْحَانَ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلا إِلَهَ إِلا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ؛ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ**» (١٢٣).

وفي الترمذي من حديث أنس أن رسول الله ﷺ قال: «**مَنْ قَالَ حِينَ يُصْبِحُ أَوْ يُمْسِي: اللَّهُمَّ إِنِّي أَصْبَحْتُ أُشْهِدُكَ وَأُشْهِدُ حَمَلَةَ عَرْشِكَ وَمَلائِكَتَكَ وَجَمِيعَ خَلْقِكَ أَنَّكَ أَنْتَ اللَّهُ لا إِلَهَ إِلا أَنْتَ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُكَ وَرَسُولُكَ؛ أَعْتَقَ اللَّهُ رُبُعَهُ مِنَ النَّارِ، وَمَنْ قَالَهَا مَرَّتَيْنِ أَعْتَقَ اللَّهُ نِصْفَهُ مِنَ النَّارِ، وَمَنْ قَالَهَا ثَلاثًا أَعْتَقَ اللَّهُ ثَلاثَةَ أَرْبَاعِهِ مِنَ النَّارِ، وَمَنْ قَالَهَا أَرْبَعًا أَعْتَقَهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ**» (١٢٤).

فيه عبد الرحمن بن إسحاق الواسطي: ضعيف.

(١٢١) **صحيح الإسناد**: أخرجه الترمذي (٣٤٧٥، ٣٤٧٦) بزيادة العظيم: «سبحان الله العظيم وبحمده» والإسناد رجاله ثقات، لكنه من طريق أبي الزبير عن جابر. وأبو الزبير مدلس وقد عنعن.

(١٢٢) **صحيح**: أخرجه البخاري (٦٤٠٣) ومسلم (٢٦٩١ فؤاد) (٦٧١٦ قلعجي) واللفظ لمسلم.

(١٢٣) **صحيح**: أخرجه مسلم (٢٦٩٥ فؤاد) (٦٧٢٠ قلعجي) والترمذي (٣٦٠٨) وقال الترمذي: حديث حسن صحيح.

(١٢٤) **إسناده ضعيف**: أخرجه أبو داود (٥٠٦٩) من حديث مكحول عن أنس وفي إسناده عبد الرحمن بن عبد المجيد مجهول. وروى نحوه برقم (٥٠٧٨) والترمذي (٣٥١١) من حديث بقية عن مسلم ابن زياد عن أنس وقال الترمذي: حسن غريب. ا هـ وبقية مدلس، ومسلم بن زياد مجهول.

وفيه عن ثوبان أن رسول الله ﷺ قال: «**مَنْ قَالَ حِينَ يُمْسِي وَإِذَا أَصْبَحَ: رَضِيتُ بِاللَّهِ رَبًّا وَبِالإِسْلامِ دِينًا، وَبِمُحَمَّدٍ ﷺ رَسُولًا، كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ أَنْ يُرْضِيَهُ**»(١٢٥).

وفي الترمذي: «**مَنْ دَخَلَ السُّوقَ فَقَالَ: لا إِلَهَ إلا اللَّهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ حَيٌّ لا يَمُوتُ بِيَدِهِ الْخَيْرُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ؛ كَتَبَ اللَّهُ لَهُ أَلْفَ أَلْفِ حَسَنَةٍ، وَمَحَا عَنْهُ أَلْفَ أَلْفِ سَيِّئَةٍ، وَرَفَعَ لَهُ أَلْفَ أَلْفِ دَرَجَةٍ**» (١٢٦).

الرابعة والثلاثون أن دوام ذكر الرب تبارك وتعالى يوجب الأمان من نسيانه الذي هو سبب شقاء العبد في معاشه ومعاده، فإن نسيان الرب سبحانه وتعالى يوجب نسيان نفسه ومصالحها، قال تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ **[الحشر: ١٩]** وإذا نسي العبد نفسه أعرض عن مصالحها ونسيها واشتغل عنها فهلكت وفسدت ولا بد، كمن له زرع أو بستان أو ماشية أو غير ذلك مما صلاحه وفلاحه بتعاهده والقيام عليه، فأهمله ونسيه واشتغل عنه بغيره وضيع مصالحه فإنه يفسد ولا بد. هذا مع إمكان قيام غيره مقامه فيه، فكيف الظن بفساد نفسه وهلاكها وشقائها إذا أهملها ونسيها واشتغل عن مصالحها وعطل مراعاتها وترك القيام عليها بما يصلحها، فما شئت من فساد وهلاك وخيبة وحرمان. وهذا هو الذي صار أمره كله فرطًا فانفرط عليه أمره وضاعت مصالحه، وأحاطت به أسباب القطوع والخيبة والهلاك.

ولا سبيل إلى الأمان من ذلك إلا بدوام ذكر الله تعالى واللهج به، وألا يزال اللسان رطبًا به، وأن يتولى منزلة حياته التي لا غنى له عنها ومنزلة غذائه الذي إذا فقده فسد جسمه وهلك، وبمنزلة الماء عند شدة العطش، وبمنزلة اللباس في الحر

(١٢٥) **حسن من طريق أبي سعيد:** أخرجه الترمذي (٣٤٠٠) من حديث ثوبان وقال: حسن غريب من هذا الوجه اهـ. وفي إسناده سعيد بن المرزبان وهو ضعيف. لكن رواه أبو داود (٥٠٧٢) وأحمد (٤/ ٣٣٧) من طريق سابق بن ناجية وهو مقبول. وروى أبو داود (١٥٢٩) نحوه من حديث أبي سعيد الخدري وهو حديث حسن.

(١٢٦) **ضعيف:** أخرجه الترمذي (٣٤٣٩) من طريق محمد بن واسع عن سالم عن أبيه عن جده. وقال الترمذي: حديث غريب. اهـ. وأخرجه أيضًا (٣٤٤٠) وابن ماجه (٢٢٣٥) من طريق عمرو ابن دينار مولى آل الزبير. وقال الترمذي: وقد تكلم فيه بعض أصحاب الحديث من غير هذا الوجه. اهـ. والحديث أعله عدد من أهل العلم منهم: ابن القيم في المنار المنيف ص (٢٢)، وابن أبي حاتم، والدارقطني، والنسائي وغيرهم. وحسنه الشيخ الألباني في صحيح الجامع (٦٢٣١).

والبرد وبمنزلة الكِن في شدة الشتاء والسموم (١٢٧).

فحقيق بالعبد أن ينزل ذكر الله منه بهذه المنزلة وأعظم، فأين هلاك الروح والقلب وفسادهما من هلاك البدن وفساده ؟ هذا هلاك لا بد منه وقد يعقبه صلاح الأبد، وأما هلاك القلب والروح فهلاك لا يرجى معه صلاح ولا فلاح، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم. ولو لم يكن في فوائد الذكر وإدامته إلا هذه الفائدة وحدها لكفى بها، فمن نسي الله تعالى أنساه نفسه في الدنيا ونسيه في العذاب يوم القيامة، قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَـٰتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ﴾ [طه: ١٢٤-١٢٦] أي تنسى في العذاب كما نسيت آياتي فلم تذكرها ولم تعمل بها. وإعراضه عن ذكره يتناول إعراضه عن الذكر الذي أنزله، وهو أن يذكر الذي أنزله في كتابه وهو المراد بتناول إعراضه عن أن يذكر ربه بكتابه وأسمائه وصفاته وأوامره وآلائه ونعمه، فإن هذه كلها توابع إعراضه عن كتاب ربه تعالى، فإن الذكر في الآية إما مصدر مضاف إلى الفاعل أو مضاف إضافة الأسماء المحضة، أعرض عن كتابي ولم يتله ولم يتدبره ولم يعمل به ولا فهمه، فإن حياته ومعيشته لا تكون إلا مضيقة عليه منكدة معذبًا فيها.

والضنك : الضيق والشدة والبلاء. ووصف المعيشة نفسها بالضنك مبالغة، وفسرت هذه المعيشة بعذاب البرزخ، والصحيح أنها تتناول معيشته في الدنيا وحاله في البرزخ، فإنه يكون في ضنك في الدارين، وهو شدة وجهد وضيق. وفي الآخرة تنسى في العذاب. وهذا عكس أهل السعادة والفلاح فإن حياتهم في الدنيا أطيب الحياة ولهم في البرزخ وفي الآخرة أفضل الثواب.

قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَـٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً﴾ [النحل: ٩٧] فهذا في الدنيا، ثم قال: ﴿وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٧] فهذا في البرزخ والآخرة. وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ فِى ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا۟ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَأَجْرُ ٱلْـَٔاخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٤١] وقال تعالى: ﴿وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَـٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِى فَضْلٍ فَضْلَهُۥ﴾ [هود: ٣] فهذا في الآخرة. وقال تعالى: ﴿قُلْ يَـٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟

(١٢٧) الكِن: بكسر الكاف كل ما يُكِنُّ الإنسان، أي يستره ويرد عنه البرد والحر من الأبنية ونحوها. والسموم: الريح الشديدة الحرارة.

اتَّقُوا رَبَّكُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: ١٠]. فهذه أربعة مواضع ذكر الله تعالى فيها أنه يجزي المحسن بإحسانه جزاءين: جزاء في الدنيا، وجزاء في الآخرة.

فالإحسان له جزاء معجل ولا بد، والإساءة لها جزاء معجل ولا بد. ولو لم يكن إلا ما يجازي به المحسن من انشراح صدره في انفساح قلبه وسروره ولذاته بمعاملة ربه عز وجل وطاعته وذكره ونعيم روحه بمحبته. وذكره وفرحه بربه سبحانه وتعالى أعظم مما يفرح القريب من السلطان الكريم عليه بسلطانه. وما يجازي به المسيء من ضيق الصدر وقسوة القلب وتشتته وظلمته وحزازاته وغمه وهمه وحزنه وخوفه (١٢٨).

وهذا أمر لا يكاد من له أدنى حس وحياة يرتاب فيه، بل الغموم والهموم والأحزان والضيق عقوبات عاجلة ونار دنيوية وجهنم حاضرة، والإقبال على الله تعالى والإنابة إليه والرضاء به وعنه وامتلاء القلب من محبته واللهج بذكره والفرح والسرور بمعرفته ثواب عاجل وجنة وعيش لا نسبة لعيش الملوك إليه ألبتة.

وسمعت شيخ الإسلام ابن تيمية قدس الله روحه يقول: إن في الدنيا جنة من لم يدخلها لا يدخل جنة الآخرة. وقال لي مرة: ما يصنع أعدائي بي ؟ أنا جنتي وبستاني في صدري، إن رحت فهي معي لا تفارقني، إن حبسي خلوة، وقتلي شهادة، وإخراجي من بلدي سياحة. وكان يقول في محبسه في القلعة: لو بذلت ملء هذه القاعة ذهبًا ما عدل عندي شكر هذه النعمة. أو قال: ما جزيتهم على ما تسببوا لي فيه من الخير، ونحو هذا (١٢٩). وكان يقول في سجوده وهو محبوس:

(١٢٨) هذا كله واقع في جملة الشرط: لـ «لو» أما جواب الشرط فمحذوف تقديره: لكفى، وحذف الجواب «لو» أفضل. قال ابن القيم في أقسام القرآن ص (٨): «فليس في ذكر الجواب زيادة على ما دل عليه الشرط، وهذه عادة الناس في كلامهم. يقول أحدهم: لو رأيت ما جرى يوم كذا بموضع كذا؟» ا هـ.

(١٢٩) سجن شيخ الإسلام ابن تيمية مرات عديدة في قلعة دمشق، وقلعة الجبل بالقاهرة، وفي الإسكندرية. والظاهر أن ذلك كان في محبسه بقلعة دمشق حيث سجن معه ابن القيم رحمهما الله. وقد أرسل ابن تيمية من سجنه بالإسكندرية إلى أصحابه في دمشق رسالة يقول فيها: «... فإني والله العظيم الذي لا إله إلا هو، في نعم من الله ما رأيت مثلها في عمري كله، وقد فتح الله سبحانه وتعالى من أبواب فضله ونعمته وخزائن جوده ورحمته ما لم يكن بالبال، ولا يدور في الخيال». وقال أيضًا في هذه الرسالة: «نعم الله التي أنعم بها عليّ وأنا في هذا المكان أعظم قدرًا وأكثر عددًا ما لا يمكن حصره». راجع الرسالة كاملة بمجموع الفتاوى (٢٨/ ٣٠) وما بعدها،

اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك، ما شاء الله، وقال لي مرة: المحبوس من حبس قلبه عن ربه تعالى. والمأسور من أسره هواه. ولما دخل إلى القلعة وصار داخل سورها نظر إليه وقال: ﴿فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابُۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ﴾ [الحديد: ١٣] وعلم الله ما رأيت أحدًا أطيب عيشًا منه قط، مع ما كان فيه من ضيق العيش وخلاف الرفاهية والنعيم بل ضدها، ومع ما كان فيه من الحبس والتهديد والإرهاق، وهو مع ذلك من أطيب الناس عيشًا، وأشرحهم صدرًا، وأقواهم قلبًا، وأسرهم نفسًا، تلوح نضرة النعيم على وجهه. وكنا إذا اشتد بنا الخوف وساءت منا الظنون وضاقت بنا الأرض أتيناه، فما هو إلا أن نراه ونسمع كلامه فيذهب ذلك كله وينقلب انشراحًا وقوة ويقينًا وطمأنينة. فسبحان من أشهد عباده جنته قبل لقائه، وفتح لهم أبوابها في دار العمل، فأتاهم من روحها ونسيمها وطيبها ما استفرغ قواهم لطلبها والمسابقة إليها.

وكان بعض العارفين يقول: لو علم الملوك وأبناء الملوك ما نحن فيه لجالدونا عليه بالسيوف. وقال آخر: مساكين أهل الدنيا، خرجوا منها وما ذاقوا أطيب ما فيها ؟ قيل: وما أطيب ما فيها ؟ قال: محبة الله تعالى ومعرفته وذكره. أو نحو هذا. وقال آخر: إنه لتمر بالقلب أوقات يرقص فيها طربًا. وقال آخر: إنه لتمر بي أوقات أقول: إن كان أهل الجنة في مثل هذا إنهم لفي عيش طيب.

فمحبة الله تعالى ومعرفته ودوام ذكره والسكون إليه والطمأنينة إليه وإفراده بالحب والخوف والرجاء والتوكل والمعاملة بحيث يكون هو وحده المستولي على هموم العبد وعزماته وإرادته، هو جنة الدنيا والنعيم الذي لا يشبهه نعيم، وهو قرة عين المحبين، وحياة العارفين. وإنما تقر عيون الناس به على حسب قرة أعينهم بالله عز وجل، فمن قرت عينه بالله قرت به كل عين، ومن لم تقر عينه بالله تقطعت نفسه على الدنيا حسرات.

وإنما يصدق هذا من في قلبه حياة، وأما ميت القلب فيوحشك ما له ثَمّ(١٣٠) ، فاستأنس بغيبته ما أمكنك، فإنك لا يوحشك إلا حضوره عندك، فإذا ابتليت به فأعطه ظاهرك، وترحل عنه بقلبك، وفارقه بسرك، ولا تشغل به عما هو أولى بك. واعلم أن الحسرة كل الحسرة الاشتغال بمن لا يجر عليك الاشتغال به إلا فوت

ورسائل من السجن لمحمد عبدة ص (٣١) وما بعدها.
ما له ثَمّ: أي ليس له صلاح فلا تشغل نفسك به؛ لأنه ميت القلب.

نصيبك وحظك من الله عز وجل، وانقطاعك عنه، وضياع وقتك، وضعف عزيمتك، وتفرق همك.

فإذا بليت بهذا – ولا بد لك منه – فعامل الله تعالى فيه واحتسب عليه ما أمكنك، وتقرب إلى الله تعالى بمرضاته فيه، واجعل اجتماعك به متجرًا لك لا تجعله خسارة، وكن معه كرجل سائر في طريقه عرض له رجل وقفه عن سيره، فاجتهد أن تأخذه معك وتسير به فتحمله ولا يحملك، فإن أبى ولم يكن في سيره مطمع فلا تقف معه بل اركب الدرب ودعه، ولا تلتفت إليه فإنه قاطع الطريق ولو كان من كان، فانج بقلبك، وضن بيومك وليلتك، لا تغرب عليك الشمس قبل وصول المنزلة فتؤخذ أو يطلع الفجر أنى لك بلحاقهم (١٣١).

الخامسة والثلاثون أن الذكر يسير العبد وهو في فراشه وفي سوقه وفي حال صحته وسقمه، وفي حال نعيمه ولذته، وليس شيء يعم الأوقات والأحوال مثله، حتى إنه يسير العبد وهو نائم على فراشه فيسبق القائم مع الغفلة، فيصبح هذا [النائم] وقد قطع الركب وهو مستلق على فراشه، ويصبح ذلك القائم الغافل في ساقة الركب، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء.

وحكي عن رجل من العباد أنه نزل برجل ضيفًا فقام العابد ليله يصلي وذلك الرجل مستلق على فراشه، فلما أصبحا قال له العابد: سبقك الركب، أو كما قال. فقال: ليس الشأن فيمن بات مسافرًا وأصبح مع الركب، الشأن فيمن بات على فراشه وأصبح قد قطع الركب.

وهذا ونحوه له محمل صحيح ومحمل فاسد، فمن حكم على أن الراقد المضطجع على فراشه يسبق القائم القانت فهو باطل، وإنما محمله أن هذا المستلقي

---

(١٣١) في بعض النسخ الإشارة إلى أن في هذين الموضعين بياضًا بالأصل. وفي بعضها لا إشارة إلى ذلك. ولست أدري هل هذا البياض في الأصل المخطوط أم في الأصل الذي أخذوا عنه؟ مع تصريح بعضهم بأنهم لم يقفوا على أصل مخطوط للكتاب. والظاهر والله أعلم أن هذا البياض سواء كان في الأصل المخطوط أو المطبوع، إنما هو من النساخ، حيث خفي عليهم المعنى فظنوا أن هنا سقطًا في الموضوعين. وليس كذلك بحمد الله؛ فإن قوله: بلا ركب الدرب: ركب مصدر بمعنى ركوب، والدرب: الطريق. والمعنى: فلا تقف معه تاركًا قافلتك والسير في طريقك، بل دعه ولا تلتفت... أما قوله فتؤخذ أو يطلع الفجر أنى لك بلحاقهم، وليس هنا سقط أيضًا كما يتوهمه البعض. بل المعنى: إنك إن تأخرت وغربت عليك الشمس قبل أن تصل إلى المكان الذي يرتاح فيه المسافر أمنًا. فإنك إما أن تؤخذ أي من قطاع الطريق واللصوص، وإن نجوت من ذلك وطلع الفجر فكيف لك اللحاق بقافلتك وقد سبقوك؟

على فراشه علق قلبه بربه عز وجل، وألصق حبة قلبه بالعرش، وبات قلبه يطوف حول العرش مع الملائكة قد غاب عن الدنيا ومن فيها، وقد عاقه عن قيام الليل عائق من وجع أو برد يمنعه القيام، أو خوف على نفسه من رؤية عدو يطلبه أو غير ذلك من الأعذار، فهو مستلق على فراشه وفي قلبه ما الله تعالى به عليم. وآخر قائم يصلي ويتلو وفي قلبه من الرياء والعجب وطلب الجاه والمحمدة عند الناس ما الله به عليم، أو قلبه في واد وجسمه في واد. فلا ريب أن ذلك الراقد يصبح وقد سبق هذا القائم بمراحل كثيرة، فالعمل على القلوب لا على الأبدان، والمعول على الساكن لا على الأطلال، والاعتبار بالمحرك الأول، فالذكر يثير العزم الساكن، ويهيج الحب المتواري ويبعث الطلب الميت.

الذكر وحقيقة النور الإلهي

السادسة والثلاثون أن الذكر نور للذاكر في الدنيا، ونور له في قبره، ونور له في معاده يسعى بين يديه على الصراط، فما استنارت القلوب والقبور بمثل ذكر الله تعالى، قال الله تعالى: ﴿أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾ [الأنعام: ١٢٢] فالأول هو المؤمن استنار بالإيمان بالله ومحبته ومعرفته وذكره، والآخر هو الغافل عن الله تعالى المعرض عن ذكره ومحبته، والشأن كل الشأن والفلاح كل الفلاح في النور، والشقاء كل الشقاء في فواته. ولهذا كان النبي ﷺ يبالغ في سؤال ربه تبارك وتعالى حين يسأله أن يجعله في لحمه وعظامه وعصبه وشعره وبشره وسمعه وبصره ومن فوقه ومن تحته وعن يمينه وعن شماله وخلفه وأمامه، حتى يقول: «**وَاجْعَلْنِي نُورًا**» (١٣٢)، فسأل ربه تبارك وتعالى أن يجعل النور في ذراته الظاهرة والباطنة، وأن يجعله محيطًا به من جميع جهاته، وأن يجعل ذاته وجملته نورًا، فدين الله عز وجل نور، وكتابه نور، ورسوله نور، وداره التي أعدها لأوليائه نور يتلألأ، وهو تبارك وتعالى نور السماوات والأرض، ومن أسمائه النور، وأشرقت الظلمات لنور وجهه. وفي دعاء النبي ﷺ يوم الطائف: «**أَعُوذُ بِنُورِ وَجْهِكَ الَّذِي أَشْرَقَتْ لَهُ الظُّلُمَاتُ،**

---

(١٣٢) روى البخاري (٦٣١٦) ومسلم (٧٦٣ فؤاد) (١٧٥٧ قلعجي) وأصحاب السنن عن عبد الله بن عباس أن رسول الله ﷺ دعا فقال: «اللهم اجعل في قلبي نورًا وفي بصري نورًا، وفي سمعي نورًا، وعن يميني نورًا، وعن يساري نورًا، وفوقي نورًا، وتحتي نورًا، وأمامي نورًا، وخلفي نورًا، وعظم لي نورًا». وفي بعض روايات مسلم: «واجعلني نورًا».

وَصَلَحَ عَلَيه أَمْرُ الدُّنيا وَالآخِرَة أَنْ يَحِلَ عَلَيَّ غَضَبُك، أو يَنْزِلَ بِي سَخَطُكَ، لَكَ العُتْبَى حَتى تَرْضَى، وَلا حَولَ وَلا قُوةَ إِلا بِكَ»(١٣٣) .

وقال ابن مسعود رضي الله عنه: ليس عند ربكم ليل ولا نهار، نور السماوات من نور وجهه. ذكره عثمان الدارمي(١٣٤) .

وقد قال تعالى: ﴿وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا﴾[الزمر:٦٩] فإذا جاء تبارك وتعالى يوم القيامة للفصل بين عباده وأشرقت بنوره الأرض، وليس إشراقها يومئذ بشمس ولا قمر، فإن الشمس تكور والقمر يخسف ويذهب نورهما، وحجابه تبارك وتعالى النور.

قال أبو موسى: قام فينا رسول الله ﷺ بخمس كلمات فقال: «**إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لا يَنَامُ وَلا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَنَامَ يَخْفِضُ القِسْطَ وَيَرْفَعُهُ، يُرْفَعُ إِلَيهِ عَمَلُ اللَّيلِ قَبْلَ عَمَلِ النَّهَارِ وَعَمَلُ النَّهَارِ قَبْلَ عَمَلِ اللَّيلِ، حِجَابُهُ النُّورُ لَوْ كَشَفَهُ لأَحْرَقَتْ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ مَا انْتَهَى إِلَيهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ**» ثم قرأ: ﴿أَنْ بُورِكَ مَن فِي ٱلنَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا﴾(١٣٥) [النمل:٨] . فاستنارة ذلك الحجاب بنور وجهه ولولاه لأحرقت سبحات وجهه ونوره ما انتهى إليه بصره.

ولهذا لما تجلى تبارك وتعالى للجبل وكشف من الحجاب شيئًا يسيرًا ساخ الجبل في الأرض وتدكدك ولم يقم لربه تبارك وتعالى.

وهذا معنى قول ابن عباس في قوله سبحانه وتعالى: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ [الأنعام:١٠٣] قال: ذلك الله عز وجل، إذا تجلى بنوره لم يقم له شيء(١٣٦) .

وهذا من بديع فهمه رضي الله تعالى عنه ودقيق فطنته، كيف وقد دعا له رسول الله ﷺ أن يعلمه الله التأويل، فالرب تبارك وتعالى يُرَى يوم القيامة بالأبصار عيانًا، ولكن يستحيل إدراك الأبصار له، وإن رأته، فالإدراك أمر وراء الرؤية، وهذه الشمس – ولله المثل الأعلى – نراها ولا ندركها كما هي عليه ولا قريبًا من ذلك،

(١٣٣) أورده الهيثمي في مجمع الزوائد (٦/ ٣٥) وعزاه للطبراني وقال: فيه «ابن إسحاق وهو مدلس وبقية رجاله ثقات» ا هـ.

(١٣٤) أخرجه الطبراني في المعجم والسنة، وعثمان الدارمي في كتاب الرد على المريسي. ذكر ذلك المصنف في كتابه شفاء العليل ص (٤٧).

(١٣٥) صحيح: رواه مسلم (١٧٩ فؤاد) (٤٣٨ قلعجي) وابن ماجه (١٩٥، ١٩٦).

(١٣٦) أخرجه الترمذي (٣٢٩٠) وابن أبي حاتم في تفسيره (٤/ ١٣٦٣) رقم (٧٧٣٨) وفي إسناده إلى ابن عباس ضعف.

ولذلك قال ابن عباس لمن سأله وأورد عليه: سس شش فقال: ألست ترى السماء ؟ قال: بلى. قال: أفتدركها ؟ قال: لا. قال: فالله تعالى أعظم وأجل (١٣٧).

وقد ضرب سبحانه وتعالى النور في قلب عبده مثلاً لا يعقله إلا العالمون، فقال سبحانه وتعالى: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ۗ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَٰلَ لِلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [النور: ٣٥]. قال أبي بن كعب: مثل نوره في قلب المسلم (١٣٨).

وهذا هو النور الذي أودعه في قلبه من معرفته ومحبته والإيمان به وذكره، وهو نوره الذي أنزله إليهم فأحياهم به وجعلهم يمشون به بين الناس، وأصله في قلوبهم ثم تقوى مادته فتتزايد حتى يظهر على وجوههم وجوارحهم وأبدانهم، بل وثيابهم ودورهم، يبصره من هو من جنسهم، وسائر الخلق له منكر. فإذا كان يوم القيامة برز ذلك النور وصار بأيمانهم يسعى بين أيديهم في ظلمة الجسر، حتى يقطعوه، وهم فيه على حسب قوته وضعفه في قلوبهم في الدنيا، فمنهم من نوره كالشمس وآخر كالقمر وآخر كالنجوم وآخر كالسراج وآخر يعطي نورًا على إبهام قدمه يضيء مرة ويطفأ أخرى، وإذا كانت هذه حال نوره في الدنيا فأعطي على الجسر بمقدار ذلك، بل هو نفس نوره ظهر له عيانًا، ولما لم يكن للمنافق نور ثابت في الدنيا بل كان نوره ظاهرًا لا باطنًا أعطي نورًا ظاهرًا مآله إلى الظلمة والذهاب.

وضرب الله عز وجل لهذا النور ومحله وحامله ومادته مثلاً بالمشكاة وهي الكوة في الحائط فهي مثل الصدر، وفي تلك المشكاة زجاجة من أصفى الزجاج وحتى شبهت بالكوكب الدري في بياضه وصفائه وهي مثل القلب، وشبه بالزجاجة ؛ لأنها جمعت أوصافًا هي في قلب المؤمن وهي الصفاء والرقة، فيرى الحق والهدى بصفائه، وتحصل منه الرأفة والرحمة والشفقة برقته، ويجاهد أعداء الله تعالى ويغلظ عليهم ويشتد في الحق ويصلب فيه بصلابته، ولا تبطل صفة منه صفة أخرى ولا

---

(١٣٧) أخرجه ابن أبي حاتم (٤/ ١٣٦٣) رقم (٧٧٣٧) مقطوعًا من قول عكرمة وإسناده ليس بالقوي.

(١٣٨) أخرجه ابن أبي حاتم (٨/ ٢٥٩٤) رقم (١٤٥٥٥) وابن جرير (٩/ ٣٢٢) عن ابن عباس بنحوه، وهو صحيح إليه. أما المروي عن أبي فهو خلاف هذا.

تعارضها، بل تساعدها وتعاضدها، ﴿أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح: ٢٩]، وقال تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران: ١٥٩] وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾ [التوبة: ٢٩].

وفي أثر: (القُلُوبُ آنِيَةُ اللهِ تَعَالَى فِي أَرْضِهِ، فَأَحَبَّهَا إِلَيْهِ أَرَقُّهَا وَأَصْلَبُهَا وَأَصْفَاهَا) (١٣٩).

وبإزاء هذا القلب قلبان مذمومان في طرفي نقيض:

أحدهما: قلب حجري قاس لا رحمة فيه ولا إحسان ولا بر، ولا له صفاء يرى به الحق، بل هو جبار جاهل، لا علم له بالحق، ولا رحمة للخلق.

وبإزائه قلب ضعيف مائي لا قوة فيه ولا استمساك، بل يقبل كل صورة، وليس له قوة حفظ تلك الصور ولا قوة التأثير في غيره، وكل ما خالطه أثر فيه من قوي وضعيف، وطيب وخبيث.

وفي الزجاجة مصباح، وهو النور الذي في الفتيلة، وهي حاملته، ولذلك النور مادة، وهو زيت قد عصر من زيتونة في أعدل الأماكن تصيبها الشمس أول النهار وآخره، فزيتها من أصفى الزيت وأبعده من الكدر، حتى إنه ليكاد من صفائه يضيء بلا نار، فهذه مادة نور المصباح.

وكذلك مادة نور المصباح الذي في قلب المؤمن هو من شجرة الوحي التي هي أعظم الأشياء بركة وأبعدها من الانحراف، بل هي أوسط الأمور وأعدلها وأفضلها، لم تنحرف انحراف النصرانية ولا انحراف اليهودية، بل هي وسط بين الطرفين المذمومين في كل شيء، فهذه مادة مصباح الإيمان في قلب المؤمن.

ولما كان ذلك الزيت قد اشتد صفاؤه حتى كاد أن يضيء بنفسه، ثم خالط النار فاشتدت بها إضاءته وقويت مادة ضوء النار به، كان ذلك نورًا على نور. وهكذا المؤمن قلبه مضيء يكاد يعرف الحق بفطرته وعقله ولكن لا مادة له من نفسه، فجاءت مادة الوحي فباشرت قلبه وخالطت بشاشته فازداد نورًا بالوحي على نوره

---

(١٣٩) أخرجه أحمد في الزهد ص (٤٦٠) بنحوه مقطوعًا من كلام خالد بن معدان وهو صحيح إليه. وأخرجه عبد الله في زوائد الزهد ص (١٩١) وأبو نعيم في الحلية (٦/ ٩٧) مرفوعًا ولا يصح. والصحيح أنه من كلام خالد بن معدان.

الذي فطره الله تعالى عليه، فاجتمع له نور الوحي إلى نور الفطرة، نور على نور، فيكاد ينطق بالحق وإن لم يسمع فيه أثرًا، ثم يسمع الأثر مطابقًا لما شهدت به فطرته فيكون نورًا على نور، فهذا شأن المؤمن يدرك الحق بفطرته مجملاً ثم يسمع الأثر جاء به مفصلاً، فينشأ إيمانه عن شهادة الوحي والفطرة.

فليتأمل اللبيب هذه الآية العظيمة، ومطابقتها لهذه المعاني الشريفة. فذكر سبحانه وتعالى نوره في السموات والأرض، ونوره في قلوب عباده المؤمنين، النور المعقول المشهود بالبصائر والقلوب، والنور المحسوس المشهود بالأبصار الذي استنارت به أقطار العالم العلوي والسفلي، فهما نوران عظيمان أحدهما أعظم من الآخر، وكما أنه إذا فقد أحدهما من مكان أو موضع لم يعش فيه آدمي ولا غيره؛ لأن الحيوان إنما يتكون حيث النور، ومواضع الظلمة التي لا يشرق عليها نور لا يعيش فيها حيوان ولا يتكون ألبتة، فكذلك أمة فقد فيها نور الوحي والإيمان ميتة وقلب فقد منه هذا النور ميت ولا بد، لا حياة له ألبتة، كما لا حياة للحيوان في مكان لا نور فيه.

والله سبحانه وتعالى يقرن بين الحياة والنور كما في قوله عز وجل: ﴿أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾[الأنعام: ١٢٢] وكذلك قوله عز وجل: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَٰكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ﴾ [الشورى: ٥٢] . وقد قيل: إن الضمير في ﴿جَعَلْنَاهُ﴾ عائد إلى الأمر، وقيل: إلى الكتاب، وقيل: إلى الإيمان، **والصواب** : أنه عائد إلى الروح أي جعلنا ذلك الروح الذي أوحيناه إليك نورًا، فسماه روحًا لما يحصل به من الحياة، وجعله نورًا لما يحصل به من الإشراق والإضاءة، وهما متلازمان فحيث وجدت هذه الحياة بهذا الروح وجدت الإضاءة والاستنارة، وحيث وجدت الاستنارة والإضاءة وجدت الحياة، فمن لم يقبل هذا الروح فهو ميت مظلم، كما أن من فارق بدنه روح الحياة؛ فهو هالك مضمحل، فلهذا يضرب سبحانه وتعالى المثلين: المائي، والناري معًا؛ لما يحصل بالماء من الحياة، وبالنار من الإشراق والنور، كما ضرب ذلك في أول سورة البقرة في قوله تعالى: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَّا يُبْصِرُونَ﴾[البقرة: ١٧] وقال: ﴿ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ﴾ ولم يقل: بنارهم؛ لأن النار فيها الإحراق، والإشراق، فذهب

بما فيه الإضاءة، والإشراق، وأبقى عليهم ما في الأذى والإحراق.

وكذلك حال المنافقين : ذهب نور إيمانهم بالنفاق، وبقي في قلوبهم حرارة الكفر والشكوك والشبهات تغلي في قلوبهم، وقلوبهم قد صليت بحرها وأذاها وسمومها ووهجها في الدنيا فأصلاها (١٤٠) الله تعالى إياها يوم القيامة نارًا موقدة تطلع على الأفئدة. فهذا مثل من لم يصحبه نور الإيمان في الدنيا بل خرج منه وفارقه بعد أن استضاء به. وهو حال المنافق عرف ثم أنكر، وأقر ثم جحد، فهو في ظلمات أصم أبكم أعمى كما قال تعالى في حق إخوانهم من الكفار: ﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا صُمٌّ وَبُكْمٌ فِى ٱلظُّلُمَـٰتِ﴾ [الأنعام:٣٩] وقال تعالى: ﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً ۚ صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [البقرة:١٧١]. وشبه تعالى حال المنافقين في خروجهم من النور بعد أن أضاء لهم بحال مستوقد النار وذهاب نورها عنه بعد أن أضاءت ما حوله ؛ لأن المنافقين بمخالطتهم المسلمين وصلاتهم معهم وصيامهم معهم وسماعهم القرآن ومشاهدتهم أعلام الإسلام ومناره قد شاهدوا الضوء ورأوا النور عيانًا، ولهذا قال تعالى في حقهم: ﴿فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ إليه ؛ لأنهم فارقوا الإسلام بعد أن تلبسوا به واستناروا فهم لا يرجعون إليه.

وقال تعالى في حق الكفار: ﴿فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ ؛ لأنهم لم يعقلوا الإسلام ولا دخلوا فيه ولا استناروا به ولا يزالون في ظلمات الكفر، صم بكم عمي.

فسبحان من جعل كلامه لأدواء الصدور شافيًا، وإلى الإيمان وحقائقه مناديًا، وإلى الحياة الأبدية والنعيم المقيم داعيًا، وإلى طريق الرشاد هاديًا. لقد أسمع منادي الإيمان لو صادف آذانًا واعية، وشفت مواعظ القرآن لو وافقت قلوبًا خالية، ولكن عصفت على القلوب أهوية الشبهات والشهوات فأطفأت مصابيحها، وتمكنت منها أيدي الغفلة والجهالة فأغلقت أبواب رشدها وأضاعت مفاتيحها، وران عليها كسبها فلم ينفع فيها الكلام، وسكرت بشهوات الغي وشهادة الباطل فلم تصغ بعده إلى الملام، ووعظت بمواعظ أنكى فيها من الأسنة والسهام، ولكن ماتت في بحر الجهل والغفلة وأسر الهوى والشهوة، وما لجرح بميت إيلام.

والمثل الثاني المائي قوله تعالى : ﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فِيهِ ظُلُمَـٰتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ

---

(١٤٠) صَلِيَت: احترقت أو تأذت.

يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ ۚ وَٱللَّهُ مُحِيطٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ١٩]

الصيب : المطر الذي يصوب من السماء أي ينزل منها بسرعة وهو مثل القرآن الذي به حياة القلوب كالمطر الذي به حياة الأرض والنبات والحيوان، فأدرك المؤمنين ذلك منه، وعلموا ما يحصل به من الحياة التي لا خطر لها، فلم يمنعهم منها ما فيه من الرعد والبرق وهو الوعيد والتهديد والعقوبات والمثلات التي حذر الله بها من خالف أمره، وأخبر أنه منَزلها بمن كذب رسول الله ﷺ، أو ما فيه من الأوامر الشديدة كجهاد الأعداء والصبر على الأمر أو الأوامر الشاقة على النفوس التي هي بخلاف إرادتها فهي كالظلمات والرعد والبرق، ولكن من علم مواقع الغيث وما يحصل به من الحياة لم يستوحش لما معه من الظلمة والرعد والبرق، بل يستأنس لذلك ويفرح به لما يرجو من الحياة والخصب.

وأما المنافق فإنه عمي قلبه لم يجاوز بصره الظلمة ولم ير إلا برقًا يكاد يخطف البصر، ورعدًا عظيمًا وظلمة، فاستوحش من ذلك وخاف منه، فوضع أصابعه في أذنيه لئلا يسمع صوت الرعد، وهاله ذلك البرق وشدة لمعانه وعظم نوره فهو خائف أن يختطف معه بصره ؛ لأن بصره أضعف من أن يثبت معه، فهو في ظلمة يسمع أصوات الرعد القاصف، ويرى ذلك البرق الخاطف، فإن أضاء له ما بين يديه مشى في ضوئه، وإن فقد الضوء قام متحيرًا لا يدري أين يذهب، ولجهله لا يعلم أن ذلك من لوازم الصيب الذي به حياة الأرض والنبات وحياته هو في نفسه، بل لا يدرك إلا رعدًا وبرقًا وظلمة ولا شعور له بما وراء ذلك، فالوحشة لازمة له، والرعب والفزع لا يفارقه، وأما من أنس بالصيب، وعلم أنه لا بد فيه من رعد وبرق وظلمة بسبب الغيم، استأنس بذلك ولم يستوحش منه، ولم يقطعه ذلك عن أخذه بنصيبه من الصيب.

فهذا مثل مطابق للصيب الذي نزل به جبريل ﷺ من عند رب العالمين تبارك وتعالى على قلب رسول الله ﷺ ليحيي به القلوب والوجود أجمع، اقتضت حكمته أن يقارنه من الغيم والرعد والبرق ما يقارن الصيب من الماء، حكمة بالغة وأسبابًا منتظمة نظمها العزيز الحكيم. فكان حظ المنافق من ذلك الصيب سحابه ورعوده وبروقه فقط، لم يعلم ما وراءه فاستوحش بما أنس به المؤمنون، وارتاب بما اطمأن به العالمون، وشك فيما تيقنه المبصرون العارفون، فبصره في المثل الناري كبصر الخفاش نحو الظهيرة، وسمعه في المثل المائي كسمع من يموت من صوت الرعد،

وقد ذكر عن بعض الحيوانات أنها تموت من سمع الرعد(١٤١).

وإذا صادف هذه العقول والأسماع والأبصار شبهات شيطانية، وخيالات فاسدة، وظنون كاذبة، جالت فيها وصالت(١٤٢)، وقامت بها وقعدت، واتسع فيها مجالها، وكثر بها قيلها وقالها، فملأت الأسماع من هذيانها، والأرض من دواوينها، وما أكثر المستجيبين لهؤلاء والقابلين منهم، والقائمين بدعوتهم، والمحامين عن حوزتهم، والمقاتلين تحت ألويتهم والمكثرين لسوادهم. ولعموم البلية بهم، وضرر القلوب بكلامهم هتك الله أستارهم في كتابه غاية الهتك وكشف أسرارهم غاية الكشف، وبين علاماتهم وأعمالهم وأقوالهم، ولم يزل عز وجل يقول: (ومنهم.. ومنهم.. ومنهم) حتى انكشف أمرهم، وبانت حقائقهم وظهرت أسرارهم.

وقد ذكر الله سبحانه وتعالى في أول سورة البقرة أوصاف المؤمنين والكفار والمنافقين، فذكر في أوصاف المؤمنين ثلاث آيات، وفي أوصاف الكفار آيتين، وفي أوصاف هؤلاء بضع عشرة آية ؛ لعموم الابتلاء بهم وشدة المصيبة بمخالطتهم، فإنهم من الجلدة، مظهرون الموافقة والمناصرة، بخلاف الكافر الذي قد تأبد بالعداوة(١٤٣) وأظهر السريرة، ودعاك بما أظهره إلى مزايلته ومفارقته.

ونظير هذين المثلين: المثلان المذكوران في سورة الرعد في قوله تعالى: ﴿أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌۢ بِقَدَرِهَا فَٱحْتَمَلَ ٱلسَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًا﴾ **[الرعد: ١٧]** فهذا هو المثل المائي شبه الوحي الذي أنزله بحياة القلوب بالماء الذي أنزله من السماء، وشبه القلوب الحاملة له بالأودية الحاملة للسيل، فقلب كبير يسع علمًا عظيمًا كواد كبير يسع ماءً كثيرًا، وقلب صغير كواد صغير يسع علمًا قليلاً، فحملت القلوب من هذا العلم بقدرها، كما سالت الأودية بقدرها. ولما كانت الأودية ومجاري السيول فيها الغثاء ونحوه مما يمر عليه السيل فيحتمله السيل فيطفو على وجه الماء زبدًا عاليًا، يمر عليه متراكبًا، ولكن تحته الماء الفرات الذي به حياة الأرض، فيقذف الوادي ذلك الغثاء إلى جنبتيه(١٤٤) حتى لا يبقى منه شيء، ويبقى الماء الذي تحت

(١٤١) سَمْع الرعد: سماعه.

(١٤٢) أي جالت الشبهات والخيالات والظنون في العقول والأسماع والأبصار.

(١٤٣) تأبد العداوة: أي جعلها ملازمة له أبدًا، والمقصود أن عداوة الكافر مع أنها دائمة أبدًا، فإنها ظاهرة مكشوفة لا يخفيها منك بل يجاهرك بها. وهذا الإعلان والإظهار يجعلك على حذر منه، مبتعدًا عنه، ومفارقًا له، بعكس المنافق.

(١٤٤) الغثاء: الرديء، وهو ما يحمله السيل من الرغوة وأوراق الشجر الجاف وفتات الأشياء.

الغثاء يسقي الله تعالى به الأرض فيحيي به البلاد والعباد والشجر والدواب، والغثاء يذهب جفاء يجفى (١٤٥) ويطرح على شفير الوادي.

فكذلك العلم والإيمان الذي أنزله في القلوب فاحتملته فأثار منها بسبب مخالطته لها ما فيها من غثاء الشهوات وزبد الشبهات الباطلة يطفو في أعلاها، واستقر العلم والإيمان والهدى في جذر القلب (١٤٦) فلا يزال ذلك الغثاء والزبد يذهب جفاء ويزول شيئًا فشيئًا حتى يزول كله، ويبقى العلم النافع والإيمان الخالص في جذر القلب يرده الناس فيشربون ويسقون ويمرعون.

وفي الصحيح من حديث أبي موسى عن النبي ﷺ قال: «**مَثَلُ مَا بَعَثَنِيَ اللَّهُ بِهِ عَزَّ وَجَلَّ مِنَ الْهُدَى وَالْعِلْمِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَصَابَ أَرْضًا فَكَانَتْ مِنْهَا طَائِفَةٌ طَيِّبَةٌ قَبِلَتْ الْمَاءَ فَأَنْبَتَتْ الْكَلأَ وَالْعُشْبَ الْكَثِيرَ، وَكَانَ مِنْهَا طَائِفَةٌ أَجَادِبُ أَمْسَكَتْ الْمَاءَ فَسَقى النَّاسُ وَزَرَعُوا، وَأَصَابَ مِنْهَا طَائِفَةً أُخْرَى إِنَّمَا هِيَ قِيعَانٌ لا تُمْسِكُ مَاءً وَلا تُنْبِتُ كَلًا، فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ فَقُهَ فِي دِينِ اللَّهِ وَنَفَعَهُ اللَّهُ بِهِ فَعَلِمَ وَعَلَّمَ، وَمَثَلُ مَنْ لَمْ يَرْفَعْ بِذَلِكَ رَأْسًا وَلَمْ يَقْبَلْ هُدَى اللَّهِ الَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ**» (١٤٧).

فجعل النبي ﷺ الناس بالنسبة إلى الهدى والعلم ثلاث طبقات:

الطبقة الأولى: ورثة الرسل وخلفاء الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وهم الذين قاموا بالدين علمًا وعملاً ودعوة إلى الله عز وجل ورسوله ﷺ فهؤلاء أتباع الرسل - صلوات الله عليهم وسلامه - حقًا، وهم بمنزلة الطائفة الطيبة من الأرض التي زكت فقبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير، فزكت في نفسها وزكا الناس بها. وهؤلاء هم الذين جمعوا بين البصيرة في الدين والقوة على الدعوة ولذلك كانوا ورثة الأنبياء صلى الله عليهم وسلم الذين قال تعالى فيهم: ﴿وَٱذْكُرْ عِبَٰدَنَآ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ أُو۟لِى ٱلْأَيْدِى وَٱلْأَبْصَٰرِ﴾ [ص: ٤٥]، [أي] البصائر في دين الله عز وجل (١٤٨)، فبالبصائر يدرك الحق ويعرف، وبالقوى يتمكن من تبليغه وتنفيذه

(١٤٥) جُفَاءً يُجفي: أي هدرًا مجفيًا لا بقاء له.
(١٤٦) جذر القلب: أصله.
(١٤٧) صحيح: رواه البخاري (٧٩) ومسلم (٢٢٨٢ فؤاد) (٥٨٤٣ قلعجي).
(١٤٨) وقد فهم بعض من علق على هذا الموضع أن قول المصنف: «الذين قال الله فيهم»... فهم أنها بدل من قوله ورثة الأنبياء، فعاب على ابن القيم استدلاله. وإنما العيب عليه هو. وإنما الجملة بدل من قوله «الأنبياء» والتقدير: ولذلك كانوا ورثة الذين قال الله فيهم... فتنبه.

والدعوة إليه، فهذه الطبقة كان لها قوة الحفظ والفهم في الدين والبصر بالتأويل، ففجرت من النصوص أنهار العلوم واستنبطت منها كنوزها ورزقت فيها فهمًا خاصًا، كما قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب - وقد سئل: هل خصكم رسول الله ﷺ بشيء دون الناس؟ فقال: - لا والذي فلق الحبة وبرأ النسمة، إلا فهمًا يؤتيه الله عبدًا في كتابه (١٤٩).

فهذا الفهم هو بمنزلة الكلأ والعشب الكثير الذي أنبتته الأرض، وهو الذي تميزت به هذه الطبقة عن الثانية.

الطبقة الثانية: فإنها حفظت النصوص وكان همها حفظها وضبطها، فوردها الناس وتلقوها منهم، فاستنبطوا منها واستخرجوا كنوزها واتجروا فيها وبذروها في أرض قابلة للزرع والنبات ووردها كلٌ بحسبه: ﴿قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ﴾ [البقرة: ٦٠]، وهؤلاء هم الذين قال فيهم النبي ﷺ: «**نَضَّرَ اللَّهُ امْرُا سَمِعَ مَقَالَتِي فَوَعَاهَا، ثُمَ أَدَّاهَا كَمَا سَمِعَهَا، فَرُبَّ حَامِلِ غَيْرِ فَقِيهٍ، وَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ إِلَى مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ**» (١٥٠).

وهذا عبد الله بن عباس حبر الأمة وترجمان القرآن مقدار ما سمع من النبي ﷺ لم يبلغ نحو العشرين حديثًا الذي يقول فيه سمعت، ورأيت، وسمع الكثير من الصحابة وبورك في فهمه والاستنباط منه حتى ملأ الدنيا علمًا وفقهًا (١٥١).

قال أبو محمد بن حزم: وجمعت فتاويه في سبعة أسفار كبار. وهي بحسب ما بلغ جامعها، وإلا فعلم ابن عباس كالبحر، وفقهه واستنباطه وفهمه في القرآن بالموضع الذي فاق به الناس. وقد سمع كما سمعوا، وحفظ القرآن كما حفظوا ولكن أرضه كانت من أطيب الأراضي وأقبلها للزرع فبذر فيها النصوص فأنبتت من كل زوج كريم ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [الجمعة: ٤]

(١٤٩) صحيح: البخاري (١١١) من حديث أبي جحيفة عن علي رضي الله عنه.

(١٥٠) صحيح متواتر: رواه أبو داود (٣٦٦٠) والترمذي (٣٦٦٥) وابن ماجه (٢٣٠) وغيرهم، والحديث صحيح متواتر، ذكره السيوطي في قطف الأزهار المتناثرة في الأخبار المتواترة ص (٢٨) الحديث الثامن والمرتضى الزبيدي في لقط اللآلئ المتناثرة ص (١٦١) رقم (٤٨).

(١٥١) عبد الله بن عباس من المكثرين في رواية الحديث عن النبي ﷺ، وقد بلغت رواياته حديث. وما جزم به المصنف من أن مقدار ما سمعه ابن عباس من النبي لم يبلغ العشرين حديثًا... إلخ لا يوافق عليه لأمور:

أولًا: ضرورة استقراء جميع مرويات ابن عباس في كتب السنة المختلفة لمعرفة صيغ التحمل والأداء التي استخدمها في روايته عن النبي ﷺ.

وأين تقع فتاوى ابن عباس وتفسيره واستنباطه من فتاوى أبي هريرة وتفسيره ؟ وأبو هريرة أحفظ منه بل هو حافظ الأمة على الإطلاق، يؤدي الحديث كما سمعه، ويدرسه بالليل درسًا، فكانت همته مصروفة إلى الحفظ وتبليغ ما حفظه كما سمعه، وهمة ابن عباس مصروفة إلى التفقه والاستنباط، وتفجير النصوص، وشق الأنهار منها، واستخراج كنوزها.

وهكذا الناس بعده قسمان (١٥٢):

قسم حفاظ : معتنون بالضبط والحفظ والأداء كما سمعوا، ولا يستنبطون ولا يستخرجون كنوز ما حفظوه.

وقسم معتنون بالاستنباط واستخراج الأحكام من النصوص، والتفقه فيها. فالأول كأبي زرعة وأبي حاتم وابن واره. وقبلهم كبندار ومحمد ابن بشار وعمرو الناقد وعبد الرزاق، وقبلهم كمحمد بن جعفر غندر وسعيد بن أبي عروبة وغيرهم من أهل الحفظ والإتقان والضبط لما سمعوه، من غير استنباط وتصرف واستخراج الأحكام من ألفاظ النصوص.

والقسم الثاني : كمالك والشافعي والأوزاعي وإسحق والإمام أحمد ابن حنبل والبخاري وأبي داود ومحمد بن نصر المروزي - وأمثالهم ممن جمع الاستنباط والفقه إلى الرواية - فهاتان الطائفتان هما أسعد الخلق بما بعث الله تعالى به رسوله ﷺ وهم الذين قبلوه ورفعوا به رأسًا.

وأما الطائفة الثالثة - وهم أشقى الخلق الذين لم يقبلوا هدى الله ولم يرفعوا به رأسًا - فلا حفظ ولا فهم ولا رواية ولا دراية ولا رعاية.

فالطبقة الأولى : أهل رواية ودراية.

ثانيا: لو ثبت بالاستقراء التام أن ما قال فيه ابن عباس: سمعت ورأيت ونحو ذلك هو بهذا العدد الضئيل، فإنه مع ذلك لا يفيد أن هذا فقط ما سمعه من النبي ﷺ مشافهة؛ لجواز أن يحدث بالعنعنة والأنانة وغير ذلك مع سماعه الحديث بالمشافهة.

وإذا كنا لا نستطيع أن نوافق ابن القيم رحمه الله على هذا التحديد لمسموعات ابن عباس من النبي بهذا العدد (عشرين حديثًا) فلا ريب أن مرويات ابن عباس ليست كلها مما أخذه عن النبي مشافهة؛ إذ من منهج الصحابة رضوان الله عليهم أن يأخذ الواحد منهم ما لم يسمعه عن رسول الله ﷺ عن غيره من الصحابة. كما قال البراء بن عازب: «ما كل الحديث سمعناه من رسول الله ﷺ، كان يحدثنا أصحابنا عنه، كانت تشغلنا عنه رعية الإبل» رواه أحمد.

(١٥٢) وهكذا الناس: أي من أهل العلم، بعد: أي بعد ابن عباس أو بعد زمن الصحابة.

والطبقة الثانية: أهل رواية ورعاية ولهم نصيب من الدراية، بل حظهم من الرواية أوفر.

والطبقة الثالثة: الأشقياء لا رواية ولا دراية ولا رعاية ﴿إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ **[الفرقان: ٤٤]**، فهم الذين يضيقون الديار، ويغلون الأسعار، إن همّ أحدهم إلا بطنه وفرجه، فإن ترقت همته كان همه - مع ذلك - لباسه وزينته، فإن ترقت همته فوق ذلك كان همه في الرياسة والانتصار للنفس الغضبية، فإن ارتفعت همته عن نصرة النفس الكلبية فلم يعطها، إلى نصرة النفس السبعية فلم يعطها أحد من هؤلاء فإن النفوس كلبية وسبعية وملكية (١٥٣).

فالكلبية تقنع بالعظم والكسرة والجيفة والقذرة، والسبعية لا تقنع بذلك بل بقهر النفوس، تريد الاستعلاء عليها بالحق والباطل. وأما الملكية فقد ارتفعت عن ذلك وشمرت إلى الرفيق الأعلى، فهمتها العلم والإيمان، ومحبة الله تعالى، والإنابة إليه، والطمأنينة به، والسكون إليه، وإيثار محبته ومرضاته، وإنما تأخذ من الدنيا ما تأخذ؛ لتستعين به على الوصول إلى فاطرها وربها ووليها، لا لتنقطع به عنه.

ثم ضرب سبحانه وتعالى مثلاً ثانيًا وهو المثل الناري فقال: ﴿وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِى ٱلنَّارِ ٱبْتِغَآءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَٰعٍ زَبَدٌ مِّثْلُهُۥ﴾ **[الرعد: ١٧]**، وهذا كالحديد والنحاس والفضة والذهب وغيرها، فإنها تدخل الكير لتمحص وتخلص من الخبث، فيخرج خبثها فيرمى به ويطرح،. ويبقى خالصها فهو الذي ينفع الناس.

ولما ضرب الله سبحانه وتعالى هذين المثلين ذكر حكم من استجاب له ورفع بهداه رأسًا، وحكم من لم يستجب له ولم يرفع بهداه رأسًا، فقال:

﴿لِلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِرَبِّهِمُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَٱلَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَهُۥ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفْتَدَوْا۟ بِهِۦٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ سُوٓءُ ٱلْحِسَابِ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ﴾

(١٥٣) في النسخ المطبوعة: «فإن ارتفعت همته عن نصرة النفس (الغضبية كان همه في نصرة النفس) الكلبية فلم يعطها إلى نصرة النفس السبعية فلم يعطها أحدًا من هؤلاء... إلخ وأشير في الهامش إلى أن ما بين القوسين ليس في الأصول. وإنما هو زيادة اقتضاها السياق.

قلت: وحذف هذه الجملة هو الصواب فإن زيادتها أفسدت المعنى ولم تصلحه. وإنما خفي المعنى على بعض النساخ، فتتابع الناس من بعده على تقليده. ووجه الخطأ في هذه الزيادة أنه إذا ارتفعت همته عن نصرة النفس الغضبية لم يكن همه في نصرة النفس الكلبية فإن ذلك تدنى في الهمة ليس ترقيًا لها وارتفاعًا بها. ولكنه إن ترقت همته عن نصرة النفس الغضبية كانت همته في نصرة النفس الملكية؛ لأن النفس العصبية والسبعية سواء.

[الرعد: ١٨]

والمقصود: أن الله تعالى جعل الحياة حيث النور، والموت حيث الظلمة، فحياة الوجودين: الروحي والجسمي بالنور، وهو مادة الحياة كما أنه مادة الإضاءة، فلا حياة بدونه كما لا إضاءة بدونه، وكما أنه به حياة القلب فيه انفساحه وانشراحه وسعته، كما في الترمذي عن النبي ﷺ «**إِذَا دَخَلَ النُّورُ القَلْبَ انْفَسَحَ وَانْشَرَحَ**». قالوا: وما علامة ذلك ؟ قال: «**الإِنَابَة إلى دَارِ الخُلُودِ، والتَجَافِي عَنْ دَارِ الغُرُورِ، والاستعدَاد للمَوتِ قَبْلَ نزُولِه**» (١٥٤).

ونور العبد هو الذي يصعد عمله وكلمه إلى الله تعالى، فإن الله تعالى لا يصعد إليه من الكلم إلا الطيب، وهو نور ومصدر عن النور. ولا من العمل إلا الصالح، ولا من الأرواح إلا الطيبة وهي أرواح المؤمنين التي استنارت بالنور الذي أنزله على رسوله ﷺ والملائكة الذين خلقوا من نور، كما في صحيح مسلم عن عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ قال: «**خُلِقَتْ الْمَلائِكَةُ مِنْ نُورٍ، وَخُلِقَتْ الشَّيَاطِينُ مِنْ نَارٍ، وَخُلِقَ آدَمُ مِمَّا وُصِفَ لَكُمْ**» (١٥٥).

فلما كانت مادة الملائكة من نور كانوا هم الذين يعرجون إلى ربهم تبارك وتعالى وكذلك أرواح المؤمنين هي التي تعرج إلى ربها وقت قبض الملائكة لها، فيفتح لها باب السماء الدنيا ثم الثانية ثم الثالثة ثم الرابعة إلى أن تنتهي بها إلى السماء السابعة، فتوقف بين يدي الله عز وجل، ثم يأمر أن يكتب كتابه في أهل عليين، فلما كانت هذه الروح روحًا زاكية طيبة نيرة مشرقة صعدت إلى الله عز وجل مع الملائكة. وأما الروح المظلمة الخبيثة الكدرة فإنها لا تفتح لها أبواب السماء ولا تصعد إلى الله تعالى، بل ترد من السماء الدنيا إلى عالمها وعنصرها ؛ لأنها أرضية

وإنما معنى عبارة المصنف: أنه إن ارتفعت همته عن نصرة النفس الكلبية كان همها في نصرة النفس السبعية، فإن ارتفعت عن ذلك كان همها في نصرة النفس الملكية.

أما قوله: فلم يعطها... «فلم يعطها أحدًا من هؤلاء» فإن لم تكن هذه العبارة مصحفة أو محرفة فيكون المعنى والله أعلم: إن ارتفعت همته عن نصرة النفس الكلبية فلم يعطها شيئًا من شهواتها الكلبية، ارتفعت همته إلى نصرة النفس السبعية، فإن لم يعطها شيئًا من شهواتها السبعية، أخذ من هؤلاء الأشقياء فارتفع عنهم، فإن النفوس كلبية وسبعية وملكية. والله أعلم بالصواب. ويدل على ما فهمناه ما يأتي من كلام المصنف وما ذكره في روضة المحبين ص ٢٤٥ في أقسام النفوس.

(١٥٤) ضعيف: لم يخرجه الترمذي وإنما أخرجه الحاكم (٤/ ٣١١) من حديث ابن مسعود وسكت عليه. وتعقبه الذهبي بقوله: عدي ساقط. اهـ. قلت: عدي هو ابن الفضل متروك.

(١٥٥) صحيح: رواه مسلم (٢٩٩٦ فؤاد) (٧٣٥١ قلعجي) من حديث عائشة رضي الله عنها.

سفلية، والأولى علوية سمائية [١٥٦]، فرجعت كل روح إلى عنصرها وما هي منه، وهذا مبين في حديث البراء ابن عازب الطويل الذي رواه الإمام أحمد وأبو عوانة الإسفراييني في صحيحه والحاكم وغيرهم، وهو حديث صحيح [١٥٧].

والمقصود أن الله عز وجل لا يصعد إليه من الأعمال والأقوال والأرواح إلا ما كان منها نورًا، وأعظم الخلق نورًا أقربهم إليه وأكرمهم عليه. وفي المسند من حديث عبد الله بن عمرو عن النبي ﷺ: **«إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ خَلَقَ خَلْقَهُ فِي ظُلْمَةٍ، وَأَلْقَى عَلَيْهِمْ مِنْ نُورِهِ، فَمَنْ أَصَابَهُ مِنْ ذَلِكَ النُّورِ اهْتَدَى، وَمَنْ أَخْطَأَهُ ضَلَّ، فَلِذَلِكَ أَقُولُ جَفَّ الْقَلَمُ عَلَى عِلْمِ اللَّهِ»** [١٥٨].

وهذا الحديث العظيم أصل من أصول الإيمان، وينفتح به باب عظيم من أبواب سر القدر وحكمته، والله تعالى الموفق.

وهذا النور الذي ألقاه عليهم سبحانه وتعالى هو الذي أحياهم وهداهم، فأصابت الفطرة منه حظها. ولكن لما لم يستقل بتمامه وكماله أكمله لهم وأتمه بالروح الذي ألقاه على رسله عليهم الصلاة والسلام والنور الذي أوحاه إليهم، فأدركته الفطرة بذلك النور السابق الذي حصل لها يوم إلقاء النور، فانضاف نور الوحي والنبوة إلى نور الفطرة، نور على نور، فأشرقت منه القلوب، واستنارت به الوجوه، وحييت به الأرواح إلى حياتها، ثم دلها ذلك النور على نور أعظم منه وأجل؛ وهو نور الصفات العليا الذي يضمحل فيه كل نور سواه، فشاهدته ببصائر الإيمان مشاهدة نسبتها إلى القلب نسبة المرئيات إلى العين، ذلك الاستيلاء اليقين عليها وانكشاف حقائق الإيمان لها، حتى كأنها تنظر إلى عرش الرحمن تبارك وتعالى بارزًا وإلى استوائه عليه كما أخبر به سبحانه وتعالى في كتابه وكما أخبر به عنه رسوله ﷺ يدبر أمر الممالك ويأمر وينهى، ويخلق ويرزق، ويميت ويحيي، ويقضي وينفذ ويعز ويذل ويقلب الليل والنهار، ويداول الأيام بين الناس، ويقلب الدول فيذهب بدولة ويأتي بأخرى، والرسل من الملائكة عليهم الصلاة والسلام بين صاعد إليه بالأمر

---

(١٥٦) بالأصل: سمائية بالهمز، والقياس: سماوية بالواو.

(١٥٧) صحيح: أخرجه أبو داود (٤٧٥٣) وأحمد (٤/ ٢٨٧، ٢٩٥) والحاكم (١/ ٣٧) والحديث صحيح.

(١٥٨) حسن: أخرجه الترمذي (٢٦٥١) وقال: حديث حسن، وأحمد (٢/ ١٧٦، ١٩٧) من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص والحديث حسن.

ونازل من عنده به، وأوامره ومراسيمه متعاقبة على تعاقب الآيات، نافذة بحسب إرادته، فما شاء كان كما شاء في الوقت الذي يشاء على الوجه الذي يشاء، من غير زيادة ولا نقصان ولا تقدم ولا تأخر، وأمره وسلطانه نافذ في السماوات وأقطارها، وفي الأرض وما عليها وما تحتها، وفي البحار والجو، وفي سائر أجزاء العالم وذراته، يقلبها ويصرفها ويحدث فيها ما يشاء، وقد أحاط بكل شيء علمًا، وأحصى كل شيء عددًا، ووسع كل شيء رحمة وحكمة، ووسع سمعه الأصوات فلا تختلف عليه ولا تشتبه عليه. بل يسمع ضجيجها باختلاف لغاتها على كثرة حاجاتها، لا يشغله سمع عن سمع ولا تغلطه كثرة المسائل ولا يتبرم بإلحاح ذوي الحاجات، وأحاط بصره بجميع المرئيات فيرى دبيب النملة السوداء على الصخرة الصماء في الليلة الظلماء، فالغيب عنده شهادة والسر عنده علانية، يعلم السر وأخفى من السر، فالسر ما انطوى عليه ضمير العبد وخطر بقلبه ولم تتحرك به شفتاه، وأخفى منه ما لم يخطر بعد، فيعلم أنه سيخطر بقلبه كذا وكذا في وقت كذا وكذا، له الخلق والأمر، وله الملك والحمد، وله الدنيا والآخرة، وله النعمة وله الفضل وله الثناء الحسن، له الملك كله وله الحمد كله وبيده الخير كله وإليه يرجع الأمر كله، شملت قدرته كل شيء، ووسعت رحمته كل شيء، ووسعت نعمته إلى كل حي ﴿يَسْأَلُهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾[الرحمن: ٢٩] . يغفر ذنبًا، ويفرج همًا، ويكشف كربًا، ويجبر كسيرًا، ويغني فقيرًا، ويعلم جاهلاً، ويهدي ضالاً، ويرشد حيران، ويغيث لهفانًا، ويفك عانيًا، ويشبع جائعًا، ويكسو عاريًا، ويشفي مريضًا، ويعافي مبتلًى، ويقبل تائبًا، ويجزي محسنًا، وينصر مظلومًا ويقصم جبارًا، ويقيل عثرة، ويستر عورة، ويؤمن روعة، ويرفع أقوامًا ويضع آخرين، لا ينام ولا ينبغي له أن ينام، يخفض القسط ويرفعه، يرفع إليه عمل الليل قبل النهار وعمل النهار قبل الليل، حجابه النور: لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلفه، يمينه ملأى لا تغيضها نفقة، سحاء الليل والنهار. أرأيتم ما أنفق منذ خلق الخلق فإنه لم يغض ما في يمينه.

قلوب العباد ونواصيهم بيده، وأزمة الأمور معقودة بقضائه وقدره، الأرض جميعًا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه، يقبض سماواته كلها بيده الكريمة، والأرض باليد الأخرى، ثم يهزهن، ثم يقول: أنا الملك أنا الملك، أنا الذي بدأت الدنيا ولم تكن شيئًا، وأنا الذي أعيدها كما بدأتها، لا يتعاظمه ذنب أن يغفره، ولا

حاجة يسألها أن يعطيها. لو أن أهل سماواته وأهل أرضه وأول خلقه وآخرهم وإنسهم وجنهم كانوا على أتقى قلب رجل منهم ما زاد ذلك في ملكه شيئًا، ولو أن أول خلقه وآخرهم وإنسهم وجنهم كانوا على أفجر قلب رجل منهم ما نقص ذلك من ملكه شيئًا، ولو أن أهل سمواته وأهل أرضه وإنسهم وجنهم وحيهم وميتهم ورطبهم ويابسهم قاموا في صعيد واحد فسألوه فأعطى كلاً منهم ما سأله ما نقص ذلك مما عنده مثقال ذرة، ولو أن أشجار الأرض كلها - من حين وجدت إلى أن تنقضي الدنيا - أقلام، والبحر - وراءه سبعة أبحر تمده من بعده - مداد، فكتب بتلك الأقلام وذلك المداد لفنيت الأقلام ونفد المداد ولم تنفد كلمات الخالق تبارك وتعالى، وكيف تفنى كلماته جل جلاله وهي لا بداية لها ولا نهاية، والمخلوق له بداية ونهاية فهو أحق بالفناء والنفاد ؟ وكيف يفنى المخلوق غير المخلوق ؟.

هو الأول الذي ليس قبله شيء، والآخر الذي ليس بعده شيء، والظاهر الذي ليس فوقه شيء، والباطن الذي ليس دونه شيء، تبارك وتعالى أحق من ذكر، وأحق من عبد، وأحق من حمد، وأولى من شكر، وأنصر من ابتغي، وأرأف من ملك، وأجود من سئل، وأعفى من قدر، وأكرم من قصد، وأعدل من انتقم. حلمه بعد علمه، وعفوه بعد قدرته، ومغفرته عن عزته، ومنعه عن حكمته، وموالاته عن إحسانه ورحمته.

مَا لِلعِبَادِ عَلَيْه حَقٌ وَاجِب ... كَلا وَلا سَعْيٌ لَدَيْهِ ضَائِع •
إنْ عُذبُوا فَبِعَدْلِهِ، أوْ نُعمُوا ... فَبِفَضْلِه، وَهو الكَرِيمُ الوَاسِع

هو الملك لا شريك له، والفرد فلا ند له، والغني فلا ظهير له، والصمد فلا ولد له، ولا صاحبة له، والعلي فلا شبيه له ولا سمي له، كل شيء هالك إلا وجهه، وكل ملك زائل إلا ملكه، وكل ظل قالص إلا ظله، وكل فضل منقطع إلا فضله. لن يطاع إلا بإذنه ورحمته، ولن يعصى إلا بعلمه وحكمته. يطاع فيشكر، ويعصى فيتجاوز ويغفر، كل نقمة منه عدل، وكل نعمة منه فضل. أقرب شهيد، وأدنى حفيظ، حال دون النفوس، وأخذ بالنواصي، وسجل الآثار، وكتب الآجال، فالقلوب له مفضية، والسر عنده علانية، والغيب عنده شهادة. عطاؤه كلام، وعذابه كلام ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢] (١٥٩).

(١٥٩) وكل ما سبق في وصف الله تعالى وعظمة قدرته عليه أدلة متعاضدة من الكتاب والسنة، بل أكثره مقتبس بحروفه من الأحاديث النبوية.

فإذا أشرقت على القلب أنوار هذه الصفات اضمحل عندها كل نور، ووراء هذا ما لا يخطر بالبال ولا تناله عبارة.

والمقصود: **أن الذكر ينور القلب والوجه والأعضاء، وهو نور العبد في دنياه وفي البرزخ وفي القيامة، وعلى حسب نور الإيمان في قلب العبد تخرج أعماله وأقواله ولها نور وبرهان، حتى إن من المؤمنين من يكون نور أعماله إذا صعدت إلى الله تبارك وتعالى كنور الشمس، وهكذا نور روحه إذا قدم بها على الله عز وجل، وهكذا يكون نوره الساعي بين يديه على الصراط، وهكذا يكون نور وجهه في القيامة، والله تعالى المستعان وعليه الاتكال.**

السابعة والثلاثون أن الذكر رأس الأصول، وطريق عامة الطائفة، ومنشور الولاية، فمن فتح له فيه فقد فتح له باب الدخول على الله عز وجل، فليتطهر وليدخل على ربه عز وجل يجد عنده كل ما يريد، فإن وجد ربه عز وجل وجد كل شيء، وإن فاته ربه عز وجل فاته كل شيء.

الثامنة والثلاثون أن في القلب خلة وفاقه لا يسدها شيء ألبتة إلا ذكر الله عز وجل فإذا صار الذكر شعار القلب بحيث يكون هو الذاكر بطريق الأصالة، واللسان تبع له فهذا هو الذكر الذي يسد الخلة ويغني الفاقه، فيكون صاحبه غنيًا بلا مال، عزيزًا بلا عشيرة، مهيبًا بلا سلطان. فإذا كان غافلاً عن ذكر الله عز وجل فهو بضد ذلك فقير مع كثرة جدته[١٦٠]، ذليل مع سلطانه، حقير مع كثرة عشيرته.

التاسعة والثلاثون أن الذكر يجمع المتفرق ويفرق المجتمع، ويقرب البعيد ويبعد القريب، فيجمع ما تفرق على العبد من قلبه وإرادته وهمومه وعزومه، والعذاب كل العذاب في تفرقها وتشتتها عليه وانفراطها له، والحياة والنعيم في اجتماع قلبه وهمه وعزمه وإرادته. ويفرق ما اجتمع عليه من الهموم والغموم والأحزان والحسرات على فوت حظوظه ومطالبه. ويفرق أيضًا ما اجتمع عليه من ذنوبه وخطاياه وأوزاره حتى تتساقط عنه وتتلاشى وتضمحل. ويفرق أيضًا ما اجتمع على حربه من جند الشيطان، فإن إبليس لا يزال يبعث له سرية بعد سرية، وكلما كان أقوى طلبًا لله سبحانه وتعالى وأمثل تعلقًا به وإرادة له كانت السرية أكثف وأكثر وأعظم شوكة، بحسب ما عند العبد من مواد الخير والإرادة، ولا سبيل إلى تفريق هذا الجمع إلا

(١٦٠) جدته: بالكسر أي اجتهاده، وبالفتح أي غناه وماله.

بدوام الذكر.

وأما تقريبه البعيد فإنه يقرب إليه الآخرة التي يبعدها منه الشيطان والأمل، فلا يزال يلهج بالذكر حتى كأنه قد دخلها وحضرها، فحينئذ تصغر في عينه الدنيا وتعظم في قلبه الآخرة، ويبعد القريب إليه وهي الدنيا التي هي أدنى إليه من الآخرة، فإن الآخرة متى قربت من قلبه بعدت منه الدنيا، كلما قربت منه هذه مرحلة بعدت منه هذه مرحلة (١٦١)، ولا سبيل إلى هذا إلا بدوام الذكر.

الأربعون أن الذكر ينبه القلب من نومه، ويوقظه من سنته. والقلب إذا كان نائمًا فاتته الأرباح والمتاجر وكان الغالب عليه الخسران، فإذا استيقظ وعلم ما فاته في نومته شد المئزر وأحيا بقية عمره واستدرك ما فاته، ولا تحصل يقظته إلا بالذكر، فإن الغفلة نوم ثقيل.

الحادية والأربعون أن الذكر شجرة تثمر المعارف والأحوال التي شمر إليها السالكون، فلا سبيل إلى نيل ثمارها إلا من شجرة الذكر، وكلما عظمت تلك الشجرة ورسخ أصلها كان أعظم لثمرتها، فالذكر يثمر المقامات كلها من اليقظة إلى التوحيد، وهو أصل كل مقام وقاعدته التي ينبني ذلك المقام عليها، كما يبنى الحائط على أُسِّهِ (١٦٢) وكما يقوم السقف على حائطه. وذلك أن العبد إن لم يستيقظ لم يمكنه قطع منازل السير، ولا يستيقظ إلا بالذكر كما تقدم، فالغفلة نوم القلب أو موته.

الثانية والأربعون أن الذاكر قريب من مذكوره، ومذكوره معه. وهذه المعية معية خاصة غير معية العلم والإحاطة العامة، فهي معية بالقرب والولاية والمحبة والنصرة والتوفيق، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟﴾ [النحل:١٢٨]. ﴿وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [البقرة:٢٤٩]. ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت:٦٩]. ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة:٤٠]. وللذاكرين من هذه المعية نصيب وافر كما في الحديث الإلهي: **«أَنَا مَعَ عَبْدِي مَا ذَكَرَنِي وَتَحَرَّكَتْ بِي شَفَتَاهُ»** (١٦٣)، وفي أثر آخر: **«أَهْلُ ذِكْرِي أَهْلُ مُجَالَسَتِي، وَأَهْلُ شُكْرِي أَهْلُ زِيَادَتِي، وَأَهْلُ طَاعَتِي أَهْلُ**

---

(١٦١) المرحلة: هي ما يقطعه المسافر من مسافة بين المنزلتين.

(١٦٢) أُسُّ البناء: أساسه.

(١٦٣) صحيح: أخرجه البخاري تعليقًا (٥٠٨/١٣) كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿لا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ﴾ ووصله ابن ماجه (٣٧٩٢) وأحمد (٥٤٠/٢) وهو صحيح.

كَرَامَتِي، وَأَهلُ مَعْصِيَتِي لا أُقَنِطُهُمْ مِنْ رَحْمَتِي: إنْ تَابُوا فَأَنَا حَبِيبُهم، فَإنِي أُحِبُ التوَابِينَ وَأُحِبُ المُتَطَهرِينَ، وَإِنْ لَمْ يَتُوبُوا فَأَنَا طَبِيبُهم أَبْتَلِيهِم بِالمَصَائِبِ، لأُطَهرهم مِنَ المَعَايِبِ»(١٦٤).

والمعية الحاصلة للذاكر معية لا يشبهها شيء، وهي أخص من المعية الحاصلة للمحسن والمتقي، وهي معية لا تدركها العبارة ولا تنالها الصفة وإنما تعلم بالذوق، وهي مزلة أقدام إن لم يصحب العبد فيها تمييز بين القديم والمحدث، بين الرب والعبد، بين الخالق والمخلوق، بين العابد والمعبود، وإلا وقع في حلول يضاهي به النصارى (١٦٥)، أو اتحاد يضاهي به القائلين بوحدة الوجود وأن وجود الرب عين وجود هذه الوجودات (١٦٦)، بل ليس عندهم رب وعبد، ولا خلق وحق، بل الرب هو العبد والعبد هو الرب والخلق المشبه هو الحق المنَزه، تعالى الله عما يقول الظالمون والجاحدون علوًا كبيرًا.

والمقصود: أنه إن لم يكن مع العبد عقيدة صحيحة وإلا فإذا استولى عليه سلطان الذكر وغاب بمذكوره عن ذكره وعن نفسه ؛ ولج في باب الحلول والاتحاد ولا بد.

الثالثة والأربعون أن الذكر يعدل عتق الرقاب ونفقة الأموال والحمل على الخيل في سبيل الله عز وجل، ويعدل الضرب بالسيف في سبيل الله عز وجل، وقد تقدم أن من قال في يوم مائة مرة لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، كانت له عدل عشر رقاب وكتبت له مائة حسنة ومحيت عنه مائة سيئة وكانت له حرزًا من الشيطان يومه حتى يمسي، الحديث (١٦٧).

وذكر ابن أبي الدنيا عن الأعمش عن سالم بن أبي الجعد قال: قيل لأبي الدرداء: إن رجلاً أعتق مائة نسمة. قال: إن مائة نسمة من مال رجل كثير، وأفضل

---

(١٦٤) **موضوع**: انظر ضعيف الجامع (٤٠٥١).

(١٦٥) عقيدة الحلول عقيدة وثنية، استقاها عباد الصليب من وثنيي اليونان وفلاسفة الهند، فادعوا أن الله حل في مريم... ثم ادعوا أن الله يحل في الكهنة فليس الكهنة هم من يتكلمون، بل الله يتكلم بألسنتهم، تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا.

(١٦٦) عقيدة الاتحاد هي عقيدة التصوف الفلسفي وأساسه، فالرب هو عين المادة. والمادة أصل الكون، فالعابد معبود، والخالق مخلوق، فلا ثم رب ولا عبد، ومن هذه العقيدة خرجت بدعة رفع التكاليف وشيخ هذه الطريقة وإمامها الأكبر: ابن عربي الطائي، وابن الفارض، وابن سبعين.

(١٦٧) **صحيح**: أخرجه البخاري (٦٤٠٣) ومسلم (٢٦٩١ فؤاد) (٦٧١٦ قلعجي).

من ذلك وأفضل إيمان ملزوم بالليل والنهار، أن لا يزال لسان أحدكم رطبًا من ذكر الله عز وجل (١٦٨). وقال ابن مسعود: لأن أسبح الله تعالى تسبيحات أحب إلي من أن أنفق عددهن دنانير في سبيل الله عز وجل (١٦٩). وجلس عبد الله بن عمرو وعبد الله بن مسعود، فقال عبد الله: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله، والله أكبر أحب إلي من أن أنفق عددهن دنانير في سبيل الله عز وجل. فقال عبد الله بن عمرو: لأن أجد في طريق فأقولهن، أحب إلي من أحمل عددهن على الخيل في سبيل الله عز وجل (١٧٠). وقد تقدم حديث أبي الدرداء قال: قال رسول الله ﷺ: **«ألا أُنَبِئكُم بِخَيْرِ أَعْمَالِكُمْ وَأَزْكَاهَا عِنْدَ مَلِيكِكُمْ وَأَرْفَعِهَا فِي دَرَجَاتِكُمْ وَخَيْرٍ لَكُمْ مِنْ إِنْفَاقِ الوَرِقِ وَالذَّهَبِ وَخيرٍ لَكُمْ مِنْ أَنْ تَلْقَوْا عَدُوَّكُمْ فَتَضْرِبُوا أَعْنَاقَهُمْ وَيَضْرِبُوا أَعْنَاقَكُمْ»** ؟ قالوا: بلى يا رسول الله. قال: **«ذِكْرُ اللَّهِ»**. رواه ابن ماجه والترمذي، وقال الحاكم: صحيح الإسناد (١٧١).

الرابعة والأربعون أن الذكر رأس الشكر، فما شكر الله تعالى من لم يذكره. وذكر البيهقي عن زيد بن أسلم أن موسى عليه السلام قال: رب قد أنعمت علي كثيرًا، فدلني على أن أشكرك كثيرًا. قال: اذكرني كثيرًا، فإذا ذكرتني كثيرًا فقد شكرتني كثيرًا، وإذا نسيتني فقد كفرتني (١٧٢).

وقد ذكر البيهقي أيضًا في شعب الإيمان عن عبد الله بن سلام قال: قال موسى عليه السلام: يا رب، ما الشكر الذي ينبغي لك ؟ فأوحى الله تعالى إليه أن لا يزال لسانك رطبًا من ذكري. قال: يا رب إني أكون على حال أجلك أن أذكرك فيها.

---

(١٦٨) أخرجه ابن أبي شيبة (١٣/ ٤٥٨) رقم (١٦٩٠٧) والبيهقي في الشعب (١/ ٤٣٥) رقم (٦٢٧) وفي إسناده انقطاع وهو عند أحمد في الزهد ص (١٧٠) وأخرجه ابن المبارك في الزهد ص (٢٢٣) رقم (٩٥٩) من حديث ابن مسعود موقوفًا وفي إسناده موسى بن عبيدة وهو ضعيف.

(١٦٩) أخرجه ابن أبي شيبة (١٠/ ٤٩١) برقم (٩٤٧٠، ٩٤٧١)، (١٣/ ٤٥٠) رقم (١٦٨٧٨). والبيهقي في الشعب (١/ ٤٤٧) رقم (٦٦٨) ورجاله ثقات إلا أنه منقطع.

(١٧٠) أخرجه البيهقي في الشعب (١/ ٤٤٧) رقم (٦٦٩) وأخرجه ابن أبي شيبة. مقتصرًا على عبد الله بن عمرو. في مصنفه (١٠/ ٢٩٢) رقم (٩٤٧٢)، (١٣/ ٤٥٠) رقم (١٦٨٨٠) وهو صحيح إلى عبد الله بن عمرو.

(١٧١) **حسن الإسناد**: رواه الترمذي (٣٣٨٨) وابن ماجه (٣٧٩٠) من حديث أبي الدرداء مرفوعًا وهو حديث حسن.

(١٧٢) أخرجه البيهقي في الشعب (١/ ٤٥٨) رقم (٧١١) من طريق ابن أبي الدنيا وهو صحيح إلى زيد بن أسلم.

قال: وما هي ؟ قال: أكون جنبًا أو على الغائط أو إذا بلت. فقال: وإن كان. قال: يا رب، فما أقول ؟ قال: تقول: سبحانك وبحمدك وجنبني الأذى، وسبحانك وبحمدك فقني الأذى (١٧٣).

قلت: قالت عائشة: كان رسول الله ﷺ يذكر الله تعالى على كل أحيانه(١٧٤)، ولم تستثن حالة من حاله. وهذا يدل على أنه كان يذكر ربه تعالى في حال طهارته وجنابته، وأما في حال التخلي فلم يكن يشاهده أحد يحكي عنه، ولكن شرع لأمته من الأذكار قبل التخلي وبعده ما يدل على مزيد الاعتناء بالذكر، وأنه لا يخل به عند قضاء الحاجة وبعدها.

وكذلك شرع للأمة من الذكر عند الجماع أن يقول أحدهم: «**بِاسْمِ اللَّهِ، اللَّهُمَّ جَنِّبْنَا الشَّيْطَانَ، وَجَنِّبْ الشَّيْطَانَ مَا رَزَقْتَنَا**» (١٧٥). وأما عند نفس قَضاء الحاجة وجماع الأهل فلا ريب أنه يذكره بالقلب ؛ لأنه لا بد لقلبه من ذكر، ولا يمكنه صرف قلبه عن ذكر من هو أحب شيء إليه، فلو كلف القلب نسيانه لكان تكليفه بالمحال كما قال القائل:

يُرَادُ مِنَ القَلْبِ نِسْيَانَكُم ... وتَأْبَى الطِّبَاعُ عَلى النَّاقِلِ

فأما الذكر باللسان على هذه الحالة، فليس مما شرع لنا، ولا ندبنا إليه رسول الله ﷺ، ولا نُقِلَ عن أحد من الصحابة رضي الله عنهم.

وقال عبد الله بن أبي الهذيل: إن الله تعالى ليحب أن يذكر في السوق، ويحب أن يذكر على كل حال، إلا على الخلاء (١٧٦).

ويكفي في هذه الحال استشعار الحياء والمراقبة والنعمة عليه في هذه الحالة وهي

---

(١٧٣) أخرجه البيهقي في الشعب (١/ ٤٥٠) رقم (٦٧٩) وإسناده حسن إلى عبد الله بن سلام، وهو عند ابن المبارك في الزهد ص (٢١٦) رقم (٩٤٢) مقتصرًا على أوله دون ذكر الجنابة والغائط. وأخرجه أحمد في الزهد ص (٥٦) بنحوه عن كعب.

(١٧٤) صحيح: أخرجه البخاري تعليقًا (١/ ٤٨٥) كتاب الحيض، باب كيف تقضي الحائض المناسك إلا الطواف، (٢/ ١١٤) كتاب الأذان، باب كيف يتتبع المؤذن فاه هاهنا وههنا، ووصله مسلم (٣٧٣ فؤاد) (٨٠٤ قلعجي) وأبو داود (١٨) والترمذي (٣٣٩٤) وابن ماجه (٣٠٢).

(١٧٥) صحيح: رواه البخاري (٥١٦٥) ومسلم (١٤٣٤ فؤاد) (٣٤٧٠ قلعجي).

(١٧٦) عبد الله بن أبي الهذيل أبو المغيرة الكوفي من ثقات التابعين وأكابرهم، أدرك أبا بكر الصديق رضي الله عنه، وفي سماعه منه نظر، وتوفى في ولاية خالد القسري على العراق. والأثر أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء (٤/ ٣٥٩) وهو صحيح إلى عبد الله بن أبي الهذيل.

من أجلِّ الذكر، فذكر كل حال بحسب ما يليق بها، واللائق بهذه الحال التقنع بثوب الحياء من الله تعالى وإجلاله وذكر نعمته عليه وإحسانه إليه في إخراج هذا العدو المؤذي له الذي لو بقي فيه لقتله. فالنعمة في تيسير خروجه كالنعمة في التغذي به.

وكان علي بن أبي طالب إذا خرج من الخلاء مسح بطنه وقال: يا لها نعمة، لو يعلم الناس قدرها (١٧٧).

وكان بعض السلف يقول: الحمد لله الذي أذاقني لذته، وأبقى في منفعته وأذهب عني مضرته (١٧٨).

وكذلك ذكره حال الجماع ذكر هذه النعمة التي مَنَّ بها عليه، وهي أجل نعم الدنيا. فإذا ذكر نعمة الله تعالى عليه بها هاج من قلبه هائج الشكر، فالذكر رأس الشكر. وقال النبي ﷺ لمعاذ: **«وَاللَّهِ يَا مُعَاذُ إِنِّي لأُحِبُّكَ فلا تَنسَ أَنْ تَقُولَ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلاةٍ: اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَى ذِكْرِكَ وَشُكْرِكَ وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ»** (١٧٩) فجمع بين الذكر والشكر كما جمع سبحانه وتعالى بينهما في قوله تعالى: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ [البقرة: ١٥٢]، فالذكر والشكر جماع السعادة والفلاح.

الخامسة والأربعون أن أكرم الخلق على الله تعالى من المتقين من لا يزال لسانه رطبًا بذكره، فإنه اتقاه في أمره ونهيه وجعل ذكره شعاره. فالتقوى أوجبت له دخول الجنة والنجاة من النار، وهذا هو الثواب والأجر. والذكر يوجب له القرب من الله عز وجل والزلفى لديه، وهذه هي المنزلة.

وعمال الآخرة على قسمين: منهم من يعمل على الأجر والثواب، ومنهم من يعمل على المنزلة والدرجة، فهو ينافس غيره في الوسيلة والمنزلة عند الله تعالى، ويسابق إلى القرب منه. وقد ذكر الله تعالى النوعين في سورة الحديد في قول الله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُصَّدِّقِينَ وَالْمُصَّدِّقَاتِ وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾ [الحديد: ١٨] فهؤلاء أصحاب الأجور والثواب، ثم قال: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ﴾ [الحديد: ١٩]، فهؤلاء أصحاب المنزلة والقرب ثم

---

(١٧٧) أخرجه البيهقي في الشعب (٤/ ١١٣) رقم (٤٤٦٨) وفي إسناده أصبغ بن نُباته، متروك.

(١٧٨) أخرجه البيهقي في الشعب (٤/ ١١٣) رقم (٤٤٦٩) عن عائشة مرفوعًا أن نوحًا. وإسناده ضعيف.

(١٧٩) صحيح: أخرجه أبو داود (١٥٢٢) والنسائي (٣/ ٥٣) وهو حديث صحيح.

قال: ﴿وَٱلشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ﴾ [الحديد: ١٩]، فقيل: هذا عطف على الخبر من: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ﴾ أخبر عنهم بأنهم هم الصديقون وأنهم الشهداء الذين يشهدون على الأمم، ثم أخبر عنهم أن لهم أجرًا وهو قوله تعالى: ﴿لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ﴾ فيكون قد أخبر عنهم بأربعة أمور: أنهم صديقون، وشهداء. فهذه هي المرتبة والمنزلة.

قيل: تم الكلام عند قوله تعالى: ﴿ٱلصِّدِّيقُونَ﴾ ثم ذكر بعد ذلك حال الشهداء فقال: ﴿وَٱلشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ﴾ فيكون قد ذكر المتصدقين أهل البر والإحسان ثم المؤمنين الذين قد رسخ الإيمان في قلوبهم وامتلئوا منه، فهم الصديقون وهم أهل العلمْ والعمل، والأولون أهل البر والإحسان، ولكن هؤلاء أكمل صديقية منهم، ثم ذكر الشهداء وأنه تعالى يجري عليهم رزقهم ونورهم؛ لأنهم لما بذلوا أنفسهم لله تعالى أثابهم الله تعالى عليها أن جعلهم أحياء عنده يرزقون فيجري عليهم رزقهم ونورهم فهؤلاء السعداء.

ثم ذكر الأشقياء فقال: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ﴾ [الحديد: ١٩] والمقصود أنه سبحانه وتعالى ذكر أصحاب الأجور والمراتب، وهذان الأمران هما اللذان وعدهما فرعون السحرة إن غلبوا موسى عليه الصلاة والسلام فقالوا: ﴿إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ﴾ [الأعراف: ١١٣] أي أجمع لكم بين الأجر والمنزلة عندي والقرب مني. فالعمال عملوا على الأجور، والعارفون عملوا على المراتب والمنزلة والزلفى عند الله.

وأعمال هؤلاء القلبية أكثر من أعمال أولئك، وأعمال أولئك البدنية قد تكون أكثر من أعمال هؤلاء.

وذكر البيهقي عن محمد بن كعب القرظي رحمه الله تعالى قال: قال موسى عليه السلام: يا رب، أي خلقك أكرم عليك؟ قال: الذي لا يزال لسانه رطبًا بذكري. قال: يا رب، فأي خلقك أعلم؟ قال: الذي يلتمس إلى علمه علم غيره. قال: يا رب، أي خلقك أعدل؟ قال: الذي يقضي على نفسه كما يقضي على الناس. قال يا رب، أي خلقك أعظم ذنبًا؟ قال: الذي يتهمني. قال: يا رب، وهل يتهمك أحد؟ قال: الذي يستخيرني ولا يرضى بقضائي(١٨٠). وذكر أيضًا عن ابن عباس

(١٨٠) أخرجه البيهقي في الشعب (١/ ٤٥١) رقم (٦٨٢) عن محمد بن كعب القرظي ولكن إسناده إليه منقطع.

قال: لما وفد موسى عليه السلام إلى طور سيناء قال: يا رب، أي عبادك أحب إليك ؟ قال الذي يذكرني ولا ينساني (١٨١). وقال كعب: قال موسى عليه السلام: يا رب، أقريب أنت فأناجيك، أم بعيد فأناديك ؟ فقال تعالى: يا موسى، أنا جليس من ذكرني. قال: إني أكون على حال أجلك عنها. قال: ما هي يا موسى ؟ قال: عند الغائط والجنابة. قال: اذكرني على كل حال (١٨٢).

وقال عبيد بن عمير: تسبيحة بحمد الله في صحيفة مؤمن خير له من جبال الدنيا تجري معه ذهبًا (١٨٣).

وقال الحسن: إذا كان يوم القيامة نادى مناد: سيعلم أهل الجمع من أولى بالكرم، أين الذين كانت ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [السجدة: ١٦] قال: فيقومون فيتخطون رقاب الناس. قال: ثم ينادي مناد: سيعلم أهل الجمع من أولى بالكرم، أين الذي كانت ﴿لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ [النور: ٣٧] قال: فيقومون فيتخطون رقاب الناس. قال: ثم ينادي مناد: وسيعلم أهل الجمع من أولى بالكرم، أين الحمادون لله على كل حال ؟ قال: فيقومون وهم كثير. ثم يكون التنعيم والحساب فيمن بقي (١٨٤).

وأتى رجلٌ أبا مسلم الخولاني فقال له: أوصني يا أبا مسلم. قال: اذكر الله تعالى تحت كل شجرة ومدرة. فقال له: زدني. فقال: اذكر الله حتى يحسبك الناس من ذكر الله تعالى مجنونًا.

قال: وكان أبو مسلم يكثر ذكر الله تعالى، فرآه رجل وهو يذكر الله تعالى فقال: أمجنون صاحبكم هذا ؟ فسمعه أبو مسلم فقال: ليس هذا بالمجنون يا ابن

---

(١٨١) أخرجه البيهقي (١/ ٤٥١) رقم (٦٨١) وإسناده إلى ابن عباس ضعيف.

(١٨٢) أخرجه البيهقي في الشعب (١/ ٤٥١) رقم (٦٨٠) وهو عند أحمد في الزهد ص (٨٦) بإسناد صحيح إلى أبي بن كعب.

(١٨٣) عبيد بن عمير بن قتادة الليثي قاضي أهل مكة من ثقات التابعين، وكان عبد الله بن عمر رضي الله عنه يجلس إليه ويبكي، وكان يقول: لله در ابن قتادة، ماذا يأتي به. مات سنة ٦٨ هـ.
والأثر المذكور أخرجه ابن أبي شيبة برقم (٩٤٧٥)، (١٦٨٨١) بإسناد صحيح والبيهقي في الشعب (١/ ٤٥٣) رقم (٦٩٢).

(١٨٤) الحسن بن أبي الحسن بن يسار البصري أبو سعيد، من سادات التابعين، كان من أجمل أهل البصرة وأعلمهم وأشجعهم، وكانت وفاته سنة ١١٠ هـ. والأثر المذكور أخرجه البيهقي في الشعب (١/ ٤٥٣) رقم (٦٩٣) وفي إسناده إلى الحسن من لا يعرف.

أخي، ولكن هذا دواء الجنون[١٨٥].

السادسة والأربعون أن في القلب قسوة لا يذيبها إلا ذكر الله تعالى، فينبغي للعبد أن يداوي قسوة قلبه بذكر الله تعالى. وذكر حماد بن زيد عن المعلى ابن زياد أن رجلاً قال للحسن: يا أبا سعيد، أشكو إليك قسوة قلبي. قال: أذبه بالذكر[١٨٦]. وهذا ؛ لأن القلب كلما اشتدت به الغفلة، اشتدت به القسوة، فإذا ذكر الله تعالى ذابت تلك القسوة كما يذوب الرصاص في النار. فما أذيبت قسوة القلوب بمثل ذكر الله عز وجل.

السابعة والأربعون أن الذكر شفاء القلب ودواؤه، والغفلة مرضه، فالقلوب مريضة وشفاؤها ودواؤها في ذكر الله تعالى. قال مكحول: ذكر الله تعالى شفاء، وذكر الناس داء. ذكره البيهقي عن مكحول مرفوعًا ومرسلاً،[١٨٧] فإن ذكرته شفاها وعافاها، فإذا غفلت عنه انتكست، كما قيل:

إِذَا مَرِضْنَا تَداوَيْنَا بِذِكْرِكُم فَنَترُكُ الذِّكرَ أَحيَانًا فَنَنتَكِسُ

الثامنة والأربعون أن الذكر أصل موالاة الله عز وجل ورأسها، والغفلة أصل معاداته ورأسها، فإن العبد لا يزال يذكر ربه عز وجل حتى يحبه فيواليه، ولا يزال يغفل عنه حتى يبغضه فيعاديه. قال الأوزاعي: قال حسان بن عطية: ما عادى عبد ربه بشيء أشد عليه من أن يكره ذكره أو من يذكره[١٨٨]. فهذه المعاداة سببها الغفلة ولا تزال بالعبد حتى يكره ذكر الله ويكره من ذكره، فحينئذ يتخذه عدوًا كما اتخذه الذاكر وليًا.

التاسعة والأربعون أنه ما استجلبت نعم الله عز وجل واستدفعت نقمة بمثل ذكر الله تعالى. فالذكر جلاب للنعم، دافع للنقم. قال سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ

---

(١٨٥) أبو مسلم الخولاني اليماني الزاهد، أسلم في حياة النبي ﷺ وجاء يطلب النبي فمات النبي وهو في طريقه. وكان ناسكًا عابدًا له كرامات توفي سنة ٦٢ هـ والأثر المذكور أخرجه البيهقي في الشعب (١/ ٤٥٥) رقم (٦٩٦) وليس إسناده بالقوي.

تنبيه: في النسخ المطبوعة: هذا ذو الجنون. والتصويب من شعب الإيمان للبيهقي.

(١٨٦) أخرجه البيهقي في الشعب (١/ ٤٥٦) رقم (٧٠٣) بلفظ: أذّبه بالدال المهملة المشددة. وإسناده حسن.

(١٨٧) أخرجه البيهقي في الشعب (١/ ٤٥٩) رقم (٧١٧) عن مكحول مرسلاً. قال البيهقي: «وروى عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه من قوله».

(١٨٨) أخرجه البيهقي في الشعب (١/ ٤٦١) رقم (٧٢٧).

عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ [الحج: ٣٨] وفي القراءة الأخرى ﴿إن الله يَدْفَعُ﴾ (١٨٩)، فدفعه ودفاعه عنهم بحسب قوة إيمانهم وكماله. ومادة الإيمان وقوته بذكر الله تعالى، فمن كان أكمل إيمانًا، وأكثر ذكرًا، كان دفع الله تعالى عنه ودفاعه أعظم، ومن نقص نقص، ذكرًا بذكر ونسيانًا بنسيان. وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ [إبراهيم: ٧]، والذكر رأس الشكر كما تقدم، والشكر جلاّب النعم وموجب للمزيد. قال بعض السلف رحمة الله عليهم: ما أقبح الغفلة عن ذكرِ من لا يغفل عن ذكرك.

الخمسون أن الذكر يوجب صلاة الله عز وجل وملائكته على الذاكر، ومن صلى الله تعالى عليه وملائكته فقد أفلح كل الفلاح وفاز كل الفوز، قال سبحانه وتعالى: سس شش [**الأحزاب**: ٤١-٤٣] فهذه الصلاة منه تبارك وتعالى ومن ملائكته إنما هي سبب الإخراج لهم من الظلمات إلى النور. وإذا حصلت لهم الصلاة من الله تبارك وتعالى وملائكته، وأخرجوهم من الظلمات إلى النور؛ فأي خير لم يحصل لهم، وأي شر لم يندفع عنهم؟ فيا حسرة الغافلين عن ربهم ماذا حرموا من خيره وفضله. وبالله التوفيق.

الحادية والخمسون أن من شاء أن يسكن رياض الجنة في الدنيا فليستوطن مجالس الذكر، إنها رياض الجنة.

وقد ذكر ابن أبي الدنيا وغيره من حديث جابر بن عبد الله قال: خرج علينا رسول الله ﷺ فقال: «**يَا أَيُّهَا النَّاسُ، ارْتَعُوا فِي رِيَاضِ الجَنَّةِ**» قلنا: يا رسول الله وما رياض الجنة؟ قال: «**مَجَالِسُ الذِّكْرِ**» ثم قال: «**اغْدُوا وَرُوحُوا وَاذْكُرُوا، فَمَن كَانَ يُحِبُّ أَنْ يَعْلَمَ مَنْزِلَتَه عِنْدَ اللهِ تَعَالَى؛ فَلْيَنْظُرْ كَيفَ مَنْزِلَةُ اللهِ تَعَالى عِنْدَه، فَإِنَّ اللهَ تَعَالَى يُنْزِلُ العَامِلَ مِنه حَيثُ أَنْزَلَه مِن نَفْسِه**»(١٩٠).

الثانية والخمسون أن مجالس الذكر مجالس الملائكة، فليس من مجالس الدنيا لهم مجلس إلا مجلس يذكر الله تعالى فيه، كما أخرجا في الصحيحين من حديث

(١٨٩) قوله: يدافع. فقرأها ابن كثير، وأبو عمرو، ويعقوب بفتح الياء وسكون الدال من غير ألف بعدها (يدفع). وقرأها الباقون (يدافع) بالياء المضمومة وبعد الدال ألف مد. والقراءتان من المتواتر.
(١٩٠) أخرجه البيهقي في الشعب (١/٣٩٨) رقم (٥٢٨) من طريق عمر بن عبد الله مولى غفرة عن أيوب بن خالد بن صفوان عن جابر، وعمر ضعيف، وأيوب لين، ورواه الترمذي (٣٥٢٠) من حديث أبي هريرة، ورواه (٣٥٢١) والبيهقي (٥٢٩) من حديث أنس.

الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**إِنَّ لِلَّهِ مَلائِكَةً فُضُلًا عَنِ النَّاسِ، يَطُوفُونَ فِي الطُّرُقِ يَلْتَمِسُونَ أَهْلَ الذِّكْرِ، فَإِذَا وَجَدُوا قَوْمًا يَذْكُرُونَ اللَّهَ تَعَالَى تَنَادَوْا: هَلُمُّوا إِلَى حَاجَتِكُمْ. قَالَ: فَيَحُفُّونَهُمْ بِأَجْنِحَتِهِمْ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا. قَالَ: فَيَسْأَلُهُمْ رَبُّهُمْ - وَهُوَ أَعْلَمُ بِهِمْ - مَا يَقُولُ عِبَادِي ؟ قَالُوا: يَقُولُونَ يُسَبِّحُونَكَ وَيُكَبِّرُونَكَ وَيَحْمَدُونَكَ وَيُمَجِّدُونَكَ. قَالَ: فَيَقُولُ: هَلْ رَأَوْنِي ؟ قَالَ: فَيَقُولُونَ: لا وَاللَّهِ مَا رَأَوْكَ. قَالَ: فَيَقُولُ: وَكَيْفَ لَوْ رَأَوْنِي ؟ قَالَ: يَقُولُونَ: لَوْ رَأَوْكَ كَانُوا أَشَدَّ لَكَ عِبَادَةً، وَأَشَدَّ لَكَ تَمْجِيدًا وَتَحْمِيدًا وَأَكْثَرَ لَكَ تَسْبِيحًا. قَالَ: يَقُولُ: فَمَا يَسْأَلُونِي ؟ قَالَ: يَسْأَلُونَكَ الْجَنَّةَ. قَالَ: يَقُولُ: وَهَلْ رَأَوْهَا ؟ قَالَ: يَقُولُونَ: لا وَاللَّهِ يَا رَبِّ مَا رَأَوْهَا. قَالَ: يَقُولُ: فَكَيْفَ لَوْ أَنَّهُمْ رَأَوْهَا ؟ قَالَ: يَقُولُونَ: لَوْ أَنَّهُمْ رَأَوْهَا كَانُوا أَشَدَّ عَلَيْهَا حِرْصًا، وَأَشَدَّ لَهَا طَلَبًا وَأَعْظَمَ فِيهَا رَغْبَةً. قَالَ: فَمِمَّ يَتَعَوَّذُونَ ؟ قَالَ: يَقُولُونَ: مِنَ النَّارِ. قَالَ: يَقُولُ: وَهَلْ رَأَوْهَا ؟ قَالَ: يَقُولُونَ: لا وَاللَّهِ يَا رَبِّ مَا رَأَوْهَا. قَالَ: يَقُولُ: فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْهَا ؟ قَالَ: يَقُولُونَ: لَوْ رَأَوْهَا كَانُوا أَشَدَّ مِنْهَا فِرَارًا، وَأَشَدَّ لَهَا مَخَافَةً. قَالَ: فَيَقُولُ: فَأُشْهِدُكُمْ أَنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَهُمْ. قَالَ: يَقُولُ مَلَكٌ مِنَ الْمَلائِكَةِ: فِيهِمْ فُلانٌ لَيْسَ مِنْهُمْ، إِنَّمَا جَاءَ لِحَاجَةٍ. قَالَ: هُمُ الْجُلَسَاءُ لا يَشْقَى بِهِمْ جَلِيسُهُمْ**» (١٩١)، فهذا من بركتهم على نفوسهم وعلى جليسهم، فلهم نصيب من قوله: ﴿وَجَعَلَنِى مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ﴾ [مريم: ٣١]، فهكذا المؤمن مبارك أين حل، والفاجر مشئوم أين حل. فمجالس الذكر مجالس الملائكة، ومجالس الغفلة مجالس الشياطين، وكل مضاف إلى شكله وأشباهه، وكل امرئ يصير إلى ما يناسبه.

الثالثة والخمسون أن الله عز وجل يباهي بالذاكرين ملائكته، كما روى مسلم في صحيحه عن أبي سعيد الخدري قال: خرج معاوية على حلقة في المسجد فقال: ما أجلسكم ؟ قالوا: جلسنا نذكر الله تعالى. قال: آلله ما أجلسكم إلا ذاك ؟ قالوا: والله ما أجلسنا إلا ذاك. قال: أما إني لم أستحلفكم تهمة لكم، وما كان أحد بمنزلتي من رسول الله ﷺ أقل عنه حديثًا مني، وإن رسول الله ﷺ خرج على حلقة من أصحابه فقال: «**مَا أَجْلَسَكُمْ**»؟ قالوا: جلسنا نذكر الله تعالى ونحمده على ما هدانا للإسلام وَمَنَّ علينا بك. قال: «**آللَّهِ مَا أَجْلَسَكُمْ إلا ذَاكَ**» ؟ قالوا: والله ما

(١٩١) **صحيح**: أخرجه البخاري (٦٤٠٨) ومسلم (٢٦٨٩ فؤاد) (٦٧١٣ قلعجي) والترمذي (٣٦١١) وغيرهم واللفظ للترمذي.

أجلسنا إلا ذاك. قال: «**أَمَا إِنِّي لَمْ أَسْتَحْلِفْكُمْ تُهْمَةً لَكُمْ، وَلَكِنَّهُ أَتَانِي جِبْرِيلُ فَأَخْبَرَنِي أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يُبَاهِي بِكُمْ الْمَلائِكَةَ**»(١٩٢)، فهذه المباهاة من الرب تبارك وتعالى دليل على شرف الذكر عنده ومحبته له، وأن له مزية على غيره من الأعمال.

الرابعة والخمسون أن مدمن الذكر يدخل الجنة وهو يضحك، لما ذكر ابن أبي الدنيا عن عبد الرحمن بن مهدي عن معاوية بن صالح عن عبد الرحمن بن جبير بن نفير الحضرمي عن أبيه عن أبي الدرداء قال: الذين لا تزال ألسنتهم رطبة من ذكر الله عز وجل يدخل أحدهم الجنة وهو يضحك(١٩٣).

الخامسة والخمسون أن جميع الأعمال إنما شرعت إقامة لذكر الله تعالى، والمقصود بها تحصيل ذكر الله تعالى، قال سبحانه وتعالى: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ﴾ **[طه: ١٤]**. **قيل**: المصدر مضاف إلى الفاعل أي؛ لأذكرك بها، وقيل مضاف إلى المذكور أي لتذكروني بها. واللام على هذا لام التعليل. **وقيل**: هي اللام الوقتية أي أقم الصلاة عند ذكري، كقوله: ﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمۡسِ﴾ **[الإسراء: ٧٨]** وقوله تعالى: ﴿وَنَضَعُ ٱلۡمَوَٰزِينَ ٱلۡقِسۡطَ لِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ فَلَا تُظۡلَمُ نَفۡسٞ شَيۡـٔٗاۖ﴾ **[الأنبياء: ٤٧]**، وهذا المعنى يراد بالآية، لكن تفسيرها به يجعل معناها فيه نظر؛ لأن هذه اللام الوقتية يليها أسماء الزمان والظروف، والذكر مصدر إلا أن يقدر زمان محذوف أي عند وقت ذكري. وهذا محتمل.

والأظهر أنها لام التعليل أي أقم الصلاة لأجل ذكري. ويلزم من هذا أن تكون إقامتها عند ذكره، وإذا ذكر العبد ربه فذكر الله تعالى سابق على ذكره، فإنه لما ذكره ألهمه ذكره، فالمعاني الثلاثة حق.

وقال سبحانه وتعالى: ﴿ٱتۡلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيۡكَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۗ وَلَذِكۡرُ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۗ﴾ **[العنكبوت: ٤٥]** فقيل: المعنى أنكم في الصلاة تذكرون الله وهو ذاكر من ذكره، ولذكر الله تعالى إياكم

---

(١٩٢) **صحيح**: أخرجه مسلم (٢٧٠١ فؤاد) (٦٧٢٩ قلعجي) والترمذي (٣٣٩٠) والنسائي (٨/ ٢٤٩).

(١٩٣) **صحيح موقوفًا**: أخرجه ابن أبي شيبة (١٣/ ٤٥٦) رقم (١٦٩٠٣)، (١٠/ ٣٠٣) رقم (٩٥٠٨) عن أبي الدرداء موقوفًا وهو صحيح إليه، وانظر الزهد لابن المبارك ص (٢٦٢) رقم (١١٢٦). والزهد لأحمد ص (١٦٩)، والحلية لأبي نعيم (٥/ ١٣٣).

أكبر من ذكركم إياه، وهذا يروى عن ابن عباس وسلمان وأبي الدرداء وابن مسعود رضي الله عنهم.

وذكر ابن أبي الدنيا عن فضيل بن مرزوق عن عطية: ﴿وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [العنكبوت: ٤٥] قال: وهو قوله تعالى: ﴿فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ﴾[البقرة: ١٥٢] فذكر الله تعالى لكم أكبر من ذكركم إياه[١٩٤].

وقال ابن زيد وقتادة: معناه: ولذكر الله أكبر من كل شيء. وقيل لسلمان: أي الأعمال أفضل؟ قال: أما تقرأ القرآن ﴿وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾[١٩٥]. ويشهد لهذا حديث أبي الدرداء المتقدم: «**أَلا أُنَبِّئُكُم بِخَيْرِ أَعْمَالِكُمْ، وَأَزْكَاهَا عِنْدَ مَلِيكِكُمْ، وَخَيْرٍ لَكُمْ مِنْ إِنْفَاقِ الذَّهَبِ وَالْوَرِقِ...**»[١٩٦] الحديث.

وكان شيخ الإسلام أبو العباس قدس الله روحه يقول: الصحيح أن معنى الآية: أن الصلاة فيها مقصودان عظيمان، وأحدهما أعظم من الآخر: فإنها تنهى عن الفحشاء والمنكر، وهي مشتملة على ذكر الله تعالى، ولما فيها من ذكر الله أعظم من نهيها عن الفحشاء والمنكر. وذكر ابن أبي الدنيا عن ابن عباس أنه سئل: أي العمل أفضل؟ قال: ذكر الله أكبر[١٩٧].

وفي السنن عن عائشة عن النبيﷺ قال: «**إِنَّمَا جُعِلَ الطَّوَافُ بِالْبَيْتِ وَبَيْنَ الصَّفَا وَالْمَرْوَةِ وَرَمْيُ الْجِمَارِ؛ لإِقَامَةِ ذِكْرِ اللَّهِ**» رواه أبو داود والترمذي وقال: حديث حسن صحيح[١٩٨].

السادسة والخمسون أن أفضل أهل كل عمل أكثرهم فيه ذكرًا لله عز وجل، فأفضل الصوام أكثرهم ذكرًا لله عز وجل في صومهم، وأفضل المتصدقين أكثرهم ذكرًا لله عز وجل، وأفضل الحجاج أكثرهم ذكرًا لله عز وجل. وهكذا سائر

(١٩٤) أخرجه البيهقي في الشعب (٤٤٩/١) رقم (٦٧٣) وابن جرير في تفسيره (١٤٦/١٠) رقم (٢٧٧٩٦) عن عطية العوفي.
(١٩٥) أخرجه البيهقي في الشعب (٤٤٨/١) رقم (٦٧٠).
(١٩٦) **حسن**: أخرجه الترمذي وابن ماجه، وهو حديث حسن كما سبق.
(١٩٧) أخرجه البيهقي في الشعب (٤٤٩/١) رقم (٦٧٤) وابن جرير (١٤٥/١٠) رقم (٢٧٧٨٩)، (٢٧٧٩٠).
(١٩٨) **ضعيف الإسناد**: أخرجه أبو داود (١٨٨٨) والترمذي (٩٠٣) وقال: حديث حسن صحيح. اهـ. وأحمد (٦٤/٦، ٧٥، ١٣٩) ومداره على عبيد الله أبي زياد المكي وليس هو مما يتحمل التفرد.

الأحوال.

وقد ذكر ابن أبي الدنيا حديثًا مرسلاً في ذلك أن النبي ﷺ سئل: أي أهل المسجد خير ؟ قال: **«أَكْثَرُهُم ذِكْرًا للهِ عَز وَجَل»**. قيل: أي الجنازة خير؟ قال: **«أَكْثَرُهُم ذِكْرًا للهِ عَز وَجَل»**. قيل: فأي المجاهدين خير ؟ قال: **«أَكْثَرُهُم ذِكْرًا للهِ عَز وَجَل»**. قيل: فأي الحجاج خير ؟ قال: **«أَكْثَرُهُم ذِكْرًا للهِ عَز وَجَل»**. قيل: وأي العباد خير ؟ قال: **«أَكْثَرُهُم ذِكْرًا للهِ عَز وَجَل»**. قال أبو بكر : ذهب الذاكرون بالخير كله (١٩٩).

وقال عبيد بن عمير : إن أعظمكم هذا الليل أن تكابدوه، وبخلتم على المال أن تنفقوه، وجبنتم عن العدو أن تقاتلوه: فأكثروا من ذكر الله عز وجل (٢٠٠).

السابعة والخمسون أن إدامته تنوب عن التطوعات وتقوم مقامها سواء كانت بدنية، أو مالية كحج التطوع، وقد جاء ذلك صريحًا في حديث أبي هريرة: أن فقراء المهاجرين أتوا رسول الله ﷺ فقالوا: يا رسول الله، ذهب أهل الدثور بالدرجات العلى والنعيم المقيم، يصلون كما نصلي، ويصومون كما نصوم، ولهم فضل أموالهم يحجون بها ويعتمرون ويجاهدون. فقال: **«ألا أُعَلِّمُكُمْ شَيْئًا تُدْرِكُونَ بِهِ مَنْ سَبَقَكُمْ، وَتَسْبِقُونَ بِهِ مَنْ بَعْدَكُمْ، وَلا أَحَدٌ يَكُونُ أَفْضَلَ مِنْكُمْ إلا مَنْ صَنَعَ مِثْلَ مَا صَنَعْتُمْ»** ؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال: **«تُسَبِّحُونَ وَتَحْمَدُونَ وَتُكَبِّرُونَ خَلْفَ كُلِّ صَلاةٍ. . .»** الحديث متفق عليه (٢٠١). فجعل الذكر عوضًا لهم عما فاتهم من الحج والعمرة والجهاد، وأخبر أنهم يسبقونهم بهذا الذكر، فلما سمع أهل الدثور بذلك عملوا به، فازدادوا - إلى صدقاتهم وعباداتهم بمالهم - التعبد بهذا الذكر، فحازوا الفضيلتين، نفسهم الفقراء (٢٠٢)، وأخبروا رسول الله ﷺ بأنهم قد

---

(١٩٩) ضعيف: أخرجه البيهقي في الشعب (١/٤٠٨) رقم (٥٥٨) من طريق ابن أبي الدنيا، وأبو بكر المذكور هو أحد رواة الحديث، والحديث مرسل. وقد وقع عند أحمد نحوه (٣/٤٣٨) من حديث معاذ بن أنس الجهني وإسناده ضعيف وفيه أن أبا بكر المذكور هو الصديق. وأخرجه ابن المبارك نحوه في الزهد ص (٣٣٣) رقم (١٤٢٩) عن أبي سعيد المقبري مرسلاً، وفيه أن أبا بكر هو الصديق، وإسناده صحيح إلى أبي سعيد المقبري.

(٢٠٠) أخرجه أبو نعيم في الحلية (٣/٢٦٧) وبنحوه في الزهد لأحمد ص (٤٥٤) عن عبيد بن عمير رضي الله عنه.

(٢٠١) صحيح: أخرجه البخاري (٨٤٣) ومسلم (٥٩٥ فؤاد) (١٣٢٣ قلعجي).

(٢٠٢) نَفِسه نَفَسًا: حسده.

شاركوهم في ذلك وانفردوا عنهم بما لا قدرة لهم عليه، فقال: «**ذَلِكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ**».

وفي حديث عبد الله بن بسر قال: جاء أعرابي فقال: يا رسول الله، كثرت عليَّ خلال الإسلام وشرائعه، فأخبرني بأمر جامع يكفيني. قال: «**عَلَيْكَ بِذِكْرِ اللهِ تَعَالَى**». قال: ويكفيني يا رسول الله ؟ قال: «**نَعَمْ، وَيَفْضُلُ عَنْكَ**» (٢٠٣).

فدله الناصح ﷺ على شيء يبعثه على شرائع الإسلام والحرص عليها والاستكثار منها، فإنه إذا اتخذ ذكر الله شعاره أحبه وأحب ما يحب، فلا شيء أحب إليه من التقرب بشرائع الإسلام، فدله ﷺ على ما يتمكن به من شرائع الإسلام وتسهل به عليه وهو ذكر الله عز وجل. يوضحه:

الثامنة والخمسون أن ذكر الله عز وجل من أكبر العون على طاعته، فإنه يحببها إلى العبد ويسهلها عليه ويلذذها له ويجعل قرة عينه فيها، ونعيمه وسروره بها بحيث لا يجد لها من الكلفة والمشقة والثقل ما يجد الغافل، والتجربة شاهدة بذلك، يوضحه:

التاسعة والخمسون أن ذكر الله عز وجل يسهل الصعب، وييسر العسير ويخفف المشاق، فما ذكر الله عز وجل على صعب إلا هان، ولا على عسير إلا تيسر، ولا مشقة إلا خفت، ولا شدة إلا زالت، ولا كربة إلا انفرجت، فذكر الله تعالى هو الفرج بعد الشدة، واليسر بعد العسر، والفرج بعد الغم والهم، يوضحه:

الستون أن ذكر الله عز وجل يذهب عن القلب مخاوفه كلها، وله تأثير عجيب في حصول الأمن، فليس للخائف الذي قد اشتد خوفه أنفع من ذكر الله عز وجل، إذ بحسب ذكره يجد الأمن ويزول خوفه، حتى كأن المخاوف التي يجدها أمان له، والغافل خائف مع أمنه حتى كأن ما هو فيه من الأمن كله مخاوف، ومن له أدنى حس قد جرب هذا وهذا. والله المستعان.

الحادية والستون أن الذكر يعطي الذاكر قوة، حتى إنه ليفعل مع الذكر ما لم يظن فعله بدونه، وقد شاهدت من قوة شيخ الإسلام ابن تيمية في سننه وكلامه وإقدامه وكتابه أمرًا عجيبًا، فكان يكتب في اليوم من التصنيف ما يكتبه الناسخ في جمعة

(٢٠٣) حسن: أخرجه بنحوه الترمذي (٣٣٨٦) وابن ماجه (٣٧٩٣) وهو حديث حسن وليس فيه ويكفيني... إلخ.

وأكثر، وقد شاهد العسكر من قوته في الحرب أمرًا عظيمًا، وقد عَلَّمَ النبيُّ ﷺ ابنتَه فاطمة وعليًا رضي الله عنهما أن يسبحا كل ليلة إذا أخذا مضاجعهما ثلاثًا وثلاثين ويحمدا ثلاثًا وثلاثين ويكبرا أربعًا وثلاثين لما سألته الخادم وشكت إليه ما تقاسيه من الطحن والسعي والخدمة، فعلمها ذلك وقال: **«إِنَّهُ خَيْرٌ لَكُمَا مِنْ خَادِمٍ»** (٢٠٤). فقيل: إن من داوم على ذلك وجد قوة في يومه مغنية عن خادم.

وسمعت شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى يذكر أثرًا في هذا الباب ويقول: إن الملائكة لما أمروا بحمل العرش قالوا: يا ربنا كيف نحمل عرشك وعليه عظمتك وجلالك؟ فقال: قولوا: لا حول ولا قوة إلا بالله، فلما قالوا حملوه. حتى رأيت ابن أبي الدنيا قد ذكر هذا الأثر بعينه عن الليث بن سعد عن معاوية بن صالح قال: حدثنا مشيختنا أنه بلغهم أن أول ما خلق الله عز وجل - حين كان عرشه على الماء - حملة العرش، قالوا: ربنا لم خلقتنا؟ قال: خلقتكم لحمل عرشي. قالوا: ربنا ومن يقوى على حمل عرشك وعليه عظمتك وجلالك ووقارك؟ قال: لذلك خلقتكم. فأعادوا عليه ذلك مرارًا فقال لهم: قولوا: لا حول ولا قوة إلا بالله، فحملوه (٢٠٥).

وهذه الكلمة لها تأثير عجيب في معاناة الأشغال الصعبة، وتحمل المشاق، والدخول على الملوك، ومن يخاف ركوب الأهوال. ولها أيضًا تأثير في دفع الفقر، كما روى ابن أبي الدنيا عن الليث بن سعد، عن معاوية بن صالح عن أسد بن وداعة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«مَنْ قَالَ لا حَوْلَ وَلا قُوَّةَ إلا بِاللهِ مِائَةَ مَرةٍ فِي كُلِ يَوْمٍ ؛ لَمْ يُصِبْهُ فَقْرٌ أَبَدًا»** (٢٠٦). وكان حبيب بن سلمة يستحب إذا لقي عدوًا أو ناهض حصنًا قال: لا حول ولا قوة إلا بالله، وأنه ناهض يومًا حصنًا للروم فانهزم، فقالها المسلمون وكبروا فانهدم

---

(٢٠٤) صحيح: أخرجه البخاري (٣٧٠٥) ومسلم (٢٧٢٧ فؤاد) (٦٧٨٤ قلعجي).

(٢٠٥) ضعيف: أخرج ابن جرير معناه في تفسيره (١٢/ ٢١٦) رقم (٣٤٧٩٢) ولكنه معضل أما الإسناد الذي ذكره المصنف ففيه المشيخة مجهولون ثم هو بلاغ لا يدري عمن؟ وهو بالإسرائيليات أشبه. ثم هو معارض بأمرين: //الأول: أن أول ما خلق الله القلم أخرجه أبو داود (٤٧٠٠) والترمذي (٣٣٣٠) وأحمد (٥/ ٣١٧) من حديث عباده بن الصامت وهو صحيح. //الثاني: أن ذكر الملائكة: سبحان الله وبحمده أخرجه مسلم (٢٧٣١ فؤاد) (٩٧٩٣ قلعجي) والترمذي (٣٦٠٤) وقال تعالى: والْمَلائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ. سورة الشورى.

(٢٠٦) أسد بن وداعة ليس صحابيًا، له ترجمه في الجرح والتعديل (٢/ ٢٣٧) وثقات ابن حبان (٤/ ٥٦) قتل سنة ٦ أو ١٣٧ هـ أي أن الحديث مرسل.

الحصن (٢٠٧).

الثانية والستون أن عمال الآخرة كلهم في مضمار السباق، والذاكرون هم أسبقهم في ذلك المضمار، ولكن القترة والغبار يمنع من رؤية سبقهم، فإذا انجلى الغبار وانكشف رآهم الناس وقد حازوا قصب السبق.

قال الوليد بن مسلم قال محمد بن عجلان: سمعت عمر مولى غفرة يقول (٢٠٨): إذا انكشف الغطاء [للناس] يوم القيامة عن ثواب أعمالهم لم يروا عملاً أفضل ثوابًا من الذكر، فيتحسر عند ذلك أقوام فيقولون: ما كان شيء أيسر علينا من الذكر.

وقال أبو هريرة: قال رسول الله ﷺ: «**سَبَقَ الْمُفْرِدُونَ**» قالوا: وما المفردون ؟. قال: «**الذِينَ أُهتِرُوا فِي ذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَى، يَضَعُ الذِّكْرُ عَنْهُمْ أَوْزَارَهُمْ**» (٢٠٩). أهتروا بالشيء: وفيه أولعوا به ولزموه وجعلوه دأبهم. وفي بعض ألفاظ الحديث «**الْمُسْتَهْتَرُونَ بِذِكْرِ اللَّهِ**» (٢١٠)، ومعناه: الذين أولعوا به، يقال: استهتر فلان بكذا إذا ولع به.

وفيه تفسير آخر: أن أهتروا في ذكر الله أي كبروا، وهلك أقرانهم وهم في ذكر الله تعالى، يقال: أهتر الرجل فهو مهتر إذا سقط في كلامه من الكبر، والهتر: السقط من الكلام،كأنه بقي في ذكر الله تعالى حتى خرف وأنكر عقله، والهتر:

(٢٠٧) هو حبيب بن مسلمة بن مالك، هكذا في أكثر الكتب «مسلمة» ووقع في أسد الغابة لابن الأثير (١/ ٦٨١) رقم (١٠٦٨) حبيب بن سلمة. وقد اختلف في صحبته. وكان يسمى حبيب الدروب وحبيب الروم لكثرة حروبه معهم ونيله منهم. قال الذهبي في السير (٣/ ١٨٩) له أخبار في تاريخ دمشق.

(٢٠٨) الوليد بن مسلم يدلس تدليس تسوية فالإسناد إلى عمر غير مستقيم. وعمر هو ابن عبد الله المدني مولى غفرة بنت رباح أخت بلال. وكان كثير القصص والرقائق على ضعف في حفظه مات سنة ١٤٥ هـ أو بعدها.

(٢٠٩) صحيح الإسناد: أخرجه الترمذي (٣٦٠٧) بلفظ: المستهترون. . . وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب ا هـ. وأخرجه البيهقي في الشعب (١/ ٣٩٠) رقم (٥٠٦)، (٥٠٥) بلفظ الذين يُهترون و (٥٠٧) الذين أهتروا. . وأخرجه الحاكم (١/ ٤٩٥) وصححه ووافقه الذهبي وإسناده صحيح.

(٢١٠) ضعيف: رواه الترمذي، كتاب: الدعوات، باب: في العفو والعافية، حديث (٣٥٩٦)، والبيهقي في الشعب (١/ ٣٩٠) حديث (٥٠٦)، انظر الضعيفة (٣٦٩٠)، وضعيف الجامع (٣٢٤٠).

الباطل أيضًا، ورجل مستهتر إذا كان كثير الأباطيل، وفي حديث ابن عمر: أعوذ بالله أن أكون من المستهترين، وحقيقة اللفظ أن الاستهتار : الإكثار من الشيء والولوع به حقًا كان أو باطلاً، وغلب استعماله على المبطل حتى إذا قيل فلان مستهتر لا يفهم منه إلا الباطل، وإنما إذا قيد بشيء تقيد به، نحو: مستهتر، وقد أهتر في ذكر الله تعالى، أي: أولع به وأغري به، ويقال: استهتر فيه وبه. وتفسير هذا في الأثر الآخر: (أَكْثِرُوا ذِكْرَ اللَّهِ حَتَّى يُقَالَ مَجْنُونٌ)(٢١١).

الثالثة والستون أن الذكر سبب لتصديق الرب عز وجل عبده، فإنه أخبر عن الله تعالى بأوصاف كماله ونعوت جلاله، فإذا أخبر بها العبد صدقه ربه، ومن صدقه الله تعالى لم يحشر مع الكاذبين، ورجي له أن يحشر مع الصادقين.

وروى أبو إسحاق عن الأغر أبي مسلم أنه شهد على أبي هريرة وأبي سعيد الخدري رضي الله عنهما أنهما شهدا على رسول الله ﷺ أنه قال: «**إِذَا قَالَ الْعَبْدُ: لا إِلَهَ إلا اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ. قَالَ: يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: صَدَقَ عَبْدِي، لا إِلَهَ إلا أَنَا وَأَنَا أَكْبَرُ. وَإِذَا قَالَ الْعَبْدُ: لا إِلَهَ إلا اللَّهُ وَحْدَهُ. قَالَ: صَدَقَ عَبْدِي، لا إِلَهَ إلا أَنَا وَحْدِي. وَإِذَا قَالَ: لا إِلَهَ إلا اللَّهُ لا شَرِيكَ لَهُ. قَالَ: صَدَقَ عَبْدِي، لا إِلَهَ إلا أَنَا وَلا شَرِيكَ لِي. وَإِذَا قَالَ: لا إِلَهَ إلا اللَّهُ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ. قَالَ: صَدَقَ عَبْدِي لا إِلَهَ إلا أَنَا لِي الْمُلْكُ وَلِيَ الْحَمْدُ. وَإِذَا قَالَ: لا إِلَهَ إلا اللَّهُ وَلا حَوْلَ وَلا قُوَّةَ إلا بِاللَّهِ. قَالَ: صَدَقَ عَبْدِي لا إِلَهَ إلا أَنَا وَلا حَوْلَ وَلا قُوَّةَ إلا بِي**»(٢١٢).

قال أبو إسحاق: ثم قال: [في] الآخر شيئًا لم أفهمه، قلت لأبي جعفر: ما قال؟ قال: (مَنْ رُزِقَهُنَّ عِنْدَ مَوْتِهِ لَمْ تَمَسَّهُ النَّارُ).

الرابعة والستون أن دور الجنة تبنى بالذكر، فإذا أمسك الذاكر عن الذكر أمسكت الملائكة عن البناء.

ذكر ابن أبي الدنيا في كتابه عن حكيم بن محمد الأخنسي قال: بلغني أن دور

---

(٢١١) ضعيف: أخرجه أحمد (٣/ ٧١) بإسناد ضعيف.

(٢١٢) أخرجه الترمذي (٣٤٤١) وابن ماجه (٣٧٩٤) وقال الترمذي: حديث حسن غريب اهـ. وإسناده حسن، وقد اختلف فيه على أبي إسحاق فرواه عنه عبد الجبار بن عباس عنه به مرفوعًا، ورواه شعبة عنه به موقوفًا وأخشى من عنعنة أبي إسحاق. لكن رواية شعبة ترجح الموقوف والله أعلم.

الجنة تبنى بالذكر، فإذا أمسك عن الذكر أمسكوا عن البناء، فيقال لهم: فيقولون: حتى تأتينا نفقة (٢١٣).

وذكر ابن أبي الدنيا من حديث أبي هريرة عن النبي ﷺقال: «**مَنْ قَالَ: سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ سُبْحَانَ اللهِ العَظِيمِ- سَبْعَ مَراتٍ - بُنِيَ لَهُ بُرْجٌ فِي الجَنَّةِ**» (٢١٤). وكما أن بناءها بالذكر فغراس بساتينها بالذكر كما تقدم في حديث النبي ﷺعن إبراهيم الخليل عليه السلام: «**أَنَّ الْجَنَّةَ طَيِّبَةُ التُّرْبَةِ، عَذْبَةُ الْمَاءِ، وَأَنَّهَا قِيعَانٌ، وَأَنَّ غِرَاسَهَا: سُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ وَلا إِلَهَ إلا اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ**» (٢١٥). فالذكر غراسها وبناؤها، وذكر ابن أبي الدنيا من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺقال: «**أَكْثِرُوا مِنْ غِرَاسِ الْجَنَّةِ**» قالوا: يا رسول الله، وما غراسها ؟ قال: «**مَا شَاءَ اللهُ، لا حَوْلَ وَلا قُوَّةَ إلا بِاللَّهِ**» (٢١٦).

الخامسة والستونأن الذكر سد بين العبد وبين جهنم، فإذا كانت له إلى جهنم طريق من عمل من الأعمال كان الذكر سدًا في تلك الطريق، فإذا كان ذكرًا دائمًا كاملاً كان سدًا محكمًا لا منفذ فيه، وإلا فبحسبه. قال عبد العزيز ابن أبي داود: كان رجل بالبادية قد اتخذ مسجدًا فجعل في قبلتهم سبعة أحجار، كان إذا قضى صلاته قال: يا أحجار أشهدكم أنه لا إله إلا الله. قال: فمرض الرجل، فعرج بروحه، قال: فرأيت في منامي أنه أمر بي إلى النار، قال: فرأيت حجرًا من تلك الأحجار أعرفه قد عظم فسد عني بابًا من أبواب جهنم، ثم أتى إلى الباب الآخر وإذا حجر من تلك الأحجار أعرفه قد عظم فسد عني بابًا من أبواب جهنم، حتى سدت عني بقية الأحجار أبواب جهنم (٢١٧).

السادسة والستونأن الملائكة تستغفر للذاكر كما تستغفر للتائب، كما روى حسين المعلم عن عبد الله بن بريدة عن عامر الشعبي عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: أجد في كتاب الله المنزل أن العبد إذا قال: الحمد لله، قالت

(٢١٣)هذا بلاغ لا تقوم به حجة.

(٢١٤)لم أقف عليه مسندًا وكتاب الذكر لابن أبي الدنيا لم يطبع فيما أعلم.

(٢١٥) ضعيف الإسناد: أخرجه الترمذي (٣٤٧٣) وإسناده ضعيف لكن له شواهد تحسنه.

(٢١٦)ذكره في كنز العمال (١/ ٤٥٤) رقم (١٥٩) ونسبه للطبراني عن ابن عمر.

(٢١٧)أخرجه ابن أبي الدنيا في كتابه المنامات ص (١٤٢) رقم (٢٣٩) بإسناد حسن إلى عبد العزيز ابن أبي رَوَّاد وهو من تابعي التابعين وكان رجلاً صالحًا قال عنه ابن المبارك: كان يتكلم ودموعه تسيل على خده. ا هـ إلا أنه رمي بالإرجاء وكانت وفاته سنة ١٥٩ هـ.

الملائكة: رب العالمين. وإذا قال: الحمد لله رب العالمين، قالت الملائكة: اللهم اغفر لعبدك، وإذا قال: سبحان الله. قالت الملائكة: وبحمده، وإذا قال: سبحان الله وبحمده. قالت الملائكة: اللهم اغفر لعبدك، وإذا قال: لا إله إلا الله. قالت الملائكة: اللهم اغفر لعبدك (٢١٨).

السابعة والستون أن الجبال والقفار تتباهى وتستبشر بمن يذكر الله عز وجل عليها. قال ابن مسعود: إن الجبل لينادي الجبل باسمه: أَمَرَّ بك اليوم أحد يذكر الله عز وجل؟ فإذا قال: نعم، استبشر. وقال عون بن عبد الله: إن البقاع لينادي بعضها بعضًا: يا جارتاه أَمَرَّ بك اليوم أحد يذكر الله؟ فقائلة: نعم، وقائلة: لا، (٢١٩) فقال الأعمش عن مجاهد: إن الجبل لينادي الجبل باسمه: يا فلان، هل مر بك اليوم ذاكر لله عز وجل؟ فمن قائل: لا، ومن قائل: نعم.

الثامنة والستون أن كثرة ذكر الله عز وجل أمان من النفاق، فإن المنافقين قليلو الذكر لله عز وجل، قال الله عز وجل في المنافقين: ﴿وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء: ١٤٢] وقال كعب: من أكثر ذكر الله عز وجل برئ من النفاق ولهذا- والله أعلم- ختم الله تعالى سورة المنافقين بقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ [المنافقون: ٩]. فإن في ذلك تحذيرًا من فتنة المنافقين الذين غفلوا عن ذكر الله عز وجل فوقعوا في النفاق. وسئل بعض الصحابة رضي الله عنهم عن الخوارج: منافقون هم؟ قال: لا، المنافقون لا يذكرون الله إلا قليلاً. فهذا من علامة النفاق قلة ذكر الله عز وجل، وكثرة ذكره أمان من النفاق، والله عز وجل أكرم من أن يبتلي قلبًا ذاكرًا بالنفاق، وإنما ذلك لقلوب غفلت عن ذكر الله عز وجل.

التاسعة والستون أن للذكر من بين الأعمال لذة لا يشبهها شيء، فلو لم يكن للعبد من ثوابه إلا اللذة الحاصلة للذاكر، والنعيم الذي يحصل لقلبه لكفى به، ولهذا سميت مجالس الذكر رياض الجنة، قال مالك بن دينار: وما تلذذ المتلذذون

(٢١٨) هذا من الإسرائيليات كما صرح به عبد الله بن عمرو بقوله: أجد في كتاب الله المنزل. ومعلوم أن عبد الله أصاب يوم اليرموك زاملتين من كتب أهل الكتاب فكان يحدث منهما.

(٢١٩) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (١/ ٤٠٢) رقم (٥٣٧، ٥٣٨) عن عون بن عبد الله عن أبيه عن عبد الله بن مسعود، وأخرج نحوه (١/ ٤٥٣) رقم (٦٩١) عن عون قال عبد الله. هكذا مهملاً، وعبد الله إما أن يكون ابن مسعود فيكون منقطعًا، وإما أن يكون أبي عون عبد الله بن عتبة بن مسعود ابن أخي عبد الله بن مسعود.

بمثل ذكر الله عز وجل (٢٢٠)، فليس شيء من الأعمال أخف مؤنة منه ولا أعظم لذة ولا أكثر فرحة وابتهاجًا للقلب.

السبعون أنه يكسو الوجه نضرة في الدنيا ونورًا في الآخرة، فالذاكرون أنضر الناس وجوهًا في الدنيا وأنورهم في الآخرة، ومن المراسيل عن النبي ﷺ قال: **«مَنْ قَالَ كُل يَوْم مِائَةَ مَرة: لا إِلَه إِلا اللهُ وَحْدَه لا شَرِيكَ لَه، لَهُ المُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَى كُل شَيءٍ قَدِيرٌ، أَتَى اللهَ تَعَالَى يَومَ القِيَامَةِ وَوَجْهُهُ أَشَدُ بَيَاضًا مِنَ القَمَرِ لَيلَةَ البَدْرِ»** (٢٢١).

الحادية والسبعون أن في دوام الذكر في الطريق والبيت والحضر والسفر والبقاع تكثيرًا لشهود العبد يوم القيامة، فإن البقعة والدار والجبل والأرض تشهد للذاكر يوم القيامة، قال تعالى: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا وَقَالَ ٱلْإِنسَٰنُ مَا لَهَا يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا﴾ [الزلزلة: ١-٥] فروى الترمذي في جامعه، من حديث سعيد المقبري عن أبي هريرة قال: قرأ رسول الله ﷺ هذه الآية: ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾ [الزلزلة: ٤] فقال: أتدرون ما أخبارها؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: **«فَإِنَّ أَخْبَارَهَا أَنْ تَشْهَدَ عَلَى كُلِّ عَبْدٍ أَوْ أَمَةٍ بِمَا عَمِلَ عَلَى ظَهرِهَا، أَنْ تَقُولَ: عَمِلَ كَذَا وَكَذَا يَوْمَ كَذَا وَكَذَا»** (٢٢٢). قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح. والذاكر لله عز وجل في سائر البقاع مكثر شهوده، ولعلهم أو أكثرهم أن يقبلوه يوم القيامة، يوم قيام الأشهاد وأداء الشهادات فيفرح ويغتبط بشهادتهم.

الثانية والسبعون أن في الاشتغال بالذكر اشتغالاً عن الكلام الباطل من الغيبة واللغو ومدح الناس وذمهم وغير ذلك، فإن اللسان لا يسكت ألبتة: فإما لسان ذاكر، وإما لسان لاغ، ولا بد من أحدهما، فهي النفس إن لم تشغلها بالحق شغلتك بالباطل، وهو القلب إن لم تسكنه محبة الله عز وجل سكنه محبة المخلوقين ولا بد، وهو اللسان إن لم تشغله بالذكر شغلك باللغو وما هو عليك ولا بد، فاختر لنفسك إحدى الخطتين، وأنزلها في إحدى المنزلتين.

---

(٢٢٠) أخرجه أبو نعيم في الحلية (٢/ ٣٥٨) عن مالك بن دينار بلفظ: ما تنعم المتنعمون بمثل ذكر الله عز وجل وهو صحيح إليه.

(٢٢١) ضعيف: أخرج الهيثمي نحوه في مجمع الزوائد (١٠/ ٨٦) من حديث أبي الدرداء ثم قال: رواه الطبراني وفيه عبد الوهاب بن الضحاك وهو متروك. ا هـ.

(٢٢٢) ضعيف الإسناد: أخرجه الترمذي (٣٣٦٤) وقال: حديث حسن صحيح غريب ا هـ. وفي إسناده يحيى بن أبي سليمان لين الحديث.

الثالثة والسبعون وهي التي بدأنا بذكرها وأشرنا إليها فنذكرها ههنا مبسوطة لعظيم الفائدة بها، وحاجة كل أحد بل ضرورته إليها، وهي أن الشياطين قد احتوشت العبد وهم أعداؤه فما ظنك برجل قد احتوشه أعداؤه المحنقون عليه غيظًا وأحاطوا به، وكل منهم يناله بما يقدر عليه من الشر والأذى، ولا سبيل إلى تفريق جمعهم عنه إلا بذكر الله عز وجل.

وفي هذا الحديث العظيم الشريف القدر الذي ينبغي لكل مسلم أن يحفظه، فنذكره بطوله لعموم فائدته وحاجة الخلق إليه، وهو حديث سعيد بن المسيب عن عبد الرحمن بن سمرة بن حبيب قال (٢٢٣): خرج علينا رسول الله ﷺ يومًا وكنا في صفة بالمدينة، فقام علينا فقال: «**إِنِّي رَأَيْتُ البَارِحَةَ عَجَبًا: رَأَيْتُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي أَتَاه مَلَكُ المَوْتِ لِيَقْبِضَ رَوْحِه، فَجَاءه بِرهُ بِوَالِدَيْه فَرَدّ مَلَكُ الموتِ عَنْهُ، وَرَأيتُ رَجُلًا مِنْ أُمتِي قَدْ بُسِط عَلَيْهِ عَذَابُ القَبْرِ، فَجَاءهُ وُضُوؤُه فَاسْتَنقَذَهُ مِنْ ذَلِكَ، وَرَأيتُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي قَدْ احْتَوَشَتْهُ** (٢٢٤) الشَّيَاطِينُ فَجَاءَهُ ذِكْرُ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ فَطَردَ الشَّيَاطِينَ عَنْهُ، وَرَأَيْتُ رَجُلاً مِنْ أُمَّتِي قَدْ احْتَوَشَتْهُ مَلائِكَةُ العَذابِ فَجَاءَتْهُ صَلاتُهُ فَاسْتَنْقَذَتْهُ مِنْ أَيْدِيهِمْ، وَرَأَيْتُ رَجُلاً مِنْ أُمَّتِي يَلْتَهِبُ - وَفِي رِوَايةٍ يَلْهَثُ - عَطَشًا، كُلَّمَا دَنَا مِنْ حَوْضٍ مُنِعَ وَطُرِدَ، فَجَاءَهُ صِيَامُ شَهْرِ رَمَضانَ فَأَسقَاه وَأَرْوَاهُ، وَرَأَيْتُ رَجُلاً مِنْ أُمَّتِي وَرَأَيْتُ النَّبِيينَ جُلُوسًا حَلَقًا حَلقًا كُلَّمَا دَنَا إِلى حَلَقَةٍ طُرِدَ، فَجَاءَه غُسْلُهُ مِنَ الجنَابَةِ فَأَخَذَ بِيَدِهِ فَأَقْعَدَهُ إِلَى جَنْبِي، وَرَأَيْتُ رَجُلاً مِنْ أُمَّتِي بَيْنَ يَدَيهِ ظُلْمَةٌ وَمِنْ خَلْفِهِ ظُلْمَةٌ وَعَنْ يَمِينِهِ ظُلْمَةٌ وَعَنْ يَسَارِهْ ظُلْمَةٌ وَمِنْ فَوْقِهِ ظُلْمَةٌ وَمِنْ تَحْتِهِ ظُلْمَةٌ وَهُوَ مُتَحَيِرٌ فِيهَا، فَجَاءَهُ حَجُّهُ وَعُمْرَتُهُ فَاسْتَخرَجَاهُ مِنَ الظُّلْمَةِ وَأَدْخَلاهُ فِي النُور. وَرَأَيْتُ رَجُلاً مِنْ أُمَّتِي يَتقي بِيَدِه وَهَجَ النَّارِ وَشَرَرُهُ، فَجَاءَتْهُ صَدَقَتُهُ فَصَارَتْ سُتْرَة بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّارِ وَظَلَّلَتْ عَلَى رَأْسِهِ. وَرَأَيْتُ رَجُلاً مِنْ أُمَّتِي يُكَلِّمُ المُؤْمِنِينَ وَلا يُكَلِمُونَهُ فَجَاءَتْهُ صِلَتُهُ لِرَحِمِهِ فَقَالَتْ: يَا مَعْشَر المُسْلِمِين، إِنَّهُ كَانَ وَصُولاً لِرَحِمِه فَكَلِّمُوهُ، فَكَلَّمَهُ المُؤْمِنُونَ وَصَافَحُوهُ وَصَافَحهُمْ. وَرَأَيْتَ رَجُلاً مِنْ أُمَّتِي قَدْ احْتَوَشَتْهُ الزَّبَانِيَة، فَجَاءَهُ أَمْرُهُ بِالمَعْرُوفِ وَنَهْيُهُ عَنَ المُنْكَر فَاسْتَنقَذَهُ مِنْ أَيْدِيهِم وأَدخَلهُ فِي مَلائِكَة الرَّحمةِ. وَرَأَيْتُ رَجُلاً مِنْ أُمَّتِي جَاثِيًا عَلَى رُكْبَتَيهِ وَبَينَهُ وَبَينَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ

(٢٢٣) وقع بالأصول عبد الرحمن بن سمرة بن جندب وهو تحريف من النساخ وخلط بين الصحابي سمره بن جندب والصحابي عبد الرحمن بن سمرة بن حبيب.
(٢٢٤) احتوشته: أحاطت به من كل جانب.

حِجَابٌ، فَجَاءَهُ حُسْنُ خُلُقِه فَأَخَذَ بِيَدِه فَأَدْخَلَهُ عَلَى الله عَزَّ وَجَلَّ، وَرَأَيْتُ رَجُلاً مِنْ أُمَّتِي قَدْ ذَهَبَتْ صَحِيفَتهِ مِنْ قِبَلِ شِمَالِهِ، فَجَاءَهُ خَوْفُهُ مِنَ الله عَزَّ وَجَلَّ فَأَخَذَ صَحِيفَتِهِ فَوضَعَهَا فِي يَمِينِهِ. وَرَأَيْتُ رَجُلاً مِنْ أُمَّتِي خَفَّ مِيزَانهِ فَجَاءَهُ أَفْرَاطُهُ فَثَقَّلُوا مِيزَانِهِ (٢٢٥). وَرَأَيْتُ رَجُلاً مِنْ أُمَّتِي قَائِمًا عَلَى شَفِير جَهَنَم فَجَاءَهُ حُبَّه في الله عَزَّ وَجَلَّ فَاسْتَنقَذَهُ مِنْ ذَلِك ومَضَى. وَرَأَيْتُ رَجُلاً مِن أُمَّتِي قَدْ أَهوَى فِي النَّارِ، فَجَاءَتْه دَمْعَتُه الَّتِي بَكَى مِنْ خَشْيَةِ اللهِ فَاسْتَنقَذَتْه مِنْ ذَلِكَ. وَرَأَيْتُ رَجُلاً مِنْ أُمَّتِي قَائِمًا عَلَى الصِّرَاطِ يَرعَدْ كَمَا تَرْعَدُ السَّعْفَةُ فِي رِيح عَاصِفٍ، فَجَاءَهُ حُسْنُ ظَنِّهِ بِاللهِ عَزَّ وَجلَّ فَسكَّنَ رَعْدَتَهُ وَمَضى، وَرَأَيْتُ رجُلاً مِنْ أُمَّتِي يَزْحَفُ عَلَى الصِّرَاطِ وَيَحبُو أَحْيَانًا، فَجَاءَتْهُ صَلاتُه عَلَيَّ فَأَقَامَتْهُ عَلَى قَدَمَيْهِ وَأَنقَذْتهُ. وَرَأَيْتُ رَجُلاً مِنْ أُمَّتِي انْتَهَى إِلَى أَبْوابِ الجَنَةِ فَغُلِّقَتْ الأَبْوَابُ دُونَهُ، فَجَاءَتهُ شَهَادَةُ أَنْ لا إِلَه إلاَّ الله فَفَتَحَتْ لَهُ الأَبْوَابَ وَأَدْخَلَتْهُ الجَّنَة». رواه الحافظ أبو موسى المديني في كتاب (الترغيب في الخصال المنجية، والترهيب من الخلال المردية) وبنى كتابه عليه وجعله شرحًا له، وقال: هذا حديث حسن جدًا رواه عن سعيد بن المسيب عمرو بن آزر وعلي بن زيد بن جدعان وهلال أبو جبلة (٢٢٦).

وكان شيخ الإسلام ابن تيمية قدس الله روحه يعظم شأن هذا الحديث، وبلغني عنه أنه كان يقول: شواهد الصحة عليه.

والمقصود منه قوله ﷺ: **«ورأيت رجلًا من أمتي احتوشته الشياطين، فجاءه ذكر الله عز وجل فطرد الشياطين عنه»** فهذا مطابق لحديث الحارث الأشعري الذي شرحناه في هذه الرسالة وقوله فيه: **«وَآمُرُكُمْ أَنْ تَذْكُرُوا اللَّهَ تَعَالى، فَإِنَّ مَثَلَ ذَلِكَ كَمَثَلِ رَجُلٍ خَرَجَ الْعَدُوُّ فِي أَثَرِهِ سِرَاعًا حَتَّى إِذَا أَتَى عَلَى حِصْنٍ حَصِينٍ فَأَحْرَزَ نَفْسَهُ مِنْهُمْ»**. فكذلك الشيطان لا يحرز العباد أنفسهم منه إلا بذكر الله عز

(٢٢٥) أفراطه: جمع فَرَط وهو ما تقدم الإنسان من أجر أو عمل، ويقال في الطفل الصغير إذا مات فَرَط؛ لأن أبويه يؤجران به وقد تقدمهما.

(٢٢٦) علق ابن القيم على هذا الحديث في كتابه الروح ص (١١٢) بقوله: راوي هذا الحديث عن ابن المسيب: هلال أبو حيلة مدني لا يعرف بغير هذا الحديث. ذكره ابن أبي حاتم عن أبيه. هكذا ذكره الحاكم أبو أحمد، والحاكم أبو عبد الله: أبو جبل بلا هاء. وحكياه عن مسلم. ورواه عنه الفرج بن فضالة وهو وسط في الرواية ليس بالقوي ولا المتروك، ورواه عنه بشر بن الوليد الفقيه المعروف بأبي الخطيب. وكان حسن المذهب جميل الطريقة. وسمعت شيخ الإسلام يعظم أمر هذا الحديث، وقال: أصول السنة تشهد له، وهو من أحسن الأحاديث. ا هـ. وضعفه الألباني في ضعيف الجامع (٢٠٨٥).

وجل. وفي الترمذي عن أنس بن مالك قال: قال: رسول الله ﷺ: «**مَنْ قَالَ – يعني إِذَا خَرَجَ مِنْ بَيْتِهِ – بِسْمِ اللَّهِ، تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ، لا حَوْلَ وَلا قُوَّةَ إلا بِاللَّهِ، يُقَالُ لَهُ: كُفِيتَ وَهُدِيتَ وَوُقِيتَ وَتَنَحَّى عَنْهُ الشَّيْطَانُ. فَيَقُولُ لَهُ شَيْطَانٌ آخَرُ: كَيْفَ لَكَ بِرَجُلٍ قَدْ هُدِيَ وَكُفِيَ وَوُقِيَ**» (٢٢٧). رواه أبو داود والنسائي والترمذي وقال: حديث حسن.

وقد تقدم قوله ﷺ: «**مَنْ قَالَ فِي يَوم مِائَةَ مَرَّةٍ: لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ؛ كَانَتْ لَهُ حِرْزًا مِنَ الشَّيْطَانِ حَتَّى يُمْسِيَ**» (٢٢٨).

وذكر سفيان عن أبي الزبير عن عبد الله بن ضمرة عن كعب قال: إذا خرج الرجل من بيته فقال: بسم الله. قال الملك: هديت، وإذا قال: توكلت على الله. قال الملك: كفيت، وإذا قال: لا حول ولا قوة إلا بالله. قال: الملك حفظت. فيقول الشياطين بعضهم لبعض: ارجعوا ليس لكم عليه سبيل، كيف لكم بمن كفي وهدي وحفظ ؟.

وقال أبو خلاد المصري: من دخل في الإسلام دخل في حصن، ومن دخل المسجد فقد دخل في حصنين، ومن جلس في حلقة يذكر الله عز وجل فيها فقد دخل في ثلاثة حصون، وقد روى الحافظ أبو موسى في كتابه من حديث أبي عمران الجوني عن أنس عن النبي ﷺ قال: «**إِذَا وَضَعَ العَبْدُ جَنْبَهُ عَلَى فِرَاشِهِ فَقَالَ: بِسْمِ اللهِ، وَقَرَأَ فَاتِحَةَ الكِتَابِ أَمِنَ مِنْ شَرِ الجِنِ وَالإِنْسِ وَمِنْ كُل شَيءٍ**» (٢٢٩).

وفي صحيح البخاري عن محمد بن سيرين عن أبي هريرة قال: ولاّني رسول الله ﷺ زكاة رمضان أن أحتفظ بها، فأتاني آت فجعل يحثو من الطعام، فأخذته، فقال: دعني فإني لا أعود، فذكر الحديث وقال: فقال له في الثالثة: أعلمك كلمات ينفعك الله بهن، إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي من أولها

(٢٢٧) **حسن**: أخرجه أبو داود (٥٠٩٥) والترمذي (٣٤٣٧) وقال: حديث حسن صحيح غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه ا هـ. وهو حديث حسن.
(٢٢٨) **صحيح**: أخرجه البخاري (٦٤٠٣) ومسلم (٢٦٩١ فؤاد) (٦٧١٦ قلعجي).
(٢٢٩) أخرجه البزار في مسنده (كشف الأستار ٤/ ٢٦ رقم ٣١٠٩) من طريق إبراهيم بن سعيد الجوهري ثنا غسان بن عبيد عن أبي عمران الجوني عن أنس عن النبي به. أما إبراهيم بن سعيد فله ترجمة في سير الذهبي وهو ثقة وأما غسان فإن كان هو الأزدي فضعيف وإن كان غيره فلا أعرفه.

إلى آخرها فإنه لا يزال عليك من الله حافظ ولا يقربك شيطان حتى تصبح، فخلى سبيله، فأصبح فأخبر النبي ﷺ بقوله فقال: «**صَدَقَكَ وَهُوَ كَذُوبٌ**» (٢٣٠).

وذكر الحافظ أبو موسى من حديث أبي الزبير عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ: «**إِذَا أَوَى الإِنْسَانُ إِلَى فِرَاشِهِ ابْتَدَرَهُ مَلَكٌ وَشَيْطَانٌ، فَيَقُولُ المَلَكُ: اخْتِمْ بِخَيْرٍ، وَيَقُولُ الشَّيْطَانُ: اخْتِمْ بِشَرٍ. فَإِذَا ذَكَرَ الله تَعَالَى حَتَّى يَغْلبَه - يَعْنِي النَّومَ - طَرَدَ المَلِكُ الشَّيطَانَ وَبَاتَ يَكْلَؤُهُ، فَإِذَا اسْتَيقَظَ ابْتَدَرَهُ مَلَكٌ وَشَيْطَانٌ، فَيَقُولُ المَلَكُ: افْتَحْ بِخَيرٍ، وَيَقُولُ الشَّيطَانُ: افْتحْ بِشرٍ، فَإِنْ قَالَ: الحَمْدُ لله الَّذي أَحيا نَفْسِي بَعْدَ مَوْتِهَا وَلَم يُمِتْهَا فِي مَنَامِهَا، الحَمْدُ لله الَّذي يُمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيهَا المَوتَ وَيُرْسِلُ الأُخْرَى إِلَى أَجلٍ مُسَمًّى، الحمدُ للهِ الَّذي يُمْسِكُ السَّموات والأرض أَنْ تَزولَا وَلِئِنْ زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ، الحمدُ للهِ الَّذي يُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ ، طَرَدَ المَلِكُ الشَّيطانَ وَظَلَّ يَكْلَؤُهُ**» (٢٣١).

وفي الصحيحين من حديث سالم بن أبي الجعد عن كريب عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «**أَمَا إِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا أَتَى أَهْلَهُ قَالَ: بِسْمِ اللَّهِ، اللَّهُمَّ جَنِّبْنَا الشَّيطَانَ، وَجَنِّبْ الشَّيطَانَ مَا رَزَقْتَنَا، فَيُولَدُ بَيْنَهُمَا وَلَدٌ لا يَضُرَّهُ الشَّيطَانُ أَبَدًا**» (٢٣٢).

وذكر الحافظ أبو موسى عن الحسن بن علي قال: أنا ضامن لمن قرأ هذه العشرين الآية أن يعصمه الله تعالى من كل شيطان ظالم، ومن كل شيطان مريد، ومن كل سبع ضار، ومن كل لص عاد: آية الكرسي وثلاث آيات من الأعراف ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ [الأعراف: ٥٤] وعشرًا من الصافات وثلاث آيات من الرحمن ﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ﴾ [الرحمن: ٣٣] وخاتمة سورة الحشر ﴿لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا﴾ [الحشر: ٢١]، وقال محمد بن أبان: بينما رجل يصلي في المسجد

(٢٣٠) أخرجه البخاري معلقًا بصيغة الجزم (٤/ ٤٨٧) رقم (٢٣١١) كتاب الوكالة باب إذا وكل رجلاً فترك الوكيل شيئًا فأجازه الموكل فهو جائز. وأخرج الترمذي نحوه (٢٨٨٩) من حديث أبي أيوب وقال: حديث حسن غريب وفي الباب عن أبي بن كعب. ا هـ.

(٢٣١) رجاله ثقات: أخرجه الحاكم في المستدرك (١/ ٤٥٨) والنسائي في السنن الكبرى (٦/ ٢١٣) رقم (١٠٦٨٩، ١٠٦٩٠) بإسناد حسن، وأبو نعيم في الحلية (٦/ ٢٦١) وابن حبان برقم (٢٣٦٢) وإنما يخشى فيه من تدليس أبي الزبير.

(٢٣٢) صحيح: أخرجه البخاري (٥١٦٥) ومسلم (١٤٣٤ فؤاد) (٣٤٧٠ قلعجي).

إذا هو بشيء إلى جنبه فجفل منه فقال: ليس عليك مني بأس إنما جئتك في الله تعالى، إئت عروة فسله: ما الذي يتعوذه ؟ يعني من إبليس الأباليس. قال: قل آمنت بالله العظيم وحده، وكفرت بالجبت والطاغوت، واعتصمت بالعروة الوثقى لا انفصام لها، والله سميع عليم. حسبي الله وكفي، سمع الله لمن دعا، ليس وراء الله منتهى.

وقال بشر بن منصور عن وهيب بن الورد قال: خرج رجل إلى الجبانة بعد ساعة من الليل، قال: فسمعت حسًا - أو صوتًا - شديدًا، وجيء بسرير حتى وضع، وجاء شيء حتى جلس عليه. قال: واجتمعت إليه جنوده، ثم صرخ فقال: من لي بعروة بن الزبير؟ فلم يجبه أحد حتى تتابع ما شاء الله من الأصوات، فقال واحد: أنا أكفيكه، قال: فتوجه نحو المدينة وأنا ناظر، ثم أوشك الرجعة فقال: لا سبيل إلى عروة ثم، وقال: ويلكم وجدته يقول كلمات إذا أصبح وإذا أمسى فلا نخلص إليه معهن. قال الرجل: فلما أصبحت قلت لأهلي جهزوني، فأتيت المدينة فسألت عنه حتى دللت عليه، فإذا بشيخ كبير، فقلت: شيئًا تقوله إذا أصبحت وإذا أمسيت؟ فأبى أن يخبرني، فأخبرته بما رأيت وما سمعت، فقال: ما أدري، غير أني أقول إذا أصبحت: آمنت بالله العظيم وكفرت بالجبت والطاغوت واستمسكت بالعروة الوثقى التي لا انفصام لها والله سميع عليم. وإذا أصبحت قلت ثلاث مرات، وإذا أمسيت قلت ثلاث مرات.

وذكر أبو موسى عن مسلم البطين قال: قال جبريل للنبي ﷺ: إن عفريتًا من الجن يكيدك، فإذا أويت إلى فراشك فقل: **«أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّاتِ الَّتِي لا يُجَاوِزُهُنَّ بَرٌّ وَلا فَاجِرٌ مِنْ شَرِّ مَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا، وَمِنْ شَرِّ مَا ذَرَأَ فِي الأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا، وَمِنْ شَرِّ فِتَنِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَمِنْ شَرِّ طَوَارِقِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إلا طَارِقًا يَطْرُقُ بِخَيْرٍ يَا رَحْمَنُ»** [(٢٣٣)].

وقد ثبت في الصحيح أن الشيطان يهرب من الأذان، قال سهل بن أبي صالح: أرسلني أبي إلى بني حارثة ومعي غلام - أو صاحب - لنا فنادى مناد من حائط باسمه، فأشرف الذي معي على الحائط فلم ير شيئًا، فذكرت ذلك لأبي فقال: لو

ـناده ضعيف: أخرجه بنحوه مالك في الموطأ ص (٩٥٠) كتاب الشعر باب ما يؤمر به من التعوذ. مرسلاً. وأخرجه من طريقه النسائي في الكبرى (٦/٢٣٧) رقم (١٠٧٩٣) وأخرجه النسائي في الكبرى (١٠٧٩٢) متصلاً من حديث عبد الله بن مسعود وفي إسناده ضعف.

شعرت أنك تلقى هذا لم أرسلك، ولكن إذا سمعت صوتًا فناد بالصلاة، فإني سمعت أبا هريرة يحدث عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**إِنَّ الشَّيطَانَ إِذَا نُودِيَ بِالصَّلاةِ وَلَّى وَلَهُ حُصَاصٌ**». وفي رواية: «**إِذَا سَمِعَ النِّدَاءَ وَلَّى وَلَهُ ضُرَاطٌ ؛ حَتَّى لا يَسْمَعَ التَّأْذِينَ. . .**»(٢٣٤) الحديث.

وذكر الحافظ أبو موسى من حديث أبي رجاء عن أبي بكر الصديق قال: قال رسول الله ﷺ: «**اسْتَكْثِرُوا مِنْ لا إِلَهَ إِلا الله وَالاستِغْفَارَ، فَإِنَّ الشَّيطَانَ قَالَ: قَدْ أَهْلَكْتُهُم بِالذنُوبِ وَأَهْلَكُونِي بِقَولِ: لا إِلَهَ إِلا اللهُ وَالاستِغْفَار، فَلَمَّا رَأَيتُ ذَلِكَ مِنْهُمْ أَهْلَكْتُهُم بِالأَهْوَاءِ حَتَى يَحْسَبُونَ أَنهُم مُهْتَدُونَ فَلا يَسْتَغْفِرُونَ**»(٢٣٥).

وذكر أيضًا عن إبراهيم بن الحكم عن أبيه عن عكرمة قال: بينا رجل مسافر إذ مر برجل نائم ورأى عنده شيطانين، فسمع المسافر أحد الشيطانين يقول لصاحبه: اذهب فأفسد على هذا النائم قلبه، فلما دنا منه رجع إلى صاحبه فقال: لقد نام على آية ما لنا إليه سبيل، فذهب إلى النائم فلما دنا منه رجع قال: صدقت. فذهب. ثم إن المسافر أيقظه وأخبره بما رأى من الشيطانين فقال: أخبرني على أي آية نمت، قال: على هذه الآية ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ **[الأعراف: ٥٤]**.

وقال أبو النضر هاشم بن القاسم: كنت أرى في داري.(٢٣٦)

فقيل: يا أبا النضر تحول عن جوارنا. قال: فاشتد ذلك عليَّ، فكتبت إلى الكوفة إلى ابن إدريس والمحاربي وأبي أسامة، فكتب إليَّ المحاربي: إن بئرًا بالمدينة كان يقطع رشاؤها، فنزل بهم ركب، فشكوا ذلك إليهم، فدعوا بدلو من ماء ثم تكلموا بهذا الكلام فصبوه في البئر فخرجت نار من البئر فطفئت على رأس البئر.

---

(٢٣٤) أخرج مسلم الروايتين (٣٨٩ فؤاد) (٨٣٢، ٨٣٤ قلعجي) من حديث أبي هريرة. والحُصاص: الضراط، وقيل: شدة العدو.

(٢٣٥) **موضوع**: أخرجه أبو يعلى (١/ ١٢٣) رقم (١٣٦) من طريق عثمان بن مطر ثنا عبد الغفور بإسناده عن أبي بكر. وعثمان وشيخه ضعيفان. انظر ضعيف الجامع (٣٧٩٥).

(٢٣٦) وهاشم بن القاسم بن مسلم الليثي مولاهم أبو النضر البغدادي ولقبه قيصر من كبار الحفاظ توفي سنة ٢٠٧ هـ وقوله كنت أرى في داري يعني: رئيسًا من الجن فقالوا لي. وليس في الجملة سقط.

قال أبو النضر: فأخذت تورًا من ماء(٢٣٧)، ثم تكلمت فيه بهذا الكلام، ثم تتبعت به زوايا الدار فرششته، فصاحوا بي: أحرقتنا، نحن نتحول عنك، وهو: بسم الله، أمسينا بالله الذي ليس منه شيء ممتنع، وبعزة الله التي لا ترام ولا تضام، وبسلطان الله المنيع نحتجب، وبأسمائه الحسنى كلها عائذ من الأبالسة، ومن شر شياطين الإنس والجن، ومن شر معلن أو مسر، ومن شر ما يخرج بالليل ويكمن بالنهار، ويكمن بالليل ويخرج بالنهار، ومن شر ما خلق وذرأ وبرأ، ومن شر إبليس وجنوده، ومن شر كل دابة أنت آخذ بناصيتها إن ربي على صراط مستقيم. أعوذ بالله بما استعاذ به موسى وعيسى وإبراهيم الذي وفى، من شر ما خلق وذرأ وبرأ، ومن شر إبليس وجنوده، ومن شر ما يبغي. أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمن الرحيم ﴿وَالصَّٰٓفَّٰتِ صَفًّا فَالزَّٰجِرَٰتِ زَجْرًا فَالتَّٰلِيَٰتِ ذِكْرًا إِنَّ إِلَٰهَكُمْ لَوَٰحِدٌ رَّبُّ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ الْمَشَٰرِقِ إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَآءَ الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَٰنٍ مَّارِدٍ لَّا يَسَّمَّعُونَ إِلَى الْمَلَإِ الْأَعْلَىٰ وَيُقْذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ دُحُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ ثَاقِبٌ﴾[الصافات: ١-١٠].

فهذا بعض ما يتعلق بقولهﷺ لذلك العبد: «**يُحْرِزُ نَفْسَهُ مِنَ الشَّيْطَانِ بِذِكْرِ اللَّهِ**».

* * *

ولنذكر فصولًا نافعة تتعلق بالذكر تكميلًا للفائدة:

الفصل الأول: الرابعة والسبعون:

الذكر نوعان:

أحدهما: ذكر أسماء الرب تبارك وتعالى وصفاته والثناء عليه بهما وتنزيهه وتقديسه عما لا يليق به تبارك وتعالى.

وهذا أيضًا نوعان:

أحدهما): إنشاء الثناء عليه بها من الذاكر، وهذا النوع هو المذكور في الأحاديث، نحو: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر، وسبحان الله

(٢٣٧) تورًا من ماء. تار المار تورًا: أي جرى. والمقصود أنه أخذ شيئًا من الماء في وعاء.

وبحمده، ولا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، ونحو ذلك. فأفضل هذا النوع أجمعه للثناء وأعمه نحو سبحان الله عدد خلقه، فهذا أفضل من مجرد سبحان الله، وقولك: الحمد لله عدد ما خلق في السماء وعدد ما خلق في الأرض وعدد ما بينهما وعدد ما هو خالق، أفضل من مجرد قولك الحمد لله. وهذا في حديث جويرية أن النبي ﷺ قال لها: «**لَقَدْ قُلْتُ بَعْدَكِ أَرْبَعَ كَلِمَاتٍ ثَلاثَ مَرَّاتٍ لَوْ وُزِنَتْ بِمَا قُلْتِ مُنْذُ الْيَوْمِ لَوَزَنَتْهُنَّ: سُبْحَانَ اللَّهِ عَدَدَ خَلْقِهِ، سُبْحَانَ اللَّهِ رِضَا نَفْسِهِ، سُبْحَانَ اللَّهِ زِنَةَ عَرْشِهِ، سُبْحَانَ اللَّهِ مِدَادَ كَلِمَاتِهِ**» (٢٣٨) رواه مسلم.

وفي الترمذي وسنن أبي داود عن سعد بن أبي وقاص أنه دخل مع رسول الله ﷺ على امرأة بين يديها نوى أو حصى تسبح بها فقال: «**أُخْبِرُكِ بِمَا هُوَ أَيْسَرُ عَلَيْكِ مِنْ هَذَا أَوْ أَفْضَلُ**؟». فَقَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ عَدَدَ مَا خَلَقَ فِي السَّمَاءِ، وَسُبْحَانَ اللَّهِ عَدَدَ مَا خَلَقَ فِي الأَرْضِ، وَسُبْحَانَ اللَّهِ عَدَدَ مَا خَلَقَ بَيْنَ ذَلِكَ، وَسُبْحَانَ اللَّهِ عَدَدَ مَا هُوَ خَالِقٌ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ مِثْلُ ذَلِكَ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ مِثْلُ ذَلِكَ، وَلا إِلَهَ إلا اللَّهُ مِثْلُ ذَلِكَ، وَلا حَوْلَ وَلا قُوَّةَ إلا بِاللَّهِ مِثْلُ ذَلِكَ» (٢٣٩).

الخامسة والسبعون :

الثاني: الخبر عن الرب تعالى بأحكام أسمائه وصفاته، نحو قولك: الله عز وجل يسمع أصوات عباده ويرى حركاتهم، ولا تخفى عليه خافية من أعمالهم، وهو أرحم بهم من آبائهم وأمهاتهم، وهو على كل شيء قدير، وهو أفرح بتوبة عبده من الفاقد راحلته ونحو ذلك. وأفضل هذا النوع الثناء عليه بما أثنى به على نفسه، وبما أثنى به عليه رسول الله ﷺ من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تشبيه ولا تمثيل، وهذا النوع أيضًا ثلاثة أنواع: حمد، وثناء، ومجد، فالحمد لله الإخبار عنه بصفات كماله سبحانه وتعالى مع محبته والرضاء به، فلا يكون المحب الساكت حامدًا، ولا المثني بلا محبة حامدًا حتى تجتمع له المحبة والثناء، فإن كرر المحامد شيئًا بعد الشيء كانت ثناء، فإن كان المدح بصفات الجلال والعظمة

---

(٢٣٨) صحيح: أخرجه مسلم (٢٧٢٦ فؤاد) (٦٧٨٢ قلعجي) من حديث جويرية بنت الحارث رضي الله عنها مرفوعًا.

(٢٣٩) ضعيف: أخرجه أبو داود (١٥٠٠) والترمذي (٣٥٧٩) وقال: حسن غريب ا هـ. وفي إسناده خريمة عن عائشة بنت سعد بن أبي وقاص قال عنه ابن حجر: لا يعرف. ا هـ.

والكبرياء والملك كان مجدًا، وقد جمع الله تعالى لعبده الأنواع الثلاثة في أول الفاتحة، فإذا قال العبد: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ قال الله تعالى: حمدني عبدي، وإذا قال: ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ قال: أثنى عليَّ عبدي، وإذا قال: ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ قال: مجدني عبدي (٢٤٠).

السادسة والسبعون

النوع الثاني: من الذكر ذكر أمره ونهيه وأحكامه، وهو أيضًا نوعان:

أحدهما): ذكره بذلك إخبارًا عنه بأنه أمر بكذا ونهى عن كذا وأحب كذا وسخط كذا ورضي كذا.

والثاني: ذكره عند أمره فيبادر إليه، وعند نهيه فيهرب منه، فذكر أمره ونهيه شيء، وذكره عند أمره ونهيه شيء آخر، فإذا اجتمعت هذه الأنواع للذاكر فذكره أفضل الذكر وأجله وأعظمه.

فائدة: فهذا الذكر من الفقه الأكبر وما دونه أفضل الذكر إذا صحت فيه النية.

ومن ذكره سبحانه وتعالى ذكر آلائه وإنعامه وإحسانه وأياديه ومواقع فضله على عبيده، وهذا أيضًا من أجل أنواع الذكر.

فهذه خمسة أنواع وهي تكون بالقلب واللسان تارة، وذلك أفضل الذكر. وبالقلب وحده تارة، وهي الدرجة الثانية، وباللسان وحده تارة، وهي الدرجة الثالثة. فأفضل الذكر ما تواطأ عليه القلب واللسان، وإنما كان ذكر القلب وحده أفضل من ذكر اللسان وحده؛ لأن ذكر القلب يثمر المعرفة ويهيج المحبة ويثير الحياء ويبعث على المخافة ويدعو إلى المراقبة ويزع عن التقصير في الطاعات والتهاون في المعاصي والسيئات، وذكر اللسان وحده لا يوجب شيئًا من هذه الآثار، وإن أثر شيئًا منها فثمرته ضعيفة.

---

(٢٤٠) روى مسلم (٣٩٥ فؤاد) (٨٥٣ قلعجي) وأبو داود (٨٢١) والترمذي (٢٩٦٢) والنسائي (٢/ ١٣٥) وابن ماجه (٣٧٨٤) عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «قال الله تعالى: قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين ولعبدي ما سأل فإذا قال العبد: الحمد لله رب العالمين قال الله تعالى: حمدني عبدي. وإذا قال: الرحمن الرحيم. قال الله تعالى: أثنى علي عبدي. وإذا قال: مالك يوم الدين: قال: مجدني عبدي، فإذا قال: إياك نعبد وإياك نستعين قال: هذا بيني وبين عبدي ولعبدي ما سأل. فإذا قال: اهدنا الصراط المستقيم. . . ولا الضالين. قال: هذا لعبدي ولعبدي ما سأل».

الفصل الثاني
الذكر أفضل من الدعاء

السابعة والسبعون الذكر ثناء على الله عز وجل بجميل أوصافه وآلائه وأسمائه والدعاء سؤال العبد حاجته. فأين هذا من هذا ؟.

ولهذا جاء في الحديث: «**مَنْ شَغَلَهُ ذِكْرِي عَنْ مَسْأَلَتِي أَعْطَيْتُهُ أَفْضَلَ مَا أُعْطِي السَّائِلِينَ**» (٢٤١).

ولهذا كان المستحب في الدعاء أن يبدأ الداعي بحمده لله والثناء عليه بين يدي حاجته، ثم يسأله حاجته، كما في حديث فضالة بن عبيد، أن رسول الله ﷺ سمع رجلاً يدعو في صلاته لم يحمد الله تعالى، ولم يصل على النبي ﷺ فقال رسول الله ﷺ: «**عَجَّلَ هَذا**». ثم دعاه فقال له أو لغيره: «**إِذَا صَلَّى أَحَدُكُمْ فَلْيَبْدَأْ بِتَمجِيدِ اللَّهِ وَالثَّنَاءِ عَلَيْهِ، ثُمَّ لْيُصَلِّ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ**، ثُمَّ يَدْعُو بَعْدُ بِمَا شَاءَ» (٢٤٢). رواه الإمام أحمد والترمذي وقال: حديث حسن صحيح. ورواه الحاكم في صحيحه.

وهكذا دعاء ذي النون عليه السلام قال فيه النبي ﷺ: «**دَعْوَةُ أَخِي ذِي النُّونِ مَا دَعَا بِها مَكْرُوبٌ إلا فَرَّجَ اللهُ كُرْبَتَه**: ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ » (٢٤٣).

وفي الترمذي «**دَعْوَةُ أَخي ذِي النُّونِ إِذْ دَعَا وَهُوَ فِي بَطْنِ الْحُوتِ** ﴿أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٧] **فَإِنَّهُ لَمْ يَدْعُ بِهَا مُسْلِمٌ قَطُّ إلا اسْتَجَابَ اللَّهُ لَهُ**» (٢٤٤).

وهكذا عامة الأدعية النبوية على قائلها أفضل الصلاة والسلام، ومنه قوله ﷺ في دعاء الكرب: «**لا إِلَهَ إلا اللَّهُ الْحَلِيمُ الْعَظِيمُ، لا إِلَهَ إلا اللَّهُ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ،**

(٢٤١) **ضعيف**: أخرجه الترمذي (٢٩٣٥) وإسناده ضعيف فيه عطية العوفي.
(٢٤٢) **صحيح**: أخرجه أبو داود (١٤٨١) والترمذي (٣٤٨٨) وقال: حديث حسن صحيح اهـ والنسائي (٣/ ٤٤) وأحمد (٦/ ١٨) والشك في قوله: فقال له أو لغيره من أحد رواة الحديث. والحديث صحيح.
(٢٤٣) **ضعيف بهذا اللفظ**: أخرجه بهذا اللفظ ابن السني في عمل اليوم والليلة ص (١٢٤) برقم (٣٤٣) وفي إسناده عمرو بن الحصين متروك. والصحيح رواية الترمذي.
(٢٤٤) **صحيح**: أخرجه الترمذي (٣٥١٦) وأحمد (١/ ١٧٠) وهو حديث صحيح.

لا إِلَهَ إلا اللَّهُ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَرَبُّ الأَرْضِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ» (٢٤٥).

ومنه حديث بريدة الأسلمي الذي رواه أهل السنن وابن حبان في صحيحه أن رسول الله ﷺ سمع رجلاً يدعو وهو يقول: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِأَنِّي أَشْهَدُ أَنَّكَ أَنْتَ اللَّهُ لا إِلَهَ إلا أَنْتَ الأَحَدُ الصَّمَدُ الَّذِي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ**». فقال: «**لَقَدْ دَعَا سَأَلَ اللَّهَ بِاسْمِهِ الأَعْظَمِ الَّذِي إِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ وَإِذَا سُئِلَ بِهِ أَعْطَى**» (٢٤٦).

وروى أبو داود والنسائي من حديث أنس أنه كان مع النبي ﷺ جالسًا ورجل يصلي ثم دعا: اللهم إني أسألك بأن لك الحمد، لا إله إلا أنت المنان بديع السموات والأرض، يا ذا الجلال والإكرام، يا حي يا قيوم. فقال النبي ﷺ: «**لقد دعا الله باسمه الأعظم الذي إذا دعي به أجاب، وإذا سئل به أعطى**» (٢٤٧).
فأخبر النبي ﷺ أن الدعاء يستجاب إذا تقدمه هذا الثناء والذكر، وأنه اسمه الأعظم فكان ذكر الله عز وجل والثناء عليه أنجح ما طلب به العبد حوائجه.

وهذه فائدة أخرى من فوائد الذكر والثناء، أنه يجعل الدعاء مستجابًا. فالدعاء الذي تقدمه الذكر والثناء أفضل وأقرب إلى الإجابة من الدعاء المجرد، فإذا انضاف إلى ذلك إخبار العبد بحاله ومسكنته وافتقاره واعترافه، كان أبلغ في الإجابة وأفضل، فإنه يكون قد توسل المدعو بصفات كماله وإحسانه وفضله، وعرض بل صرح بشدة حاجته وضرورته وفقره ومسكنته، فهذا المقتضى منه، وأوصاف المسئول مقتضى من الله، فاجتمع المقتضى من السائل والمقتضى من المسئول في الدعاء، وكان أبلغ وألطف موقعًا وأتم معرفة وعبودية.

وأنت ترى في المشاهد - ولله المثل الأعلى - أن الرجل إذا توسل إلى من يريد معروفه بكرمه وجوده وبره وذكر حاجته هو وفقره ومسكنته كان أعطف لقلب المسئول وأقرب لقضاء حاجته. فإذا قال له: أنت جودك قد سارت به الركبان، وفضلك كالشمس لا تنكر ونحو ذلك، وقد بلغت بي الحاجة والضرورة مبلغًا لا

(٢٤٥) **صحيح**: أخرجه البخاري (٦٣٤٥) ومسلم (٢٧٣٠ فؤاد) (٦٧٨٩ قلعجي).
(٢٤٦) **صحيح**: أخرجه أبو داود (١٤٩٣) والترمذي (٣٤٨٦) وابن ماجه (٣٨٥٧) وهو حديث صحيح.
(٢٤٧) **صحيح**: أخرجه أبو داود (١٤٩٥) والنسائي (٣/ ٥٢) والترمذي (٣٥٥٥) وابن ماجه (٣٨٥٨) والحديث صحيح.

صبر معه ونحو ذلك، كان أبلغ في قضاء حاجته من أن يقول ابتداء: أعطني كذا وكذا. فإذا عرفت هذا فتأمل قول موسى ﷺ في دعائه: ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ [القصص: ٢٤] وقول ذي النون في دعائه: ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ وقول أبينا آدم ﷺ: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [الأعراف: ٢٣].

وفي الصحيحين أن أبا بكر الصديق قال: يا رسول الله علمني دعاء أدعو به في صلاتي، فقال: **«قُلْ اللَّهُمَّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي ظُلْمًا كَثِيرًا، وَإِنَّه لا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إلا أَنْتَ فَاغْفِرْ لِي مَغْفِرَةً مِنْ عِنْدِكَ وَارْحَمْنِي إِنَّك أَنْتَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ»** (٢٤٨)، فجمع في هذا الدعاء الشريف العظيم القدر بين الاعتراف بحاله والتوسل إلى ربه عز وجل بفضله وجوده وأنه المنفرد بغفران الذنوب، ثم سأل حاجته بعد التوسل بالأمرين معًا. فهكذا أدب الدعاء وآداب العبودية.

التاسعة والسبعون: قراءة القرآن أفضل من الذكر، والذكر أفضل من الدعاء: هذا من حيث النظر لكل منهما مجردًا، وقد يعرض للمفضول ما يجعله أولى من الفاضل، بل يعينه فلا يجوز أن يعدل عنه إلى الفاضل، وهذا كالتسبيح في الركوع والسجود فإنه أفضل من قراءة القرآن فيهما، بل القراءة فيهما منهي عنها نهي تحريم أو كراهة، وكذلك التسميع والتحميد في محلهما أفضل من القراءة، وكذلك التشهد، وكذلك: **«رب اغفر لي وارحمني واهدني وعافني وارزقني»** بين السجدتين أفضل من القراءة، وكذلك الذكر عقيب السلام من الصلاة - ذكر التهليل والتسبيح والتكبير والتحميد - أفضل من الاشتغال عنه بالقراءة، وكذلك إجابة المؤذن والقول كما يقول أفضل من القراءة.

وإن كان فضل القرآن على كل كلام كفضل الله تعالى على خلقه، لكن لكل مقام مقال، متى فات مقاله فيه وعدل عنه إلى غيره اختلت الحكمة وفقدت المصلحة المطلوبة منه.

وهكذا الأذكار المقيدة بمحال مخصوصة أفضل من القراءة المطلقة، والقراءة المطلقة أفضل من الأذكار المطلقة، اللهم إلا أن يعرض للعبد ما يجعل الذكر أو الدعاء أنفع له من قراءة القرآن.

(٢٤٨) صحيح: أخرجه البخاري (٨٣٤) ومسلم (٢٧٠٥ فؤاد) (٦٧٤٠ قلعجي).

مثاله: أن يتفكر في ذنوبه فيحدث ذلك له توبة من استغفار أو يعرض له ما يخاف أذاه من شياطين الإنس والجن فيعدل إلى الأذكار والدعوات التي تحصنه وتحوطه. وكذلك أيضًا قد يعرض للعبد حاجة ضرورية إذا اشتغل عن سؤالها بقراءة أو ذكر لم يحضر قلبه فيهما، وإذا أقبل على سؤالها والدعاء إليها اجتمع قلبه كله على الله تعالى وأحدث له تضرعًا وخشوعًا وابتهالاً، فهذا قد يكون اشتغاله بالدعاء والحالة هذه أنفع، وإن كان كل من القراءة والذكر أفضل وأعظم أجرًا.

وهذا باب نافع يحتاج إلى فقه نفس، وفرقان بين فضيلة الشيء في نفسه وبين فضيلته العارضة، فيعطي كل ذي حق حقه، ويوضع كل شيء موضعه، فللعين موضع وللرِّجل موضع، وللماء موضع وللحم موضع. وحفظ المراتب هو من تمام الحكمة التي هي نظام الأمر والنهي. والله تعالى الموفق.

وهكذا الصابون والأشنان أنفع للثوب في وقت، والتجمير وماء الورد وكيُّه أنفع له في وقت.

وقلت لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى يومًا : سئل بعض أهل العلم أيهما أنفع للعبد: التسبيح أو الاستغفار ؟ فقال: إذا كان الثوب نقيًا فالبخور وماء الورد أنفع له، وإن كان دنسًا فالصابون والماء الحار أنفع له. فقال لي رحمه الله تعالى: فكيف والثياب لا تزال دنسة؟

ومن هذا الباب سورة ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾[الإخلاص:١] تعدل ثلث القرآن ومع هذا فلا تقوم مقام آيات المواريث والطلاق والخلع والعدد ونحوها، بل هذه الآيات في وقتها وعند الحاجة إليها أنفع من تلاوة سورة الإخلاص.

ولما كانت الصلاة مشتملة على القراءة والذكر والدعاء، وهي جامعة لأجزاء العبودية على أتم الوجوه، كانت أفضل من كل من القراءة والذكر والدعاء بمفرده؛ لجمعها ذلك كله مع عبودية سائر الأعضاء.

فهذا أصل نافع جدًا يفتح للعبد باب معرفة مراتب الأعمال وتنزيلها منازلها، لئلا يشتغل بمفضولها عن فاضلها فيربح إبليس الفضل الذي بينهما، أو ينظر إلى فاضلها فيشتغل به عن مفضولها إن كان ذلك وقته، فتفوته مصلحته بالكلية، لظنه أن اشتغاله بالفاضل أكثر ثوابًا وأعظم أجرًا.

وهذا يحتاج إلى معرفةٍ بمراتب الأعمال وتفاوتها ومقاصدها، وفقهٍ في إعطاء كل

عمل منها حقه، وتنزله في مرتبته، وتفويته لما هو أهم منه، أو تفويته ما هو أولى منه وأفضل لإمكان تداركه والعود إليه، وهذا المفضول إن فات لا يمكن تداركه فالاشتغال به أولى - وهذا كترك القراءة لرد السلام وتشميت العاطس - وإن كان القرآن أفضل ؛ لأنه يمكنه الاشتغال بهذا المفضول والعود إلى الفاضل، بخلاف ما إذا اشتغل بالقراءة فاتته مصلحة رد السلام وتشميت العاطس، وهكذا سائر الأعمال إذا تزاحمت. والله تعالى الموفق (٢٤٩).

---

(٢٤٩) إتمامًا للفائدة نلحق فائدتين ذكرهما المصنف رحمه الله في غير هذا الكتاب الأولى - حكم الذكر بالاسم المفرد . قوله تعالى: ﴿وعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوا أَنتُمْ ولا آبَاؤُكُمْ قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ﴾ . . . رتب على ذلك بعضهم أن الذكر بالاسم المفرد وهو: الله الله. أفضل من الذكر بالجملة المركبة. كقوله: سبحان الله. والحمد لله. ولا إله إلا الله. والله أكبر. وهذا فاسد مبني على فاسد فإن الذكر بالاسم المفرد غير مشروع أصلاً، ولا مفيد شيئًا. ولا هو كلام أصلاً، ولا يدل على مدح ولا تعظيم، ولا يتعلق به إيمان ولا ثواب، ولا يدخل به الذاكر في عقد الإسلام جملة. فلو قال الكافر: الله. الله. من أول عمره إلى آخره لم يصر بذلك مسلمًا فضلاً عن أن يكون من جملة الذكر أو يكون من أفضل الأذكار. وبالغ بعضهم في ذلك حتى قال: الذكر بالاسم المضمر أفضل من الذكر بالاسم الظاهر، فالذكر بقوله: هو، هو. بالاسم المضمر أفضل من الذكر بقولهم: الله، الله. وكل هذا من أنواع الهوس والخيالات الباطلة المفضية بأهلها إلى أنواع من الضلالات. فهذا فساد هذا البناء الهائر. وأما فساد المبني عليه فإنهم ظنوا أن قوله تعالى ﴿قُلِ اللَّهُ﴾ أي قل هذا الاسم. فقل: الله، الله. وهذا من عدم فهم القوم لكتاب الله، فإن اسم الله هنا جواب لقوله ﴿قُلْ مَنْ أَنزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وهُدًى لِّلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وتُخْفُونَ كَثِيرًا﴾ إلى أن قال ﴿قُلِ اللَّهُ﴾ أي قل: الله أنزله. فإن السؤال مَصار في الجواب فيتضمنه فيحذف اختصارًا. كما يقول. من خلق السموات والأرض؟ فيقال. الله. أي الله خلقهما، فيحذف الفعل لدلالة السؤال عليه، فهذا معنى الآية الذي لا تحتمل غيره. ا هـ من طريق الهجرتين ص ٤٩٨ - ٤٩٩ ط. ابن القيم السعودية.

قاعدة: في الدعوات والأذكار التي رويت بألفاظ مختلفة كأنواع الاستفتاحات وأنواع التشهدات في الصلاة، وأنواع الأدعية التي اختلفت ألفاظها، وأنواع الأذكار بعد الاعتدالين من الركوع والسجود ومنه هذه الألفاظ التي رويت في الصلاة على النبي ﷺ.

وقد سلك بعض المتأخرين في ذلك طريقة في بعضها. وهو أن الداعي يستحب له أن يجمع بين تلك الألفاظ المختلفة. ورأى ذلك أفضل ما يقال فيها. فرأى أنه يستحب للداعي بدعاء الصديق رضي الله عنه أن يقول: اللهم إني ظلمت نفسي ظلمًا كثيرًا كبيرًا. ويقول المصلي على النبي ﷺ: اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وعلى أزواجه وذريته، وارحم محمدًا وآل محمد وأزواجه وذريته، كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم وكذلك في البركة والرحمة. ويقول في دعاء الاستخارة: اللهم إن كنت تعلم أن هذا الأمر خير لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري وعاجل أمري وآجله ونحو ذلك.

قال: ليصيب ألفاظ النبي ﷺ يقينًا فيما شك فيه الراوي، ولتجتمع له ألفاظ الأدعية الأخر فيما اختلفت ألفاظها.

....

ونازعه في ذلك آخرون وقال: هذا ضعيف من وجوه:
أحدها: أن هذه طريقة محدثه لم يسبق إليها أحد من الأئمة المعروفين.
الثاني: أن صاحبها إن طردها لزمه أن يستحب للمصلي أن يستفتح بجميع أنواع الاستفتاحات، وأن يتشهد بجميع أنواع التشهدات، وأن يقول في ركوعه وسجوده جميع الأذكار الواردة فيه، وهذا باطل قطعًا، فإنه خلاف عمل الناس، ولم يستحبه أحد من أهل العلم، وهو بدعة. وإن لم يطردها تناقض وفرق بين متماثلين.
الثالث: أن صاحبها ينبغي أن يستحب للمصلي والتالي أن يجمع بين القراءات المتنوعة في التلاوة في الصلاة وخارجها قالوا: ومعلوم أن المسلمين متفقون على أن لا يستحب ذلك للقارئ في الصلاة ولا خارجها، إذا قرء قراءة عبادة وتدبر، وإنما يفعل ذلك القراء أحيانًا ليمتحن بذلك حفظ القارئ لأنواع القراءات، وإحاطته بها واستحضاره إياها، والتمكن من استحضارها عند طلبها، فذلك تمرين وتدريب لا تعبد مستحب لكل تال وقارئ. ومع هذا ففي ذلك للناس كلام ليس هذا موضعه. بل المشروع في حق التالي أن يقرأ بأي حرف شاء، وإن شاء أن يقرأ بهذا مرة وبهذا مرة جاز ذلك. وكذلك الداعي إذا قال: ظلمت نفسي ظلمًا كثيرًا مرة. ومرة قال: كبيرًا جاز ذلك. وكذلك الداعي إذا صلى على النبي ﷺ مرة بلفظ هذا الحديث ومرة بلفظ الآخر. وكذلك إذا تشهد، فإن شاء تشهد بتشهد ابن مسعود، وإن شاء بتشهد ابن عباس، وإن شاء بتشهد ابن عمر، وإن شاء بتشهد عائشة رضي الله عنهم أجمعين.

وكذلك في الاستفتاح، إن شاء استفتح بحديث علي، وإن شاء بحديث أبي هريرة، وإن شاء باستفتاح عمر، وإن شاء فعل هذا مرة وهذا مرة. وكذلك إذا رفع رأسه من الركوع، إن شاء قال: ربنا لك الحمد، وإن شاء قال: ربنا ولك الحمد. ولا يستحب لأحد أن يجمع بين هذا كله.

وقد احتج غير واحد من الأئمة منهم الشافعي رحمه الله تعالى على جواز الأنواع المأثورة في التشهدات ونحوها بالحديث الذي رواه أصحاب الصحيح والسنن وغيرهم عن النبي ﷺ أنه قال: أنزل القرآن على سبعة أحرف فجوز النبي ﷺ القراءة بكل حرف من تلك الأحرف، وأخبر أنه شاف كاف. ومعلوم أن المشروع في ذلك أن يقرأ بتلك الأحرف على سبيل البدل لا على سبيل الجمع. كما كان الصحابة يفعلون.

الرابع: أن النبي ﷺ لم يجمع بين تلك الألفاظ المختلفة في آن واحد بل إما أن يكون قال هذا مرة وهذا مرة كألفاظ الاستفتاح والتشهد، وأذكار الركوع والسجود وغيرها، فاتباعه يقتضي أن لا يجمع بينها، بل يقال هذا مرة وهذا مرة.

وإما أن يكون الراوي قد شك في أي الألفاظ قال، فإن ترجح عند الداعي بعضها صار إليه، وإن لم يترجح عنده بعضها كان مخيرًا بينهما، ولم يشرع له الجمع. فإن هذا نوع ثالث لم يرد عن النبي ﷺ، فيعود الجمع بين تلك الألفاظ في آن واحد على مقصود الداعي بالإبطال، لأنه قصد متابعة الرسول ففعل ما لم يفعله قطعًا.

ومثال ما يترجح فيه أحد الألفاظ: حديث الاستخارة، فإن الراوي شك هل قال النبي ﷺ: اللهم إن كنت تعلم أن هذا الأمر خير لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري. أو قال: وعاجل أمري وآجله، بدل: وعاقبت أمري. والصحيح اللفظ الأول، وهو قوله: وعاقبة أمري؛ لأن عاجل الأمر

فصل في الأذكار الموظفة التي لا ينبغي للعبد أن يخل بها ؛ لشدة الحاجة إليها، وعظم الانتفاع في الآجل والعاجل بها. وفيه فصول:

الفصل الأول: في ذكر طرفي النهار

وهما ما بين الصبح وطلوع الشمس، وما بين العصر والغروب. قال سبحانه وتعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ [الأحزاب: ٤١-٤٢]. والأصيل: قال الجوهري: هو الوقت بعد العصر إلى المغرب، وجمعه أصل وآصال وأصائل كأنه مع أصيله قال الشاعر:

لعَمْري لأنت البيت أكرم أهله ... وأقعدُ في أفيائه بالأصائِلِ

ويجمع أيضًا على أصلان، مثل: بعير وبعران، ثم صغروا الجمع فقالوا: أصيلان، ثم أبدلوا من النون لامًا فقالوا أصيلال، قال الشاعر:

وقفت فيها أصيلالاً أسائلها ... أعْيَتْ جوابًا وما بالرَّبْعِ من أحَدِ

وقال تعالى: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ﴾ [غافر: ٥٥] فالإبكار أول النهار والعشي آخره، وقال تعالى: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ ٱلْغُرُوبِ﴾ [ق: ٣٩] وهذا تفسير ما جاء في الأحاديث: من قال كذا وكذا حين يصبح وحين يمسي، أن المراد به قبل طلوع الشمس وقبل غروبها، وأن محل هذه الأذكار

وآجله هو مضمون قوله: ديني ومعاشي وعاقبة أمري. فيكون الجمع بين المعاش وعاجل الأمر وآجله تكرارًا. بخلاف ذكر المعاش والعاقبة، فإنه لا تكرار فيه، فإن المعاش هو عاجل الأمر، والعاقبة آجله.

من ذلك ما ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: من قرأ عشر آيات من أول سورة الكهف عصم من فتنة الدجال. رواه مسلم. واختلف فيه فقال بعض الرواة: من أول سورة الكهف، وقال بعضهم: من آخرها. وكلاهما في الصحيح لكن الترجيح لمن قال: من أول سورة الكهف، لأن في صحيح مسلم من حديث النواس بن سمعان في قصة الدجال: فإذا رأيتموه فاقرأوا عليه فواتح سورة الكهف. ولم يختلف في ذلك. وهذا يدل على أن من روى العشر من أول السورة حفظ الحديث، ومن روى من آخرها لم يحفظه.

الخامس: أن المقصود إنما هو المعنى والتعبير عنه بعبارة مؤدية له، فإذا عبر عنه بإحدى العبارتين حصل المقصود، فلا يجمع بين العبارات المتعددة.

السادس: أن أحد اللفظين بدلاً من الآخر، فلا يستحب الجمع بين البدل والمبدل معًا، كما لا يستحب ذلك في المبدلات التي لها أبدال. والله أعلم. ا هـ. من جلاء الأفهام ص (١٧٦ - ١٧٩) ط المتنبي.

بعد الصبح وبعد العصر.

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: **«مَنْ قَالَ حِينَ يُصْبِحُ وَحِينَ يُمْسِي: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ مِائَةَ مَرَّةٍ؛ لَمْ يَأْتِ أَحَدٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِأَفْضَلَ مِمَّا جَاءَ بِهِ إلا أَحَدٌ قَالَ مِثْلَ مَا قَالَ أَوْ زَادَ عَلَيْهِ»** (٢٥٠).

وفي صحيحه أيضًا عن ابن مسعود قال: كان نبي الله ﷺ إذا أمسى قال: **«أَمْسَيْنَا وَأَمْسَى الْمُلْكُ لِلَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، لا إِلَهَ إلا اللَّهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، رَبِّ أَسْأَلُكَ خَيْرَ مَا فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ وَخَيْرَ مَا بَعْدَهَا، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ وَشَرِّ مَا بَعْدَهَا، رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْكَسَلِ وَسُوءِ الْكِبَرِ، رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابٍ فِي النَّارِ وَعَذَابٍ فِي الْقَبْرِ»** وإذا أصبح قال ذلك أيضًا: **«أَصْبَحْنَا وَأَصْبَحَ الْمُلْكُ لِلَّهِ»** (٢٥١).

وفي السنن عن عبد الله بن حبيب قال: قال رسول الله ﷺ: **«قُلْ»**. قلت: يا رسول الله، ما أقول؟ قال: **« ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ وَالْمُعَوِّذَتَيْنِ حِينَ تُمْسِي وَحِينَ تُصْبِحُ ثَلاثَ مَرَّاتٍ تَكْفِيكَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ»**. قال الترمذي: حديث حسن صحيح (٢٥٢).

وفي الترمذي أيضًا عن أبي هريرة أن النبي ﷺ كان يعلم أصحابه يقول: **«إِذَا أَصْبَحَ أَحَدُكُمْ فَلْيَقُلْ: اللَّهُمَّ بِكَ أَصْبَحْنَا وَبِكَ أَمْسَيْنَا، وَبِكَ نَحْيَا وَبِكَ نَمُوتُ وَإِلَيْكَ النُّشُورُ، وَإِذَا أَمْسَى فَلْيَقُلْ: اللَّهُمَّ بِكَ أَمْسَيْنَا وَبِكَ أَصْبَحْنَا وَبِكَ نَحْيَا وَبِكَ نَمُوتُ وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ»** قال الترمذي: حديث حسن صحيح (٢٥٣).

وفي صحيح البخاري عن شداد بن أوس عن النبي ﷺ قال: **«سَيِّدُ الاسْتِغْفَارِ: اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي لا إِلَهَ إلا أَنْتَ خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ، وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ، أَبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ، وَأَبُوءُ بِذَنْبِي**

---

(٢٥٠) صحيح: أخرجه مسلم (٢٦٩٢ فؤاد) (٦٧١٧ قلعجي) وأبو داود (٥٠٩١) والترمذي (٣٤٨٠).

(٢٥١) صحيح: أخرجه مسلم (٢٧٢٣ فؤاد) (٦٧٧٧ قلعجي) وأبو داود (٥٠٧١) والترمذي (٣٤٠١).

(٢٥٢) حسن: أخرجه أبو داود (٥٠٨٢) والترمذي (٣٥٨٦) والنسائي (٨/ ٢٥٠) وهو حديث حسن.

(٢٥٣) حسن: أخرجه الترمذي (٣٤٠٢) وقال: هذا حديث حسن. ا هـ ورواه أبو داود بنحوه (٥٠٦٨) وابن ماجه (٣٨٦٨) وهو حديث حسن.

فَاغْفِرْ لِي فَإِنَّهُ لا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إلا أَنْتَ. مَنْ قَالَهَا حِين يُمْسِيَ فَمَاتَ مِن لَيْلَته دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ قَالَهَا حِين يُصْبح فَمَاتَ مِنْ يَوْمِهِ دَخَلَ الْجَنَّةَ» (٢٥٤).

وفي الترمذي عن أبي هريرة أن أبا بكر الصديق قال لرسول الله ﷺ: مرني بشيء أقوله إذا أصبحت وإذا أمسيت. قال: «قُلْ اللَّهُمَّ عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ، رَبَّ كُلِّ شَيْءٍ وَمَلِيكَهُ، أَشْهَدُ أَنْ لا إِلَه إِلا أَنْتَ أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ نَفْسِي وَشَرِّ الشَّيْطَانِ وَشِرْكِهِ، وَأَنْ نَقْتَرِفَ سُوءًا عَلَى أَنفُسِنا أَوْ نَجُرَّهُ إِلَى مُسْلِمٍ. قُلْهُ إِذَا أَصْبَحْتَ وَإِذَا أَمْسَيْتَ وَإِذَا أَخَذْتَ مَضْجَعَكَ». قال الترمذي: حديث حسن صحيح (٢٥٥).

وفي الترمذي أيضًا عن عثمان بن عفان قال: قال رسول الله ﷺ: «مَا مِنْ عَبْدٍ يَقُولُ فِي صَبَاحِ كُلِّ يَوْمٍ وَمَسَاءِ كُلِّ لَيْلَةٍ: بِسْمِ اللَّهِ الَّذِي لا يَضُرُّ مَعَ اسْمِهِ شَيْءٌ فِي الأَرْضِ وَلاَ فِي السَّمَاءِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ - ثَلاثَ مَرَّاتٍ - فَيَضُرُّهُ شَيْءٌ» قال الترمذي: حديث حسن صحيح (٢٥٦).

وفيه أيضًا عن ثوبان وغيره أن رسول الله ﷺ قال: «مَنْ قَالَ حِينَ يُمْسِي وَإِذَا أَصبَح: رَضِيتُ بِاللَّهِ رَبًّا، وَبِالإِسْلام دِينًا، وَبِمُحَمَّدٍ ﷺ نَبِيًّا؛ كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ أَنْ يُرْضِيَهُ» وقال: حديث حسن صحيح (٢٥٧).

وفي الترمذي أيضًا عن أنس أن رسول الله ﷺ قال: «مَنْ قَالَ حِينَ يُصْبِحُ أَوْ يُمْسِي: اللَّهُمَّ إِنِّي أَصْبَحْتُ أُشْهِدُكَ وَأُشْهِدُ حَمَلَةَ عَرْشِكَ وَمَلائِكَتَكَ وَجَمِيعَ خَلْقِكَ أَنَّكَ أَنْتَ اللَّهُ لا إِلَهَ إِلا أَنْتَ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُكَ وَرَسُولُكَ؛ أَعْتَقَ اللَّهُ رُبُعَهُ مِنَ النَّارِ، وَمَنْ قَالَهَا مَرَّتَيْنِ أَعْتَقَ اللَّهُ نِصْفَهُ مِنَ النَّارِ، وَمَنْ قَالَهَا ثَلاثًا أَعْتَقَ

(٢٥٤) **صحيح**: أخرجه البخاري (٦٣٠٦) (٦٣٢٣) والترمذي (٣٤٠٤) والنسائي (٨/ ٣٧٩).

(٢٥٥) **صحيح**: أخرجه أبو داود (٥٠٦٧) والترمذي (٣٤٠٣) وقال: هذا حديث حسن صحيح ا هـ من حديث أبي هريرة وهو صحيح. وليس في روايته وأن نقترف سوءًا... أو نجره إلى مسلم. وإنما وردت هذه الزيادة في رواية عبد الله بن عمرو بن العاص وقد رواها الترمذي (٣٥٤٠) وأبو داود من رواية أبي مالك (٥٠٨٣).

(٢٥٦) **حسن**: أخرجه أبو داود (٥٠٨٨) والترمذي (٣٣٩٩) وقال: هذا حديث حسن غريب صحيح ا هـ. وابن ماجه (٣٨٦٩) وهو حديث حسن.

(٢٥٧) **حسن**: أخرجه الترمذي (٣٤٠٠) من حديث ثوبان وقال: حسن غريب من هذا الوجه. ا هـ. وفي إسناده سعيد بن المرزبان ضعيف. لكن رواه أبو داود (٥٠٧٢) وأحمد (٤/ ٣٣٧) من طريق سابق بن ناجية وهو مقبول. وروى أبو داود (١٥٢٩) نحوه من حديث أبي سعيد الخدري وهو حديث حسن.

اللَّهُ ثَلاثَةَ أَرْبَاعِهِ مِنَ النَّارِ، وَمَنْ قَالَهَا أَرْبَعًا أَعْتَقَهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ» (٢٥٨).

وفي سنن أبي داود عن عبد الله بن غنام أن رسول الله ﷺ قال: «**مَنْ قَالَ حِينَ يُصْبِحُ: اللَّهُمَّ مَا أَصْبَحَ بِي مِنْ نِعْمَةٍ أَوْ بِأَحَدٍ مِنْ خَلْقِكَ فَمِنْكَ وَحْدَكَ لا شَرِيكَ لَكَ، فَلَكَ الْحَمْدُ وَلَكَ الشُّكْرُ، فَقَدْ أَدَّى شُكْرَ يَوْمِهِ، وَمَنْ قَالَ مِثْلَ ذَلِكَ حِينَ يُمْسِي فَقَدْ أَدَّى شُكْرَ لَيْلَتِهِ**» (٢٥٩).

وفي السنن وصحيح الحاكم عن عبد الله بن عمر قال: لم يكن النبي ﷺ يدع هؤلاء الكلمات حين يمسي وحين يصبح: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْعَافِيَةَ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْعَفْوَ وَالْعَافِيَةَ فِي دِينِي وَدُنْيَايَ وَأَهْلِي وَمَالِي، اللَّهُمَّ اسْتُرْ عَوْرَاتِي، وَآمِنْ رَوْعَاتِي، اللَّهُمَّ احْفَظْنِي مِنْ بَيْنِ يَدَيَّ وَمِنْ خَلْفِي، وَعَنْ يَمِينِي وَعَنْ شِمَالِي وَمِنْ فَوْقِي، وَأَعُوذُ بِعَظَمَتِكَ أَنْ أُغْتَالَ مِنْ تَحْتِي**» (٢٦٠) قال وكيع: يعني الخسف.

وعن طلق بن حبيب قال: جاء رجل إلى أبي الدرداء فقال: يا أبا الدرداء، قد احترق بيتك. فقال: ما احترق، لم يكن الله ليفعل ذلك، لكلمات سمعتهن من رسول الله ﷺ من قالها أول النهار لم تصبه مصيبة حتى يمسي، ومن قالها آخر النهار لم تصبه مصيبة حتى يصبح: «**اللهم أَنْتَ رَبِي لا إِلَهَ إِلا أَنْتَ، عَلَيْكَ توكَّلْتُ، وَأَنْتَ رَبُ الْعَرْشِ الْعَظِيم. مَا شَاءَ اللهُ كَانَ، وَمَا لم يَشَأْ لم يَكُن، وَلا حَولَ وَلا قُوةَ إِلا بِاللهِ العَلِي العَظِيم، أَعْلَمُ أَنْ اللهَ عَلَى كُل شَيءٍ قَدِيرٌ، وَأَنْ اللهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِ شَيءٍ عِلْمًا، اللهُم إِني أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَر نَفْسِي وَمِنْ شَر كُل دَابَةٍ رَبي آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا، إِنْ رَبي عَلى صِرَاطٍ مُسْتَقِيم**» (٢٦١).

* * *

(٢٥٨) إسناده ضعيف: **أخرجه أبو داود (٥٠٦٩) وفي إسناده عبد الرحمن بن عبد المجيد مجهول. وروى نحوه (٥٠٧٨) والترمذي (٣٥١١) وفي إسناده بقية وهو مدلس. وقال الترمذي: حسن غريب.**

(٢٥٩) إسناده ضعيف: **أخرجه أبو داود (٥٠٧٣) وفي إسناده عبد الله بن عنبسة. قال ابن حجر فيه: مقبول. ا هـ ولا يعرف له غير هذا الحديث.**

(٢٦٠) صحيح: **أخرجه أبو داود (٥٠٧٤) والنسائي (٨/ ٢٨٢) وابن ماجه (٣٨٧١) وهو حديث صحيح.**

(٢٦١) ضعيف جدا: **أخرجه ابن السني في عمل اليوم والليلة ص (٢٥) رقم (٥٧، ٥٨) بإسنادين في أحدهما الأغلب بن تميم الشعوذ، ضعيف وفي الآخر مجهولان.**

الفصل الثاني
في أذكار النوم

وفي الصحيحين عن حذيفة قال: كان رسول الله ﷺ إذا أراد أن ينام قال: **«باسْمِكَ اللهم أمُوتُ وَأَحْيَا»** .

وإذا استيقظ من منامه قال: **«الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَحْيَانَا بَعْدَ مَا أَمَاتَنَا وَإِلَيْهِ النُّشُورُ»** (٢٦٢).

وفي الصحيحين أيضًا عن عائشة رضي الله عنها:

«أن النبي ﷺ كان إذا أوى إلى فراشه كل ليلة جمع كفيه ثم نفث فيهما :

- ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾
- و ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾
- و ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾ ثم يمسح بهما ما استطاع من جسده، يبدأ بهما على رأسه ووجهه وما أقبل من جسده، يفعل ذلك ثلاث مرات» (٢٦٣).

وفي صحيح البخاري عن أبي هريرة أنه أتاه آت يحثو من الصدقة وكان قد جعله النبي ﷺ عليها ليلة بعد ليلة، فلما كان في الليلة الثالثة قال: لأرفعنك إلى رسول الله ﷺ .

قال: دعني أعلمك كلمات ينفعك الله بهن - وكان أحرص شيء على الخير- فقال: **«إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي** .

- ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ﴾ حتى ختمها، فإنه لا يزال عليك من الله حافظ، ولا يقربك شيطان حتى تصبح. فقال النبي ﷺ: **«صَدَقَكَ وَهُوَ كَذُوبٌ»** (٢٦٤).

---

(٢٦٢) صحيح: أخرجه البخاري (٦٣١٢) من حديث حذيفة، ومسلم (٢٧١١ فؤاد) (٦٧٥٦ قلعجي) من حديث البراء بن عازب.

(٢٦٣) صحيح: أخرجه البخاري (٥٠١٧) وأبو داود (٥٠٥٦) والترمذي (٣٤١٣) وابن ماجه (٣٨٧٥).

(٢٦٤) أخرجه البخاري (٤/٤٨٧) رقم (٢٣١١) معلقًا بصيغة الجزم في كتاب الوكالة.

وقد روى الإمام أحمد نحو هذه القصة في مسنده، أنها جرت لأبي الدرداء، ورواها الطبراني في معجمه أنها جرت لأبي بن كعب (٢٦٥).

وفي الصحيحين عن أبي مسعود الأنصاري عن النبي ﷺ قال: **«مَنْ قَرَأَ بِالآيَتَيْنِ مِنْ آخِرِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ كَفَتَاهُ»** (٢٦٦). الصحيح أن معناه: كفتاه من شر ما يؤذيه، وقيل: كفتاه من قيام الليل، وليس بشيء، قال علي بن أبي طالب: ما كنت أرى أحدًا يغفل قبل أن يقرأ الآيات الثلاث والأواخر من سورة البقرة (٢٦٧).

وفي الصحيحين عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: **«إِذَا قَامَ أَحَدُكُمْ عَنْ فِرَاشِهِ ثُمَّ رَجَعَ إِلَيْهِ فَلْيَنْفُضْهُ بِصَنِفَةِ إِزَارِهِ ثَلاثَ مَرَّاتٍ ؛ فَإِنَّهُ لا يَدْرِي مَا خَلَفَهُ عَلَيْهِ بَعْدَه، وَإِذَا اضْطَجَعَ فَلْيَقُلْ: بِاسْمِكَ اللَّهُمَّ وَضَعْتُ جَنْبِي وَبِكَ أَرْفَعُهُ ؛ فَإِنْ أَمْسَكْتَ نَفْسِي فَارْحَمْهَا، وَإِنْ أَرْسَلْتَهَا فَاحْفَظْهَا بِمَا تَحْفَظُ بِهِ عِبَادَكَ الصَّالِحِينَ»** (٢٦٨).

وفي الصحيحين عنه عن النبي ﷺ: **«إِذَا اسْتَيْقَظَ فَلْيَقُلْ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي عَافَانِي فِي جَسَدِي وَرَدَّ عَلَيَّ رُوحِي وَأَذِنَ لِي بِذِكْرِهِ»** (٢٦٩).

وقد تقدم حديث علي ووصية النبي ﷺ له ولفاطمة رضي الله تعالى عنهما أن يسبحا إذا أخذا مضاجعهما للنوم ثلاثًا وثلاثين، ويحمدا ثلاثًا وثلاثين، ويكبرا أربعًا وثلاثين، وقال: **«هُوَ خَيْرٌ لَكُمَا مِنْ خَادِمٍ»** (٢٧٠).

---

(٢٦٥) لم أجد ذلك في مسند أبي الدرداء من مسند أحمد. لكن في مسند أحمد (٥/ ٤٢٣) والترمذي (٢٨٨٩) أنها حدثت لأبي أيوب: وفي الطبراني أنها حدثت لأبي بن كعب قاله الهيثمي في المجمع (١٠/ ١١٧).

(٢٦٦) صحيح: أخرجه البخاري (٤٠٠٨) ومسلم (٨٠٨ فؤاد) (١٨٤٧ قلعجي).

(٢٦٧) لم أقف عليه مسندًا.

(٢٦٨) صحيح: أخرجه البخاري (٦٣٢٠) ومسلم (٢٧١٤ فؤاد) (٦٧٦١ قلعجي) وغيرهما وفي بعض رواياته: بداخله إزاره وهما سواء بمعنى طرفه. ولعل علة ذلك - والله أعلم. أن تكون يده مستورة حتى لا تتأذى لو كان في الفراش شيء من المؤذيات.

(٢٦٩) أخرجه النسائي في الكبرى (٦/ ٢١٧) رقم (١٠٧٠٢) وابن السني في عمل اليوم والليلة ص (٨) رقم (٩) كلاهما من طريق ابن عجلان عن المقبري عن أبي هريرة مرفوعًا. وفي رواية ابن عجلان عن المقبري كلام.

قال شيخنا أبو عبد الله: وليس الحديث في الصحيحين.

قلت: وهو كما قال، وعزو المصنفُ الحديثَ إلى الصحيحين خطأ أو سبق قلم.

(٢٧٠) صحيح: البخاري (٣٧٠٥) ومسلم (٢٧٢٧ فؤاد) (٦٧٨٤ قلعجي).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية قدس الله روحه: بلغنا أنه من حافظ على هذه الكلمات لم يأخذه إعياء فيما يعانيه من شغل ومن غيره (٢٧١).

وفي سنن أبي داود عن حفصة أم المؤمنين أن النبي ﷺ كان إذا أراد أن يرقد وضع يده اليمنى تحت خده ثم يقول: «**اللَّهُمَّ قِنِي عَذَابَكَ يَوْمَ تَبْعَثُ عِبَادَكَ**» ثلاث مرات، قال الترمذي: حديث حسن (٢٧٢).

وفي صحيح مسلم عن أنس أن النبي ﷺ كان إذا أوى إلى فراشه قال: «**الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَطْعَمَنَا وَسَقَانَا وَكَفَانَا وَآوَانَا، فَكَمْ مِمَّنْ لا كَافِيَ لَهُ وَلا مُؤْوِيَ**» (٢٧٣).

وفي صحيحه أيضًا عن ابن عمر أنه أمر رجلاً إذا أخذ مضجعه أن يقول: «**اللَّهُمَّ أَنْتَ خَلَقْتَ نَفْسِي وَأَنْتَ تَتَوَفَّاهَا، لَكَ مَمَاتُهَا وَمَحْيَاهَا، إِنْ أَحْيَيْتَهَا فَاحْفَظْهَا، وَإِنْ أَمَتَّهَا فَاغْفِرْ لَهَا، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْعَافِيَةَ**» (٢٧٤). قال ابن عمر: سمعتهن من رسول الله ﷺ.

وفي الترمذي عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ قَالَ حِينَ يَأْوِي إِلَى فِرَاشِهِ: أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الْعَظِيمَ الَّذِي لا إِلَهَ إِلا هُوَ الْحَيَّ الْقَيُّومَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ - ثَلاثَ مَرَّاتٍ - غَفَرَ اللَّهُ لَهُ ذُنُوبَهُ وَإِنْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ وَإِنْ كَانَتْ عَدَدَ رَمْلِ عَالِجٍ وَإِنْ كَانَتْ عَدَدَ أَيَّامِ الدُّنْيَا**» (٢٧٥).

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة أن النبي ﷺ كان إذا أوى إلى فراشه قال: «**اللَّهُمَّ رَبَّ السَّمَاوَاتِ وَرَبَّ الأَرْضِ وَرَبَّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ، رَبَّنَا وَرَبَّ كُلِّ شَيْءٍ، فَالِقَ الْحَبِّ وَالنَّوَى، وَمُنْزِلَ التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ وَالْفُرْقَانِ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ كُلِّ ذِي شَرٍ أَنْتَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهِ، أَنْتَ الأَوَّلُ فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الآخِرُ فَلَيْسَ بَعْدَكَ**

(٢٧١) وذلك أنها اشتكت إلى النبي ﷺ التعب من العمل في خدمة البيت فأرشدها النبيَ ﷺ إلى ما تتقوى به على عملها.

(٢٧٢) صحيح: أخرجه أبو داود (٥٠٤٥) من حديث حفصة والترمذي (٣٤٠٩) من حديث حذيفة بن اليمان وقال: حديث حسن صحيح اهـ والحديث صحيح، وأخرجه ابن ماجه (٣٨٧٧) وأحمد من حديث عبد الله بن مسعود والتقييد بثلاث مرات هو من رواية حفصة ولا يصح.

(٢٧٣) صحيح: أخرجه مسلم (٢٧١٥ فؤاد) (٦٧٦٣ قلعجي) وأبو داود (٥٠٥٣) والترمذي (٣٤٠٧).

(٢٧٤) صحيح: أخرجه مسلم (٢٧١٢ فؤاد) (٦٧٥٧ قلعجي).

(٢٧٥) ضعيف: أخرجه الترمذي (٣٤٠٨) وقال: هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه من حديث عبيد الله بن الوليد الوصّافي. اهـ. وإسناده ضعيف لضعف عبيد الله بن الوليد، وعطية العوفي.

شَيْءٌ، وَأَنْتَ الظَّاهِرُ فَلَيْسَ فَوْقَكَ شَيْءٌ وَأَنْتَ الْبَاطِنُ فَلَيْسَ دُونَكَ شَيْءٌ، اقْضِ عَنَّا الدَّيْنَ وَأَغْنِنَا مِنَ الْفَقْرِ» (٢٧٦).

وفي الصحيحين عن البراء بن عازب قال: قال لي رسول الله ﷺ «إِذَا أَتَيْتَ مَضْجَعَكَ فَتَوَضَّأْ وَضُوءَكَ لِلصَّلاةِ، ثُمَّ نَم عَلَى شِقِّكَ الأَيْمَنِ وَقُلْ: اللَّهُمَّ أَسْلَمْتُ نَفْسِي إِلَيْكَ، وَوَجَّهْتُ وَجْهِي إِلَيْكَ، وَفَوَّضْتُ أَمْرِي إِلَيْكَ وَأَلْجَأْتُ ظَهْرِي إِلَيْكَ رَهْبَةً وَرَغْبَةً إِلَيْكَ لا مَلْجَأَ وَلا مَنْجَا مِنْكَ إلا إِلَيْكَ آمَنْتُ بِكِتَابِكَ الَّذِي أَنْزَلْتَ وَبِنَبِيِّكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ؛ فَإِنْ مُتَّ مُتَّ عَلَى الْفِطْرَةِ، وَاجْعَلْهُنَّ آخِرَ مَا تَقُولُ» (٢٧٧).

* * *

الفصل الثالث

في أذكار الانتباه من النوم

روى البخاري في صحيحه عن عبادة بن الصامت عن النبي ﷺقال: «مَنْ تَعَارَّ مِنَ اللَّيْلِ فَقَالَ: لا إِلَهَ إلا اللَّهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَلا إِلَهَ إلا اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ وَلا حَوْلَ وَلا قُوَّةَ إلا بِاللَّهِ، ثُمَّ قَالَ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي، أَوْ دَعَا؛ اسْتُجِيبَ لَهُ فَإِنْ تَوَضَّأَ وَصَلَّى قُبِلَتْ صَلاتُهُ» (٢٧٨).

وفي الترمذي عن أبي أمامة قال: سمعت رسول الله ﷺيقول: «مَنْ أَوَى إِلَى فِرَاشِهِ طَاهِرًا، وَذَكَرَ اللَّهَ حَتَّى يُدْرِكَهُ النُّعَاسُ؛ لَمْ يَنْقَلِبْ سَاعَةً مِنَ اللَّيْلِ يَسْأَلُ اللَّهَ تعالى فِيهَا خَيْرًا إلا أَعْطَاهُ إِيَّاهُ». حديث حسن (٢٧٩).

وفي سنن أبي داود عن عائشة أن رسول الله ﷺكان إذا استيقظ من الليل قال:

(٢٧٦) صحيح: أخرجه مسلم (٢٧١٣ فؤاد) (٦٧٥٨ قلعجي) وأبو داود (٥٠٥١) والترمذي (٣٤١١) وابن ماجه (٣٨٧٣).

(٢٧٧) صحيح: أخرجه البخاري (٦٣١١) ومسلم (٢٧١٠ فؤاد) (٦٧٥١ قلعجي) وفي هذا الحديث فائدة جليلة. فقد قال البراء: فرددتهن لأستذكرهن، فقلت: آمنت برسولك الذي أرسلت. فقال: «قل: آمنت بنبيك الذي أرسلت». وفي الترمذي (٣٤٠٥) فطعن بيده في صدري وقال: . . .

(٢٧٨) صحيح: أخرجه البخاري (١١٥٤) وأبو داود (٥٠٦٠) والترمذي (٣٤٢٥) وابن ماجه (٣٨٧٨) ومعنى: «تعار من الليل»: انتبه من نومه.

(٢٧٩) ضعيف الإسناد: أخرجه الترمذي (٣٥٣٧) وقال: حسن غريب اهـ وفي إسناده ضعف.

«لا إِلَهَ إلا أَنْتَ سُبْحَانَكَ، اللَّهُمَّ أَسْتَغْفِرُكَ لِذَنْبِي، وَأَسْأَلُكَ رَحْمَتَكَ، اللَّهُمَّ زِدْنِي عِلْمًا وَلا تُزِغْ قَلْبِي بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنِي وَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ»(٢٨٠).

* * *

الفصل الرابع

في أذكار الفزع في النوم والفكر والقلق

روى الترمذي عن بريدة قال: شكا خالد بن الوليد إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، ما أنام الليل من الأرق. فقال النبي ﷺ: «إِذَا أَوَيْتَ إِلَى فِرَاشِكَ فَقُلْ: اللَّهُمَّ رَبَّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَمَا أَظَلَّتْ، وَرَبَّ الأَرَضِينَ وَمَا أَقَلَّتْ، وَرَبَّ الشَّيَاطِينِ وَمَا أَضَلَّتْ، كُنْ لِي جَارًا مِنْ شَرِّ خَلْقِكَ كُلِّهِمْ جَمِيعًا أَنْ يَفْرُطَ عَلَيَّ أَحَدٌ مِنْهُمْ أَوْ أَنْ يَطغَيَ، عَزَّ جَارُكَ، وَجَلَّ ثَنَاؤُكَ، وَلا إِلَهَ غَيْرُكَ لا إِلَهَ إلا أَنْتَ»(٢٨١).

وفي الترمذي عن عبد الله بن عمرو أن رسول الله ﷺ كان يعلمهم من الفزع كلمات: «أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّةِ مِنْ غَضَبِهِ وَشَرِّ عِبَادِهِ وَمِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ وَأَنْ يَحْضُرُونِ»(٢٨٢). وكان عبد الله بن عمرو يعلمهن من عقل من بنيه، ومن لم يعقل كتبه وعلقه عليه.

* * *

الفصل الخامس

في أذكار من رأى رؤيا يكرهها أو يحبها.

في الصحيحين عن أبي قتادة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «الرُّؤْيَا مِنَ اللَّهِ، وَالْحُلْمُ مِنَ الشَّيطَانِ، فَإِذَا رَأَى أَحَدُكُمْ شَيْئًا يَكْرَهُهُ؛ فَلْيَنْفُثْ عَنْ يَسَارِهِ

---

(٢٨٠) ضعيف: أخرجه أبو داود (٥٠٦١) والحاكم (١/ ٥٤٠) وغيرهما وليس إسناده بالقوي؛ فيه عبد الله ابن الوليد بن قيس لا يقوى على التفرد، وقال فيه ابن حجر: لين.

(٢٨١) ضعيف: أخرجه الترمذي (٣٥٣٤) وقال: هذا حديث ليس إسناده بالقوي. والحكم بن ظُهير قد ترك حديثه بعض أهل الحديث. ويُروى هذا الحديث عن النبي ﷺ مرسلاً من غير هذا الوجه.

(٢٨٢) حسن دون قوله: فكان عبد الله........، أخرجه أبو داود (٣٨٩٣) والترمذي (٣٥٣٩) وقال: حسن غريب اهـ. والحديث حسن وله شواهد تقويه.

ثلاثَ مرَّاتٍ، وَليَتَعَوذْ باللهِ مِنْ شَرِّهَا فإنَّهَا لَن تَضُرُّهُ إنْ شَاءَ اللهُ» (٢٨٣).

قال أبو قتادة: كنت أرى الرؤيا تمرضني حتى سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«الرُّؤيَا الصَّالِحَةُ مِنَ اللَّهِ، فَإذَا رَأى أحَدُكُمْ مَا يُحِبُّ فَلا يُحَدِّثُ بِهَا إلا مَنْ يُحِبُّ، وَإذَا رَأى مَا يَكْرَهُ ؛ فَلا يُحَدِّث بِهِ، وَلْيَتْفُلْ عَنْ يَسَارِهِ، وَلْيَتَعَوَّذْ باللَّهِ مِنَ الشَّيطَانِ الرَّجِيمِ وَمِنْ شَرِّ مَا رَأى، فإنها لا تضرُّه»** (٢٨٤).

وفي صحيح مسلم عن جابر عن رسول الله ﷺ قال: **«إذَا رَأى أحَدُكُمْ الرُّؤيَا يَكرَهُهَا فَلْيَبْصُقْ عَنْ يَسَارِهِ ثَلاثَ مَرَّاتٍ، وَلْيَسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيطَانِ ثَلاثًا وَلْيَتَحَوَّلْ عَنْ جَنْبِهِ الَّذِي كَانَ عَلَيْهِ»** (٢٨٥).

ويذكر عن النبي ﷺ أن رجلاً قصَّ عليه رؤيا فقال: **«خَيرًا رَأيتَ، وَخَيْرًا يَكُونُ»** (٢٨٦). وفي رواية: **«خَيْرًا تَلْقَاهُ، وَشَرًّا تُوَقَّاه. خَيْرًا لَنَا، وَشَرًّا عَلَى أعْدَائِنَا وَالحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ»** (٢٨٧).

الفصل السادس

في أذكار الخروج من المنزل

في السنن عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: **«مَنْ قَالَ - يَعْنِي إذَا خَرَجَ مِنْ بَيْتِهِ -: بِسْمِ اللَّهِ، تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ، وَلا حَوْلَ وَلا قُوَّةَ إلا بِاللَّهِ. يُقَالُ لَهُ: كُفِيتَ وَوُقِيتَ وَهُدِيتَ وَتَنَحَّى عَنْهُ الشَّيطَانُ فَيَقُولُ الشَّيطَانُ لِشَيطَانٍ آخَرَ: كَيفَ لَكَ بِرَجُلٍ قَدْ هُدِيَ وَكُفِيَ وَوُقِيَ»** (٢٨٨).

وفي مسند الإمام أحمد: **«بِسْمِ اللَّهِ آمَنْتُ بِاللَّهِ، اعْتَصَمْتُ بِاللَّهِ، تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ، وَلا حَوْلَ وَلا قُوَّةَ إلا بِاللَّهِ»** (٢٨٩) حديث حسن.

---

(٢٨٣) صحيح: أخرجه البخاري (٥٧٤٧) ومسلم (٢٢٦١ فؤاد) (٥٧٨٨ قلعجي).
(٢٨٤) صحيح: أخرجه مسلم (٢٢٦١ فؤاد) (٥٧٩٤ قلعجي).
(٢٨٥) صحيح: أخرجه مسلم (٢٢٦٢ فؤاد) (٥٧٩٥ قلعجي) من حديث جابر بن عبد الله.
(٢٨٦) ضعيف جدًا: رواه ابن السني في عمل اليوم والليلة ص (٢٧١) رقم (٧٧٣)، وفي إسناده محمد بن عبيد الله العزرمي: وهو متروك.
(٢٨٧) ضعيف جدًا: رواه ابن السني في عمل اليوم والليلة ص (٢٧٠) رقم (٧٧٢) من طريق سليمان بن عطاء المكي عن سلمة بن عبد الله الجهني، وكلاهما ضعيف.
(٢٨٨) حسن: أخرجه أبو داود (٥٠٩٥) والترمذي (٣٤٣٧) وهو حديث حسن.
(٢٨٩) ضعيف: أخرجه أحمد في المسند (١/ ٦٥) وفي إسناده رجل مبهم. وإسناده ضعيف.

وفي السنن الأربع عن أم سلمة قالت: ما خرج رسول الله ﷺ من بيتي إلا رفع طرفه إلى السماء فقال: «**اللَّهُمَّ أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَضِلَّ أَوْ أُضَلَّ، أَوْ أَزِلَّ أَوْ أُزَلَّ، أَوْ أَظْلِمَ أَوْ أُظْلَمَ، أَوْ أَجْهَلَ أَوْ يُجْهَلَ عَلَيَّ**» (٢٩٠) قال الترمذي: حديث حسن صحيح.

* * *

الفصل السابع
في أذكار دخول المنزل

وفي صحيح مسلم عن جابر قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إِذَا دَخَلَ الرَّجُلُ بَيْتَهُ؛ فَذَكَرَ اللَّهَ عِنْدَ دُخُولِهِ وَعِنْدَ طَعَامِهِ قَالَ الشَّيْطَانُ: لا مَبِيتَ لَكُمْ وَلا عَشَاءَ، وَإِذَا دَخَلَ فَلَمْ يَذْكُرْ اللَّهَ عِنْدَ دُخُولِهِ قَالَ الشَّيْطَانُ: أَدْرَكْتُمْ الْمَبِيتَ، فَإِذَا لَمْ يَذْكُرْ اللَّهَ عِنْدَ طَعَامِهِ قَالَ: أَدْرَكْتُمْ الْمَبِيتَ وَالْعَشَاءَ**» (٢٩١).

وفي سنن أبي داود عن أبي مالك الأشعري قال: قال رسول الله ﷺ: «**إِذَا وَلَجَ الرَّجُلُ بَيْتَهُ فَلْيَقُلْ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ خَيْرَ الْمَوْلَجِ وَخَيْرَ الْمَخْرَجِ، بِسْمِ اللَّهِ وَلَجْنَا، وَبِسْمِ اللَّهِ خَرَجْنَا، وَعَلَى اللَّهِ رَبِّنَا تَوَكَّلْنَا، ثُمَّ لِيُسَلِّمْ عَلَى أَهْلِهِ**» (٢٩٢).

وفي الترمذي عن أنس قال لي رسول الله ﷺ: «**يَا بُنَيَّ إِذَا دَخَلْتَ عَلَى أَهْلِكَ فَسَلِّمْ يَكُنْ بَرَكَةً عَلَيْكَ وَعَلَى أَهْلِ بَيْتِكَ**». وقال الترمذي: حديث حسن صحيح (٢٩٣).

* * *

(٢٩٠) منقطع: أخرجه أبو داود (٥٠٩٤) والترمذي (٣٤٣٨) والنسائي (٨/ ٢٨٥) وابن ماجه (٣٨٨٤) وقال الترمذي: حسن صحيح. اهـ. ورجاله ثقات؛ لكنه منقطع بين الأعمش وأم سلمة رضي الله عنها.

(٢٩١) صحيح: أخرجه مسلم (٢٠١٨ فؤاد) (٥١٦٤ قلعجي) وأبو داود (٣٧٦٥) وابن ماجه (٣٨٨٧).

(٢٩٢) صحيح الإسناد: أخرجه أبو داود (٥٠٩٦) من حديث أبي مالك الأشعري وإسناده صحيح.

(٢٩٣) أخرجه الترمذي (٢٧٠٧) وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب اهـ وفي إسناده علي بن زيد بن جدعان ضعيف.

الفصل الثامن
في أذكار دخول المسجد والخروج منه

في صحيح مسلم عن أبي حميد - أو أبي أسيد- قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذَا دَخَلَ أَحَدُكُمْ إلى مَسْجِدَ فَلْيُسَلِّم عَلَى النَّبِيِّ ﷺ** وَلْيَقُلْ: اللَّهُمَّ افْتَحْ لِي أَبْوَابَ رَحْمَتِكَ. وَإِذَا خَرَجَ فَلْيَقُلْ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنْ فَضْلِكَ» (٢٩٤).

وفي سنن أبي داود عن عبد الله بن عمرو، عن النبي ﷺ أنه إذا دخل المسجد قال: «**أَعُوذُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ، وَبِوَجْهِهِ الْكَرِيمِ، وَسُلْطَانِهِ الْقَدِيمِ، مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ**» فإذا قال ذلك قال الشيطان: حفظ مني سائر اليوم (٢٩٥).

* * *

الفصل التاسع
في أذكار الأذان

في الصحيحين عن أبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ: «**إِذَا سَمِعْتُمْ النِّدَاءَ فَقُولُوا مِثْلَ مَا يَقُولُ الْمُؤَذِّنُ**» (٢٩٦).

وفي صحيح مسلم عن عبد الله بن عمرو أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «**إِذَا سَمِعْتُمْ الْمُؤَذِّنَ؛ فَقُولُوا مِثْلَ مَا يَقُولُ، ثُمَّ صَلُّوا عَلَيَّ؛ فَإِنَّهُ مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلاةً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا، ثُمَّ سَلُوا اللَّهَ لِي الْوَسِيلَةَ؛ فَإِنَّهَا مَنْزِلَةٌ فِي الْجَنَّةِ لا تَنْبَغِي إلا لِعَبْدٍ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَنَا هُوَ، فَمَنْ سَأَلَ لِي الْوَسِيلَةَ حَلَّتْ لَهُ الشَّفَاعَةُ**» (٢٩٧).

وفي صحيح مسلم عن عمر بن الخطاب قال: قال رسول الله ﷺ: «**إِذَا قَالَ الْمُؤَذِّنُ اللَّهُ أَكْبَرُ اللَّهُ أَكْبَرُ. فَقَالَ أَحَدُكُمْ: اللَّهُ أَكْبَرُ اللَّهُ أَكْبَرُ. ثُمَّ قَالَ أَشْهَدُ أَنْ**

---

(٢٩٤) **صحيح**: أخرجه مسلم (٧١٣ فؤاد) (١٦٢٢ قلعجي) وأبو داود (٤٦٥) والنسائي (٢/ ٥٣) وابن ماجه (٧٧٢). والشك في قوله: عن أبي حميد أو أبي أسيد هو شك من أحد رواة الحديث. وفي بعض طرقه عن أبي حميد وأبي أسيد بالعطف بالواو. واللفظ هنا لأبي داود، وابن ماجه.

(٢٩٥) **صحيح**: أخرجه أبو داود (٤٦٦) وهو حديث صحيح.

(٢٩٦) **صحيح**: أخرجه البخاري (٦١١) ومسلم (٣٨٣ فؤاد) (٨٢٥ قلعجي).

(٢٩٧) **صحيح**: أخرجه مسلم (٣٨٤ فؤاد) (٨٢٦ قلعجي) وأبو داود (٥٢٣) والترمذي (٣٦٣٤) والنسائي (٢/ ٢٥).

لا إِلَهَ إلا اللَّهُ. قَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إلا اللَّهُ. ثُمَّ قَالَ: أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ. قَالَ: أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ. ثُمَّ قَالَ: حَيَّ عَلَى الصَّلاةِ. قَالَ: لا حَوْلَ وَلا قُوَّةَ إلا بِاللَّهِ. ثُمَّ قَالَ: حَيَّ عَلَى الْفَلاحِ. قَالَ: لا حَوْلَ وَلا قُوَّةَ إلا بِاللَّهِ. ثُمَّ قَالَ: اللَّهُ أَكْبَرُ اللَّهُ أَكْبَرُ. قَالَ: اللَّهُ أَكْبَرُ اللَّهُ أَكْبَرُ. ثُمَّ قَالَ: لا إِلَهَ إلا اللَّهُ. قَالَ لا إِلَهَ إلا اللَّهُ، مِنْ قَلْبِهِ ؛ دَخَلَ الْجَنَّةَ» (٢٩٨).

وفي صحيح البخاري عن جابر أن رسول الله ﷺ قال: **«مَنْ قَالَ حِينَ يَسْمَعُ النِّدَاءَ: اللَّهُمَّ رَبَّ هَذِهِ الدَّعْوَةِ التَّامَّةِ وَالصَّلاةِ الْقَائِمَةِ، آتِ مُحَمَّدًا الْوَسِيلَةَ وَالْفَضِيلَةَ، وَابْعَثْهُ مَقَامًا مَحْمُودًا الَّذِي وَعَدْتَهُ حَلَّتْ لَهُ شَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ»** (٢٩٩).

وفي سنن أبي داود عن عبد الله بن عمرو قال: يا رسول الله، إن المؤذنين يفضلوننا. فقال رسول الله ﷺ: **«قُلْ كَمَا يَقُولُونَ فَإِذَا انْتَهَيْتَ فَسَلْ تُعْطَهْ»** (٣٠٠).

وفي الترمذي عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: **«الدُّعَاءُ لا يُرَدُّ بَيْنَ الأَذَانِ وَالإِقَامَةِ»**. قالوا: فماذا نقول يا رسول الله ؟ قال: **«سَلُوا اللَّهَ الْعَافِيَةَ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ»** (٣٠١). قال الترمذي: حديث حسن صحيح.

وفي سنن أبي داود عن سهل بن سعد قال: قال رسول الله ﷺ: **«ثِنْتَانِ لا تُرَدَّانِ أَوْ قَلَّمَا تُرَدَّانِ: الدُّعَاءُ عِنْدَ النِّدَاءِ، وَعِنْدَ الْبَأْسِ حِينَ يُلْحِمُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا»** (٣٠٢).

وفي سنن أبي داود عن أم سلمة قالت: علمني رسول الله ﷺ أن أقول عند المغرب: **«اللَّهُمَّ هَذَا إِقْبَالُ لَيْلِكَ، وَإِدْبَارُ نَهَارِكَ، وَأَصْوَاتُ دُعَاتِكَ ؛ فَاغْفِرْ**

---

(٢٩٨) صحيح: أخرجه مسلم (٣٨٥ فؤاد) (٨٢٧ قلعجي) وأبو داود (٥٢٧).

(٢٩٩) صحيح: أخرجه البخاري (٤٧١٩) وأبو داود (٥٢٩) والترمذي (٢١١) والنسائي (٢/ ٢٧) وابن ماجه (٧٢٢).

(٣٠٠) حسن: أخرجه أبو داود (٥٢٤) وإسناده حسن.

(٣٠١) صحيح: أخرجه الترمذي (٣٦٠٥) من طريق يحيى بن اليمان ثنا سفيان عن زيد العمى عن أبي إياس عن أنس مرفوعًا. وزيد العمى ضعيف، ويحيى بن اليمان لا يتحمل التفرد. وقد انفرد عن الثقات بزيادة «سلوا الله العافية». فهي زيادة منكرة.

وأخرجه من غير هذه الزيادة أبو داود (٥٢١) والترمذي (٢١٢، ٣٦٠٦) وفي إسناده العمى. لكن رواه أحمد في مسنده بإسناد صحيح (٣/ ١٥٥، ٢٢٥).

(٣٠٢) حسن: أخرجه أبو داود (٢٥٤٠) وهو حديث حسن، وفي إسناده موسى بن يعقوب بن زمعة وثقه ابن معين وغيره.

لي» (٣٠٣).

وفي سنن أبي داود عن بعض أصحاب النبي ﷺ أن بلالاً أخذ في الإقامة، فلما أن قال: قد قامت الصلاة قال النبي ﷺ **«أَقَامَهَا اللَّهُ وَأَدَامَهَا»** (٣٠٤).

فهذه خمس سنن في الأذان: إجابته، وقول رضيت بالله ربًا وبالإسلام دينًا وبمحمد ﷺرسولاً، وسؤال الله تعالى لرسوله ﷺالوسيلة والفضيلة، والصلاة عليه ﷺ والدعاء لنفسه ما شاء.

وعن سعد بن أبي وقاص عن رسول الله ﷺقال: **«مَنْ قَالَ حِينَ يَسْمَعُ الْمُؤَذِّنَ: أَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، رَضِيتُ بِاللَّهِ رَبًّا وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولاً وَبِالإِسْلامِ دِينًا ؛ غُفِرَ اللهُ ذُنُوبَهُ»** (٣٠٥).

* * *

الفصل العاشر
في أذكار الاستفتاح

وفي الصحيحين أن النبي ﷺكان يقول في استفتاحه: **«اللَّهُمَّ بَاعِدْ بَيْنِي وَبَيْنَ خَطَايَايَ كَمَا بَاعَدْتَ بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ، اللَّهُمَّ نَقِّنِي مِنْ خَطَايَايَ كَمَا يُنَقَّى الثَّوْبُ الأَبْيَضُ مِنَ الدَّنَسِ، اللَّهُمَّ اغْسِلْنِي مِنْ خَطَايَايَ بِالْمَاءِ وَالثَّلْجِ وَالْبَرَدِ»** (٣٠٦). وفي سنن أبي داود عن جبير ابن مطعم أنه رأى رسول الله ﷺ يصلي صلاة قال: **«قَالَ اللَّهُ أَكْبَرُ كَبِيرًا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ كَثِيرًا وَسُبْحَانَ اللَّهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا (ثَلاثًا) أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ مِنْ نَفْخِهِ وَنَفْثِهِ وَهَمْزِهِ»** (٣٠٧).

قال: نفثه الشعر، ونفخه الكبر، وهمزه الموتة.

---

(٣٠٣) ضعيف الإسناد :أخرجه الترمذي (٣٦٠٠) وقال: هذا حديث غريب إنما نعرفه من هذا الوجه، وحفصة بنت أبي كثير لا نعرفها ولا أباها. ا هـ. وقد تابع حفصة في روايتها عن أبيها: عبد الرحمن المسعودي عند أبي داود (٥٣٠) ولكن الراوي عنه القاسم بن معن وهو لم يدرك جده عبد الرحمن المسعودي. فلا يتقوى الحديث بذلك.

(٣٠٤) ضعيف :أخرجه أبو داود (٥٢٨) وفي إسناده رجل مبهم وشهر بن حوشب.

(٣٠٥) صحيح :أخرجه مسلم (٣٨٦ فؤاد) (٨٢٨) قلعجي) وأبو داود (٥٢٥) والترمذي (٢١٠) والنسائي (٢/٢٦) وابن ماجه (٧٢١).

(٣٠٦) صحيح :أخرجه البخاري (٧٤٤) ومسلم (٥٩٨ فؤاد) (١٣٣٠ قلعجي).

(٣٠٧) حسن :أخرجه أبو داود (٧٦٤، ٧٦٥) وابن ماجه (٨٠٧) وهو حديث حسن من حديث جبير بن مطعم عن النبي... والقائل: نفثه الشعر... إلخ هو عمرو بن مرة أحد رواة الحديث.

وفي السنن الأربعة عن عائشة وأبي سعيد وغيرهما أن النبي ﷺ كان إذا استفتح الصلاة قال: «**سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، تَبَارَكَ اسْمُكَ ن تَعَالَى جَدُّكَ، لا إِلَهَ غَيْرُكَ**» (٣٠٨) وهو في صحيح مسلم عن عمر موقوفًا عليه.

وفي صحيح مسلم عن علي بن أبي طالب قال: كان رسول الله ﷺ إذا قام إلى الصلاة قال: «**وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ، إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ لا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ، اللَّهُمَّ أَنْتَ الْمَلِكُ لا إِلَهَ إِلا أَنْتَ، أَنْتَ رَبِّي وَأَنَا عَبْدُكَ، ظَلَمْتُ نَفْسِي وَاعْتَرَفْتُ بِذَنْبِي ؛ فَاغْفِرْ لِي ذُنُوبِي جَمِيعًا، إِنَّهُ لا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلا أَنْتَ، وَاهْدِنِي لأَحْسَنِ الأَخْلاقِ لا يَهْدِي لأَحْسَنِهَا إِلا أَنْتَ، وَاصْرِفْ عَنِّي سَيِّئَهَا لا يَصْرِفُ عَنِّي سَيِّئَهَا إِلا أَنْتَ، لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ، وَالْخَيْرُ كُلُّهُ فِي يَدَيْكَ، وَالشَّرُّ لَيْسَ إِلَيْكَ، أَنَا بِكَ وَإِلَيْكَ، تَبَارَكْتَ وَتَعَالَيْتَ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ**». وكان إذا ركع يقول في ركوعه: «**اللَّهُمَّ لَكَ رَكَعْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ، وَلَكَ أَسْلَمْتُ، خَشَعَ لَكَ سَمْعِي وَبَصَرِي وَمُخِّي وَعَظْمِي وَعَصَبِي**». وإذا رفع رأسه من الركوع يقول: «**سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمِدَهُ، رَبَّنَا وَلَكَ الْحَمْدُ مِلْءَ السَّمَاوَاتِ وَمِلْءَ الأَرْضِ وَمِلْءَ مَا بَيْنَهُمَا، وَمِلْءَ مَا شِئْتَ مِنْ شَيْءٍ بَعْدُ**» وإذا سجد يقول في سجوده: «**اللَّهُمَّ لَكَ سَجَدْتُ وَبِكَ آمَنْتُ وَلَكَ أَسْلَمْتُ، سَجَدَ وَجْهِي لِلَّذِي خَلَقَهُ وَصَوَّرَهُ وَشَقَّ سَمْعَهُ وَبَصَرَهُ تَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ**». وكان آخر ما يقول بين التشهد والتسليم: «**اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ وَمَا أَسْرَفْتُ وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي، أَنْتَ الْمُقَدِّمُ وَأَنْتَ الْمُؤَخِّرُ لا إِلَهَ إِلا أَنْتَ**» (٣٠٩).

وفي صحيح مسلم عن عائشة كان رسول الله ﷺ يفتح صلاته إذا قام من الليل: «**اللَّهُمَّ رَبَّ جَبْرَائِيلَ وَمِيكَائِيلَ وَإِسْرَافِيلَ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ، عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ. اهْدِنِي لِمَا اخْتُلِفَ فِيهِ**

(٣٠٨) **حسن**: أخرجه أبو داود (٧٧٥) والترمذي (٢٤٢) والنسائي (٢/ ١٣٢) وابن ماجه (٨٠٤) من حديث أبي سعيد الخدري مرفوعًا، ورواه أبو داود (٧٧٦) والترمذي (٢٤٣) وابن ماجه (٨٠٦) من حديث عائشة، والحديث حسن. وأخرجه مسلم (٣٩٩ فؤاد) (٨٦٧ قلعجي) عن عمر بن الخطاب موقوفًا.

(٣٠٩) **صحيح**: أخرجه مسلم (٧٧١ فؤاد) (١٧٨١ قلعجي) وأبو داود (٧٦٠) والترمذي (٣٤٣٣، ٣٤٣٤).

مِنْ الْحَقِّ بِإِذْنِكَ، إِنَّكَ تَهْدِي مَنْ تَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ»(٣١٠) .

وفي الصحيحين عن ابن عباس قال: كان رسول الله ﷺ يقول إذا قام إلى الصلاة من جوف الليل: «اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَلَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ قَيِّمُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَلَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ الْحَقُّ، وَوَعْدُكَ الحَقُّ، وَقَوْلُكَ الحَقُّ، وَلِقَاؤُكَ الحَق، وَالْجَنَّةُ حَقٌّ، وَالنَّارُ حَقٌّ، وَالنَّبِيُّونَ حَقٌّ، وَمُحَمَّدٌ حَقٌّ، وَالسَّاعَةُ حَقٌّ، اللَّهُمَّ لَكَ أَسْلَمْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ، وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ، وَإِلَيْكَ أَنَبْتُ، وَبِكَ خَاصَمْتُ، وَإِلَيْكَ حَاكَمْتُ فَاغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ، أَنْتَ إِلَهِي لا إِلَهَ إِلا أَنْتَ»(٣١١) .

* * *

الفصل الحادي عشر

في ذكر الركوع والسجود والفصل بينهما وبين السجدتين

في السنن الأربعة عن حذيفة رضي الله تعالى عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول

---

(٣١٠) **صحيح**: أخرجه مسلم (٧٧٠ فؤاد) (١٧٨٠ قلعجي) وأبو داود (٧٦٧) والترمذي (٣٤٣١) والنسائي (٣/ ٢١٢) وابن ماجه (١٣٥٧).

(٣١١) **صحيح**: أخرجه البخاري (١١٢٠) ومسلم (٧٦٩ فؤاد) (١٧٧٧ قلعجي).

أفضل أذكار الاستفتاح: قال ابن القيم في زاد المعاد (١/ ٢٠٥): «وقال الإمام أحمد: أما أنا فأذهب إلى ما روي عن عمر. ولو أن رجلاً استفتح ببعض ما رُوي عن النبي ﷺ من الاستفتاح كان حسنًا.

وإنما اختار الإمام أحمد هذا لعشرة أوجه قد ذكرتها في مواضع أخرى؛ منها: جهر عمر به يعلمه الصحابة. ومنها: اشتماله على أفضل الكلام بعد القرآن، فإن أفضل الكلام بعد القرآن سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، وقد تضمنها هذا الاستفتاح مع تكبيرة الإحرام.

ومنها: أنه استفتاح أخلص للثناء على الله، وغيره متضمن للدعاء، والثناء أفضل من الدعاء، ولهذا كانت سورة الإخلاص تعدل ثلث القرآن؛ لأنها أخلصت لوصف الرحمن تبارك وتعالى والثناء عليه، ولهذا كان سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله والله، أكبر أفضل الكلام بعد القرآن. فيلزم أن ما تضمنها من الاستفتاحات أفضل من غيره من الاستفتاحات.

ومنها: أن غيره من الاستفتاحات عامتها إنما هي في قيام الليل في النافلة، وهذا كان عمر يفعله ويعلمه الناس في الفرض.

ومنها: أن هذا الاستفتاح إنشاء للثناء على الرب تعالى، متضمن للإخبار عن صفات كماله ونعوت جلاله، والاستفتاح بـ «وجهت وجهي» إخبار من عبودية العبد وبينهما من الفرق ما بينهما.

ومنها: أن من اختار الاستفتاح «بوجهت وجهي».. لا يكمله، وإنما يأخذ بقطعة من الحديث ويذر باقيه، بخلاف الاستفتاح «بسبحانك اللهم وبحمدك»؛ فإن من ذهب إليه يقوله كله إلى آخره. ا هـ.

إذا ركع: «رَبِّيَ الْعَظِيم» ثلاث مرات، وإذا سجد قال: «سُبْحَانَ رَبِّيَ الأَعْلَى» (٣١٢).

وفيه حديث علي رضي الله عنه وقد سبق في الفصل قبله بطوله. وفي الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ يكثر أن يقول في ركوعه وسجوده: «سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا وَبِحَمْدِكَ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي» (٣١٣).

وفي صحيح مسلم عنها رضي الله عنها: كان رسول الله ﷺ يقول في ركوعه وسجوده: «سُبُّوحٌ قُدُّوسٌ رَبُّ الْمَلائِكَةِ وَالرُّوحِ» (٣١٤).

وفي سنن أبي داود عن عوف بن مالك رضي الله عنه: أن النبي ﷺ كان يقول في ركوعه وسجوده: «سُبْحَانَ ذِي الْجَبَرُوتِ وَالْمَلَكُوتِ وَالْكِبْرِيَاءِ وَالْعَظَمَةِ» (٣١٥).

وفي صحيح مسلم عن أبي سعيد رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ إذا رفع رأسه من الركوع قال: «اللَّهُمَّ رَبَّنَا لَكَ الْحَمْدُ مِلْءُ السَّمَاوَاتِ وَمِلْءُ الأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمِلْءُ مَا شِئْتَ مِنْ شَيْءٍ بَعْدُ، أَهْلَ الثَّنَاءِ وَالْمَجْدِ، أَحَقُّ مَا قَالَ الْعَبْدُ، وَكُلُّنَا لَكَ عَبْدٌ، اللَّهُمَّ لا مَانِعَ لِمَا أَعْطَيْتَ، وَلا مُعْطِيَ لِمَا مَنَعْتَ، وَلا يَنْفَعُ ذَا الْجَدِّ مِنْكَ الْجَدُّ» (٣١٦).

وفي صحيح البخاري عن رفاعة بن رافع رضي الله عنه قال: كنا نصلي يومًا وراء النبي ﷺ فلمّا رفع رأسه من الركعة قال: «سَمِعَ اللهُ لِمَنْ حَمِدَهُ» فقال رجل من ورائه: ربنا ولك الحمد حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه. فلما انصرف قال: «مَنْ

(٣١٢) صحيح: حديث حذيفة ليس فيه التقييد بثلاث مرات. وهو عند مسلم (٧٧٢ فؤاد) (١٧٨٣ قلعجي) وأبو داود (٨٧١) والترمذي (٢٦٢) والنسائي (٢/ ١٩٠) وإنما جاء التقييد بالثلاث في رواية حذيفة عند ابن ماجه (٨٨٨) من طريق ابن لهيعة وهو ضعيف.

والمعروف أن التقييد بثلاث هو من رواية عبد الله بن مسعود، وهي عند أبي داود (٨٨٦) والترمذي (٢٦١) وابن ماجه (٨٩٠) وإسنادها منقطع. لكن قال الترمذي: والعمل على هذا عند أهل العلم. يستحبون ألا ينقص الرجل في الركوع والسجود من ثلاث تسبيحات. ا هـ.

(٣١٣) صحيح: أخرجه البخاري (٧٩٤) ومسلم (٤٨٤ فؤاد) (١٠٦٦ قلعجي).

(٣١٤) صحيح: أخرجه مسلم (٤٨٧ فؤاد) (١٠٧٢ قلعجي) وأبو داود (٨٧٢) والنسائي (٢/ ١٩٠).

(٣١٥) حسن: أخرجه أبو داود (٨٧٣) والنسائي (٢/ ١٩١) وهو حديث حسن.

(٣١٦) صحيح: أخرجه مسلم (٤٧٧ فؤاد) (١٠٥٣ قلعجي) وأبو داود (٨٤٧) والنسائي (٢/ ١٩٨).

المُتَكَلِّم؟ قال: أنا يا رسول الله. قال: «**رَأَيْتُ بِضْعَةً وَثَلاثِينَ مَلَكًا يَبْتَدِرُونَهَا أَيُّهُمْ يَكْتُبُهَا أَوَّلُ**»(٣١٧).

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «**أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الْعَبْدُ مِنْ رَبِّهِ وَهُوَ سَاجِدٌ ؛ فَأَكْثِرُوا الدُّعَاءَ**»(٣١٨).

وعنه رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ كان يقول في سجوده: «**اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي كُلَّهُ دِقَّهُ وَجِلَّهُ وَأَوَّلَهُ وَآخِرَهُ وَعَلانِيَتَهُ وَسِرَّهُ**»(٣١٩).

وقالت عائشة رضي الله عنها: افتقدت النبي ﷺ ذات ليلة، فالتمسته فوقعت يدي على بطن قدميه وهو في المسجد، وهما منصوبتان وهو يقول: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ، وَبِمُعَافَاتِكَ مِنْ عُقُوبَتِكَ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْكَ، لا أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ**»(٣٢٠). روى مسلم هذه الأحاديث.

وفي سنن أبي داود عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: كان رسول الله ﷺ يقول بين السجدتين: «**اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي وَارْحَمْنِي وَاهْدِنِي وَاجْبُرْنِي وَعَافِنِي وَارْزُقْنِي**»(٣٢١).

وفي السنن أيضًا عن حذيفة رضي الله عنه وأرضاه أن رسول الله ﷺ كان يقول بين السجدتين: «**رَبِّ اغْفِرْ لِي رَبِّ اغْفِرْ لِي**»(٣٢٢)

---

(٣١٧) صحيح: أخرجه البخاري (٧٩٩) وأبو داود (٧٧٠) والترمذي (٢/ ١٩٦) من حديث رفاعة بن رافع الزرقي مرفوعًا.

(٣١٨) صحيح: أخرجه مسلم (٤٨٢ فؤاد) (١٠٦٤ قلعجي) وأبو داود (٨٧٥) والنسائي (٢/ ٢٢٦).

(٣١٩) صحيح: أخرجه مسلم (٤٨٣ فؤاد) (١٠٦٥ قلعجي) وأبو داود (٨٧٨).

(٣٢٠) (٣٢٠) صحيح: أخرجه مسلم (٤٨٦ فؤاد) (١٠٧١ قلعجي) وأبو داود (٨٧٩) والنسائي (٢/ ٢٢٢).

(٣٢١) ضعيف: أخرجه أبو داود (٨٥٠) والترمذي (٢٨٤) وابن ماجه (٨٩٨) من حديث ابن عباس. وقال الترمذي: هذا حديث غريب وهكذا رُوي عن علي. اهـ. وليس في روايته «واجبرني وعافني». في رواية أبي داود «وعافني» وفي الترمذي: «واجبرني». ورواه الحاكم (١/ ٢٧١) وصححه ولكن مدار الحديث على كامل بن العلاء التميمي وهو صدوق. قال فيه ابن حبان: كان ممن يقلب الأسانيد ويرفع المراسيل من حيث لا يدري. اهـ. من التهذيب. وقال الترمذي: وروى بعضهم هذا الحديث عن كامل بن العلاء مرسلاً. اهـ.

(٣٢٢) حسن: أخرجه أبو داود (٨٧٤) والنسائي (٢/ ٢٣١) وفي إسناده رجل مجهول. ورواه ابن ماجه (٨٩٧) بإسناد حسن عن حذيفة.

الفصل الثاني عشر
في أدعية الصلاة بعد التشهد

في الصحيحين عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**إِذَا فَرَغَ أَحَدُكُمْ مِنَ التَّشَهُّدِ ؛ فَلْيَتَعَوَّذْ بِاللَّهِ مِنْ أَرْبَعٍ: مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَمِنْ عَذَابِ جَهَنَّمَ، وَمِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ، وَمِنْ شَرِّ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ**» (٣٢٣). وفيهما أيضًا عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ كان يدعو في الصلاة: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْمَأْثَمِ وَالْمَغْرَمِ**» فقال قائل: ما أكثر ما تستعيذ من المغرم؟ فقال: «**إِنَّ الرَّجُلَ إِذَا غَرِمَ: حَدَّثَ فَكَذَبَ، وَوَعَدَ فَأَخْلَفَ**» (٣٢٤).

وقد تقدم في الصحيحين أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه قال لرسول الله ﷺ: علمني دعاء أدعو به في صلاتي، فقال: «**قُلْ: اللَّهُمَّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي ظُلْمًا كَثِيرًا وَلا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلا أَنْتَ ؛ فَاغْفِرْ لِي مَغْفِرَةً مِنْ عِنْدِكَ وَارْحَمْنِي إِنَّكَ أَنْتَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ**» (٣٢٥).

وفي صحيح مسلم من حديث علي رضي الله عنه في صفة صلاة رسول الله ﷺ وقد تقدم بطوله في الفصل العاشر.

وفي سنن أبي داود أن النبي ﷺ قال لرجل: «**كَيْفَ تَقُولُ فِي الصَّلاةِ؟**» قال: أتشهد وأقول: اللهم إني أسألك الجنة وأعوذ بك من النار. أما إني لا أحسن دندنتك ولا دندنة معاذ. فقال النبي ﷺ: «**حَوْلَهَا نُدَنْدِنُ**» (٣٢٦).

وفي المسند والسنن عن شداد بن أوس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ كان يقول في صلاته «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الثَّبَاتَ فِي الأَمْرِ، وَالْعَزِيمَةَ عَلَى الرُّشْدِ، وَأَسْأَلُكَ شُكْرَ نِعْمَتِكَ، وَحُسْنَ عِبَادَتِكَ، وَأَسْأَلُكَ قَلْبًا سَلِيمًا، وَلِسَانًا صَادِقًا، وَأَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ مَا تَعْلَمُ وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا تَعْلَمُ وَأَسْتَغْفِرُكَ لِمَا تَعْلَمُ إِنَّكَ**

---

(٣٢٣) **صحيح**: أخرجه البخاري (١٣٧٧) ومسلم (٥٨٨ فؤاد) (١٣٠١ قلعجي).
(٣٢٤) **صحيح**: أخرجه البخاري (٨٣٢) ومسلم (٥٨٩ فؤاد) (١٣٠٢ قلعجي).
(٣٢٥) **صحيح**: أخرجه البخاري (٨٣٤) ومسلم (٢٧٠٥ فؤاد) (٦٧٤٠ قلعجي).
(٣٢٦) **صحيح**: أخرجه أبو داود (٧٩٢) وابن ماجه (٩١٠) وهو حديث صحيح.

أَنْتَ عَلامُ الْغُيُوبِ» (٣٢٧).

وفي سنن النسائي أن عمار بن ياسر صلى صلاة ودعا فيها بدعوات وقال: سمعتهن من رسول الله ﷺ: «اللَّهُمَّ بِعِلْمِكَ الْغَيْبَ، وَقُدْرَتِكَ عَلَى الْخَلْقِ، أَحْيِنِي إِذَا عَلِمْتَ الْحَيَاةَ خَيْرًا لِي، وَتَوَفَّنِي إِذَا عَلِمْتَ الْوَفَاةَ خَيْرًا لِي، اللَّهُمَّ إِني أَسْأَلُكَ خَشْيَتَكَ فِي الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، وَأَسْأَلُكَ كَلِمَةَ الْحَقِّ فِي الْغَضَبِ وَالرِّضَا، وَأَسْأَلُكَ الْقَصْدَ فِي الْفَقْرِ وَالْغِنَى، وَأَسْأَلُكَ نَعِيمًا لا يَنْفَدُ، وَأَسْأَلُكَ قُرَّةَ عَيْنٍ لا تَنْقَطِعُ، وَأَسْأَلُكَ الرِّضَاءَ بَعْدَ الْقَضَاءِ، وَأَسْأَلُكَ بَرْدَ الْعَيْشِ بَعْدَ الْمَوْتِ، وَأَسْأَلُكَ لَذَّةَ النَّظَرِ إِلَى وَجْهِكَ الْكَرِيمِ، وَالشَّوْقَ إِلَى لِقَائِكَ مِنْ غَيْرِ ضَرَّاءَ مُضِرَّةٍ، وَلا فِتْنَةٍ مُضِلَّةٍ، اللَّهُمَّ زَيِّنَّا بِزِينَةِ الإِيمَانِ وَاجْعَلْنَا مُهْتَدِينَ» (٣٢٨).

* * *

الفصل الثالث عشر
في الأذكار المشروعة بعد السلام، وهو أدبار السجود

وفي صحيح مسلم عن ثوبان رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ إذا انصرف من صلاته استغفر الله ثلاثًا وقال: «اللَّهُمَّ أَنْتَ السَّلامُ وَمِنْكَ السَّلامُ تَبَارَكْتَ ذَا الْجَلالِ وَالإِكْرَامِ» (٣٢٩). وفي الصحيحين عن المغيرة بن شعبة أن رسول الله ﷺ كان إذا فرغ من الصلاة قال: «لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، اللَّهُمَّ لا مَانِعَ لِمَا أَعْطَيْتَ، وَلا مُعْطِيَ لِمَا مَنَعْتَ، وَلا يَنْفَعُ ذَا الْجَدِّ مِنْكَ الْجَدُّ» (٣٣٠).

وفي صحيح مسلم عن عبد الله بن الزبير رضي الله تعالى عنهما أن رسول الله ﷺ كان يهلل دبر كل صلاة حين يسلم بهؤلاء الكلمات: «لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ وَحْدَهُ لا

(٣٢٧) **صحيح من غير ذكر الصلاة**: أخرجه أحمد (٤/ ١٢٣) بإسناد صحيح من طريق حسان بن عطية عن شداد بن أوس. وليس فيه أن ذلك في الصلاة، وإنما ذلك عند أحمد (٤/ ١٢٥) عن أبي العلاء بن الشخير عن الحنظلي رجل مجهول عن شداد، وبهذا الإسناد عند الترمذي (٨/ ٣٤) ورواه النسائي (٣/ ٥٤) من طريق أبي العلاء عن شداد، وهي رواية معلولة بما عند الترمذي وأحمد.

(٣٢٨) **حسن**: أخرجه النسائي (٣/ ٥٤، ٥٥) وهو حديث حسن من حديث عمار بن ياسر مرفوعًا.

(٣٢٩) **صحيح**: أخرجه مسلم (٥٩١ فؤاد) (١٣١٠ قلعجي) وأبو داود (١٥١٣) والترمذي (٣٠٠) والنسائي (٣/ ٦٨) وابن ماجه (٩٢٨).

(٣٣٠) **صحيح**: أخرجه البخاري (٨٤٤) ومسلم (٥٩٣ فؤاد) (١٣١٤ قلعجي).

شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، لا حَوْلَ وَلا قُوَّةَ إلا بِاللَّهِ، لا إِلَهَ إلا اللَّهُ وَلا نَعْبُدُ إلا إِيَّاهُ، لَهُ النِّعْمَةُ وَلَهُ الْفَضْلُ وَلَهُ الثَّنَاءُ الْحَسَنُ، لا إِلَهَ إلا اللَّهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ» (٣٣١).

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ قال: **«مَنْ سَبَّحَ اللَّهَ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلاةٍ ثَلاثًا وَثَلاثِينَ، وَحَمِدَ اللَّهَ ثَلاثًا وَثَلاثِينَ، وَكَبَّرَ اللَّهَ ثَلاثًا وَثَلاثِينَ فَتِلْكَ تِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ، وَقَالَ تَمَامَ الْمِائَةِ: لا إِلَهَ إلا اللَّهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ؛ غُفِرَتْ خَطَايَاهُ وَإِنْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ»** (٣٣٢).

وفي السنن عن عبد الله بن عمرو عن النبي ﷺ قال: **«خَصْلَتَانِ أَوْ خَلَّتَانِ لا يُحَافِظُ عَلَيْهِمَا عَبْدٌ مُسْلِمٌ إلا دَخَلَ الْجَنَّةَ، هُمَا يَسِيرٌ وَمَنْ يَعْمَلُ بِهِمَا قَلِيلٌ: يُسَبِّحُ اللهَ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلاةٍ عَشْرًا وَيَحْمَدُ عَشْرًا وَيُكَبِّرُ عَشْرًا، فَذَلِكَ خَمْسُونَ وَمِائَةٌ بِاللِّسَانِ وَأَلْفٌ وَخَمْسُمِائَةٍ فِي الْمِيزَانِ، وَيُكَبِّرُ أَرْبَعًا وَثَلاثِينَ إِذَا أَخَذَ مَضْجَعَهُ، وَيَحْمَدُ ثَلاثًا وَثَلاثِينَ، وَيُسَبِّحُ ثَلاثًا وَثَلاثِينَ؛ فَذَلِكَ مِائَةٌ بِاللِّسَانِ وَأَلْفٌ فِي الْمِيزَانِ»**. قال: ولقد رأيت رسول الله ﷺ يعقدها بيده. قالوا: يا رسول الله، كيف هما يسير ومن يعمل بهما قليل؟ قال: **«يَأْتِي أَحَدَكُمْ - يَعْنِي الشَّيْطَانَ - فِي مَنَامِهِ فَيُنَوِّمُهُ قَبْلَ أَنْ يَقُولَهُما، وَيَأْتِيهِ فِي صَلاتِهِ فَيُذَكِّرُهُ حاجَته قَبْلَ أَنْ يَقُولَهَا»** (٣٣٣).

وفي السنن عن عقبة بن عامر قال: أمرني رسول الله ﷺ أن أقرأ بالمعوذتين دبر كل صلاة (٣٣٤).

---

(٣٣١) صحيح أخرجه مسلم (٥٩٤ فؤاد) (١٣١٩ قلعجي) وأبو داود (١٥٠٦) والنسائي (٣/ ٦٩، ٧٠).

(٣٣٢) صحيح: أخرجه مسلم (٥٩٧ فؤاد) (١٣٢٨ قلعجي).

وللتسبيح بعد الصلاة صفات أخر - وذلك محمول على التنوع - منها: ثلاث وثلاثون تسبيحة، وثلاث وثلاثون تحميدة، وأربع وثلاثون تكبيرة: أخرجه مسلم وغيره. ومنها: أن يجعل ذلك جملة واحدة «سبحان الله والحمد لله والله أكبر» ثلاث وثلاثين أخرجه البخاري ومسلم.

ومنها أن يضيف لذلك التهليل وتجعل منهن خمسًا وعشرين. رواه النسائي وهو صحيح.

(٣٣٣) صحيح: أخرجه أبو داود (٥٠٦٥) والترمذي (٣٤٢١) والنسائي (٣/ ٧٤) وابن ماجه (٩٢٦) وهو صحيح.

(٣٣٤) حسن: أخرجه أبو داود (١٥٢٣) والترمذي (٢٩١٢) والنسائي (٣/ ٦٨) وهو حديث حسن.

وفي النسائي الكبير عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ قَرَأَ آيَةَ الكُرْسِي عَقِبَ كُلِ صَلاةٍ لَمْ يَمْنَعَه مِنْ دُخُولِ الجَنَّةِ إلا أَنْ يَمُوت**»(٣٣٥) . يعني: لم يكن بينه وبين دخول الجنة إلا الموت

* * *

(٣٣٥) أخرجه النسائي في الكبرى (٦/ ٣٠) رقم (٩٩٢٨) وابن السني في عمل اليوم والليلة ص (٤٨) رقم (١٢٣).

قال ابن القيم في زاد المعاد (١/ ٣٠٣): «وقد ذكر النسائي في السنن الكبرى من حديث أبي أمامة قال: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ آية الكرسي في دبر كل صلاة مكتوبة لم يمنعه من دخول الجنة إلا أن يموت». وهذا الحديث تفرد به محمد بن حمير عن محمد بن زياد الألهاني عن أبي أمامة. ورواه النسائي عن الحسين بن بشر عن محمد بن حمير. وهذا الحديث من الناس من يصححه ويقول: الحسين بن بشر قد قال فيه النسائي. لا بأس به وفي موضع آخر: ثقة. وأما المحمدان فاحتج بهما البخاري في صحيحه قالوا: فالحديث على رسمه. ومنهم من يقول: هو موضوع، وأدخله أبو الفرج بن الجوزي في كتابه في الموضوعات. وتعلق على محمد بن حمير، وأن أبا حاتم الرازي قال: لا يحتج به. وقال يعقوب بن سفيان: ليس بقوي. وأنكر ذلك عليه بعض الحفاظ ووثقوا محمدًا وقال: هو أَجَلُّ من أن يكون له حديث موضوع، وقد احتج به أَجَلُّ من صنف في الحديث الصحيح وهو البخاري. ووثقه أشد الناس مقالة في الرجال يحيى بن معين. وقد رواه الطبراني في معجمه أيضًا من حديث عبد الله بن حسن عن أبيه عن جده قال: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ آية الكرسي في دبر الصلاة المكتوبة: كان في ذمة الله إلى الصلاة الأخرى». وقد رُوي هذا الحديث من حديث أبي أمامة، وعلي بن أبي طالب، وعبد الله بن عمر، والمغيرة بن شعبة، وجابر بن عبد الله، وأنس بن مالك وفيها كلها ضعف ولكن إذا انضم بعضها إلى بعض مع تباين طرقها واختلاف مخارجها ودلت على أن الحديث له أصل وليس بموضوع. وبلغني عن شيخنا أبي العباس بن تيمية قدس الله روحه أنه قال: ما تركتها عقيب كل صلاة ا هـ. وقد حسنه شيخنا أبو عبد الله مصطفى العدوي - حفظ الله -.

أذكار أخرى بعد الصلاة لم يذكرها المصنف وهي صحيحة:

فمن ذلك: اللهم إني أعوذ بك من الجبن، وأعوذ بك من البخل، وأعوذ بك أن أرد إلى أرذل العمر. وأعوذ بك من فتنة الدنيا، وأعوذ بك من عذاب القبر. أخرجه البخاري.

- اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك. أخرجه أبو داود وهو صحيح.
- اللهم إني أعوذ بك من الكفر والفقر وعذاب القبر أخرجه النسائي وهو حسن ولعل المصنف لم يذكرها للخلاف في معنى الدبر الوارد فيها؛ فمن الناس من يرى أن موضعها قبل السلام وبعد التشهد. ومنهم من يرى أنها بعد السلام.

قال ابن القيم في زاد المعاد (١/ ٣٠٥) ودبر الصلاة يحتمل قبل السلام وبعده، وكان شيخنا يرجح أن يكون قبل السلام، فراجعته فيه فقال: دبر كل شيء منه كدبر الحيوان. ا هـ.

الفصل الرابع عشر
في ذكر التشهد

في الصحيحين عن عبد الله بن مسعود قال: علمني رسول الله ﷺ التشهد - وكفي بين كفيه - كما يعلمني السورة من القرآن: «**التَّحِيَّاتُ لِلَّهِ وَالصَّلَوَاتُ وَالطَّيِّبَاتُ، السَّلامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ، السَّلامُ عَلَيْنَا وَعَلَى عِبَادِ اللَّهِ الصَّالِحِينَ، أَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إلا اللَّهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ**»(٣٣٦).

وفي صحيح مسلم عن ابن عباس قال: كان رسول الله ﷺ يعلمنا التشهد كما يعلمنا السورة من القرآن وكان يقول: «**التَّحِيَّاتُ الْمُبَارَكَاتُ الصَّلَوَاتُ الطَّيِّبَاتُ لِلَّهِ، السَّلامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ، السَّلامُ عَلَيْنَا وَعَلَى عِبَادِ اللَّهِ الصَّالِحِينَ، أَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إلا اللَّهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ**»(٣٣٧).

وفي صحيح مسلم عن أبي موسى أن النبي ﷺ علمهم التشهد: «**التَّحِيَّاتُ الطَّيِّبَاتُ والصَّلَوَاتُ لِلَّهِ، السَّلامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ، السَّلامُ عَلَيْنَا وَعَلَى عِبَادِ اللهِ الصَّالِحِينَ، أَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إلا اللَّهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ**»(٣٣٨).

وروى أبو داود عن ابن عمر بن الخطاب عن رسول الله ﷺ في التشهد: «**التَّحِيَّاتُ لِلَّهِ والصَّلَوَاتُ الطَّيِّبَاتُ، السَّلامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ، أَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إلا اللَّهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ**»(٣٣٩).

وروى أبو داود عن سمرة بن جندب: أما بعد. أمرنا رسول الله ﷺ: إذا كان في وسط الصلاة أو حين انقضائها فابدءوا قبل السلام فقولوا: «**التَّحِيَّاتُ الطَّيِّبَاتُ وَالصَّلَوَاتُ وَالْمُلْكُ لِلَّهِ ثُمَّ سَلِّمُوا عَلَى الْيَمِينِ ثُمَّ سَلِّمُوا عَلَى قَارِئِكُمْ وَعَلَى**

(٣٣٦) **صحيح**: أخرجه البخاري (٨٣١) ومسلم (٤٠٢ فؤاد) (٨٧٦ قلعجي).

(٣٣٧) **صحيح**: أخرجه مسلم (٤٠٣ فؤاد) (٨٧٧ قلعجي) وأبو داود (٩٧٤) والترمذي (٢٩٠) والنسائي (٢/ ٢٤٢) وابن ماجه (٩٠٠).

(٣٣٨) **صحيح**: أخرجه مسلم (٤٠٤ فؤاد) (٨٧٩ قلعجي) وأبو داود (٩٧٢) والنسائي (٢/ ٢٤١) وابن ماجه (٩٠١).

(٣٣٩) **صحيح الإسناد**: في الأصل عن عمر بن الخطاب وهو تحريف من الناسخ أو سهو من المصنف، وإنما رواه أبو داود (٩٧١) من حديث عبد الله بن عمر وهو صحيح الإسناد ولفظه «وبركاته» في الحديث هي زيادة من ابن عمر وليست في المرفوع.

أَنْفُسِكُمْ» (٣٤٠).

وذكر مالك في الموطأ أن عمر كان يعلم الناس التشهد وهو على المنبر يقول: قولوا التحيات لله الزاكيات لله الصلوات الطيبات لله، السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته، السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين، أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله (٣٤١).

فأي تشهد أتى به من هذه التشهدات أجزأه. وذهب الإمام أحمد وأبو حنيفة إلى تشهد ابن مسعود، وذهب الشافعي إلى تشهد ابن عباس، وذهب مالك إلى تشهد عمر رضي الله عنه، والكل كافٍ يجزئ.

الفصل الخامس عشر
في ذكر الصلاة على النبي ﷺ

في الصحيحين عن كعب بن عجرة رضي الله عنه قال: خرج علينا رسول الله ﷺ فقلنا: قد عرفنا كيف نسلم عليك، فكيف نصلي عليك؟ قال: «**قُولُوا: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ، اللَّهُمَّ بَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ كَمَا بَارَكْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ**» (٣٤٢).

وفي الصحيحين أيضًا عن أبي حميد الساعدي أنهم قالوا: يا رسول الله، كيف نصلي عليك؟ قال: «**قُولُوا: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى أَزْوَاجِهِ وَذُرِّيَّتِهِ كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى أَزْوَاجِهِ وَذُرِّيَّتِهِ كَمَا بَارَكْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ**» (٣٤٣).

وفي صحيح مسلم عن أبي مسعود الأنصاري قال: أتانا رسول الله ﷺ ونحن في

---

(٣٤٠) **ضعيف**: أخرجه أبو داود (٩٧٥) وهو ضعيف من طريق نسليمان بن موسى الزهري عن جعفر بن سعد بن سمرة عن خبيب بن سليمان بإسناده. وسليمان لين، وجعفر فيه ضعف، وخبيب مجهول.

(٣٤١) **صحيح موقوفًا**: أخرجه مالك في الموطأ ص (٩٠) كتاب الصلاة، باب في التشهد في الصلاة. ومن طريقه أخرجه الشافعي في الرسالة ص (٢٦٨) رقم (٧٣٨) وهو صحيح موقوفًا، وقد وقع في الأصل هذا: الصلوات الطيبات. والتصويب من الموطأ والرسالة: الطيبات الصلوات لله.

(٣٤٢) **صحيح**: أخرجه البخاري (٣٣٧٠) ومسلم (٤٠٦ فؤاد) (٨٨٣ قلعجي).

(٣٤٣) **صحيح**: أخرجه البخاري (٣٣٦٩) ومسلم (٤٠٧ فؤاد) (٨٨٦ قلعجي).

مجلس سعد بن عبادة، فقال له بشير بن سعد: أمرنا الله أن نصلي عليك يا رسول الله، كيف نصلي عليك ؟ قال: فسكت رسول الله ﷺ حتى تمنينا أنه لم يسأله. ثم قال رسول الله ﷺ : «**قُولُوا: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ كَمَا بَارَكْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ فِي الْعَالَمِينَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ وَالسَّلامُ كَمَا قَدْ عَلِمْتُمْ**»(٣٤٤) .

وذكر ابن ماجه في سننه: عن عبد الله بن مسعود قال: إِذَا صَلَّيْتُمْ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَأَحْسِنُوا الصَّلاةَ عَلَيْهِ فَإِنَّكُمْ لا تَدْرُونَ لَعَلَّ ذَلِكَ يُعْرَضُ عَلَيْهِ. قَالَ: فَقَالُوا لَهُ: فَعَلِّمْنَا. قَالَ: قُولُوا: اللَّهُمَّ اجْعَلْ صَلاتَكَ وَرَحْمَتَكَ وَبَرَكَاتِكَ عَلَى سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ وَإِمَامِ الْمُتَّقِينَ وَخَاتَمِ النَّبِيِّينَ مُحَمَّدٍ عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ إِمَامِ الْخَيْرِ وَقَائِدِ الْخَيْرِ وَرَسُولِ الرَّحْمَةِ، اللَّهُمَّ ابْعَثْهُ مَقَامًا مَحْمُودًا يَغْبِطُهُ بِهِ الأَوَّلُونَ وَالآخِرُونَ، اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ، اللَّهُمَّ بَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ كَمَا بَارَكْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ(٣٤٥) .

الفصل السادس عشر
في الاستخارة

في صحيح البخاري عن جابر قال: كان رسول الله ﷺ يعلمنا الاستخارة في الأمر كما يعلمنا السورة من القرآن، يقول: «**إِذَا هَمَّ أَحَدُكُمْ بِالأَمْرِ ؛ فَلْيَرْكَعْ رَكْعَتَيْنِ مِنْ غَيْرِ الْفَرِيضَةِ، ثُمَّ لِيَقُلْ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَخِيرُكَ بِعِلْمِكَ وَأَسْتَقْدِرُكَ بِقُدْرَتِكَ وَأَسْأَلُكَ مِنْ فَضْلِكَ الْعَظِيمِ ؛ فَإِنَّكَ تَقْدِرُ وَلا أَقْدِرُ، وَتَعْلَمُ وَلا أَعْلَمُ، وَأَنْتَ عَلامُ الْغُيُوبِ، اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ هَذَا الأَمْرَ - ويسمي حاجته - خَيْرٌ لِي فِي دِينِي وَمَعَاشِي وَعَاقِبَةِ أَمْرِي - أَوْ قَالَ عَاجِلِ أَمْرِي وَآجِلِهِ - فَاقْدُرْهُ لِي وَيَسِّرْهُ لِي ثُمَّ بَارِكْ لِي فِيهِ، وَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ هَذَا الأَمْرَ شَرٌّ لِي فِي دِينِي وَمَعَاشِي وَعَاقِبَةِ أَمْرِي - أَوْ قَالَ فِي عَاجِلِ أَمْرِي وَآجِلِهِ - فَاصْرِفْهُ عَنِّي وَاصْرِفْنِي**

---

(٣٤٤) صحيح: أخرجه مسلم (٤٠٥ فؤاد) (٨٨٢ قلعجي) وأبو داود (٩٨٠) والترمذي (٣٢٣١) والنسائي (٣/ ٤٥).

(٣٤٥) ضعيف: أخرجه ابن ماجه (٩٠٦) وإسناده ضعيف، وهو موقوف على ابن مسعود.

عَنْهُ، وَاقْدُرْ لِي الْخَيْرَ حَيْثُ كَانَ ثُم أرْضِنِي بِهِ» (٣٤٦).

وفي مسند الإمام أحمد من حديث سعد بن أبي وقاص عن النبي ﷺ أنه قال: **«مِنْ سَعَادَةِ ابْنِ آدَمَ اسْتِخَارَةُ اللَّهِ، وَمِنْ سَعَادَةِ ابْنِ آدَمَ رِضَاهُ بِمَا قَضَاهُ اللَّهُ، وَمِنْ شِقْوَةِ ابْنِ آدَمَ تَرْكُهُ اسْتِخَارَةَ اللَّهِ، وَمِنْ شِقْوَةِ ابْنِ آدَمَ سَخَطُهُ بِمَا قَضَى اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ»** (٣٤٧).

وكان شيخ الإسلام ابن تيمية رضي الله عنه يقول: ما ندم من استخار الخالق، وشاور المخلوقين، وثبت في أمره. وقد قال سبحانه وتعالى: **﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِۚ﴾** [آل عمران: ١٥٩] وقال قتادة: ما تشاور قوم يبتغون وجه الله إلا هدوا إلى أرشد أمرهم (٣٤٨).

* * *

الفصل السابع عشر
في أذكار الكرب والغم والحزن والهم

وفي الصحيحين عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ كان يقول عند الكرب: **«لا إِلَهَ إلا اللَّهُ الْعَظِيمُ الْحَلِيمُ، لا إِلَهَ إلا اللَّهُ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ، لا إِلَهَ إلا اللَّهُ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَرَبُّ الأَرْضِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ»** (٣٤٩).

وفي الترمذي عن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ كان إذا حزبه أمر قال: **«يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ بِرَحْمَتِكَ أَسْتَغِيثُ»** (٣٥٠). وفيه أيضًا عن أبي هريرة أن النبي ﷺ كان إذا أهمه الأمر رفع رأسه إلى السماء فقال: **«سُبْحَانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ»** وإذا اجتهد

---

(٣٤٦) صحيح: أخرجه البخاري (٦٣٨٢) وأبو داود (١٥٣٨) والترمذي (٤٧٩) والنسائي (٦/ ٨٠) وابن ماجه (١٣٨٣).

(٣٤٧) ضعيف: أخرجه أحمد (١/ ١٦٨) والترمذي (٢١٥٨) وقال هذا حديث غريب اهـ. محمد بن أبي حميد ضعيف.

(٣٤٨) أخرجه ابن أبي حاتم (٣/ ٤٩٦) برقم (٨١٢٩) عن الحسن البصري من كلامه وبنحوه عن قتادة بمعناه برقم (٨١٢٥).

(٣٤٩) صحيح: أخرجه البخاري (٦٣٤٥) ومسلم (٢٧٣٠ فؤاد) (٦٧٨٩ قلعجي).

(٣٥٠) ضعيف: أخرجه الترمذي (٣٥٣٥) وقال: هذا حديث غريب اهـ. وفي إسناده يزيد الرقاشي ضعيف.

في الدعاء قال: «**يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ**» (٣٥١).

وفي سنن أبي داود عن أبي بكرة أن رسول الله ﷺ قال: «**دَعَوَاتُ المَكْرُوبِ: اللَّهُمَّ رَحْمَتَكَ أَرْجُو فَلا تَكِلْنِي إِلَى نَفْسِي طَرْفَةَ عَيْنٍ، وَأَصْلِحْ لِي شَأْنِي كُلَّهُ لا إِلَهَ إِلا أَنْتَ**» (٣٥٢).

وفي السنن أيضًا عن أسماء بنت عميس قالت: قال رسول الله ﷺ: «**أَلا أُعَلِّمُكِ كَلِمَاتٍ تَقُولِينَهُنَّ عِنْدَ الْكَرْبِ - أَوْ فِي الْكَرْبِ - أَللَّهُ أَللَّهُ رَبِّي لا أُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا**»(٣٥٣). وفي رواية أنها تقال: سبع مرات (٣٥٤).

وفي الترمذي عن سعد بن أبي وقاص قال: قال رسول الله ﷺ: «**دَعْوَةُ ذِي النُّونِ إِذْ دَعَا وَهُوَ فِي بَطْنِ الْحُوتِ: لا إِلَهَ إِلا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ لَمْ يَدْعُ بِهَا رَجُلٌ مُسْلِمٌ فِي شَيْءٍ قَطُّ إِلا اسْتُجِبَ لَهُ**» (٣٥٥) وفي رواية: «**إِنِي لأَعلَمُ كَلِمَةً لا يَقُولُهَا مَكْرُوبٌ إِلا فَرَّجَ اللهُ عَنه: كَلِمَةُ أَخِي يُونُسَ عَلَيْه السَّلامُ**» (٣٥٦).

وفي مسند الإمام أحمد وصحيح ابن حبان عن عبد الله بن مسعود عن النبي ﷺ قال: «**مَا أَصَابَ عَبْدًا هَمٌّ وَلا حَزَنٌ فَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنِّي عَبْدُكَ وَابْنُ عَبْدِكَ وَابْنُ أَمَتِكَ، نَاصِيَتِي بِيَدِكَ، مَاضٍ فِيَّ حُكْمُكَ، عَدْلٌ فِيَّ قَضَاؤُكَ، أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ أَوْ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ أَنْ تَجْعَلَ الْقُرْآنَ رَبِيعَ قَلْبِي وَنُورَ صَدْرِي وَجِلاءَ حُزْنِي وَذَهَابَ هَمِّي ؛ إِلا أَذْهَبَ اللَّهُ هَمَّهُ وَحُزْنَهُ وَأَبْدَلَهُ مَكَانَهُ**

---

(٣٥١) **ضعيف**: أخرجه الترمذي (٣٤٤٧) وقال: حسن غريب ا هـ. وفي إسناده إبراهيم بن الفضل متروك.

(٣٥٢) **ضعيف**: أخرجه أبو داود (٥٠٩٠) وأحمد (٥/ ٤٢) وفي إسناده جعفر بن ميمون التميمي لا يقوى على التفرد.

(٣٥٣) **حسن الإسناد**: أخرجه أبو داود (١٥٢٥) وابن ماجه (٣٨٨٢) وهو حديث إسناده حسن وليس فيه ذكر العدد.

(٣٥٤) **صحيح**: رواه أبو داود، كتاب الصلاة، باب: في الاستغفار، حديث (١٥٢٥)، وابن ماجه، حديث (٣٨٨٢)، عن عائشة. وقول ابن القيم رحمه الله: سبع مرات. لا أصل له، والصحيح أنها تقال ثلاث مرات. انظر صحيح أبي داود، والصحيحة (٢٧٥٥).

(٣٥٥) **صحيح**: أخرجه الترمذي (٣٥١٦) وأحمد (١/ ١٧٠) وهو صحيح.

(٣٥٦) **ضعيف بهذا اللفظ**: أخرجه ابن السني في عمل اليوم والليلة ص (١٢٤) برقم (٣٤٣) وفي إسناده عمرو بن الحصين متروك.

فَرَجًا» (٣٥٧)

* * *

الفصل الثامن عشر
في الأذكار الجالبة للرزق الدافعة للضيق والأذى

قال الله سبحانه وتعالى عن نبيه نوح ﷺ:

﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّـٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَـٰرًا﴾ [نوح: ١٠-١٢] وفي بعض المسانيد عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال: «**مَنْ لَزِمَ الاسْتِغْفَارَ جَعَلَ اللَّهُ لَهُ مِنْ كُلِّ هَمٍّ فَرَجًا، وَمِنْ كُلِّ ضِيقٍ مَخْرَجًا، وَرَزَقَهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ**» (٣٥٨).

وذكر أبو عمر بن عبد البر في (التمهيد) له حديثًا مرفوعًا إلى النبي ﷺ: «**مَنْ قَرَأَ سُورَةَ الوَاقِعَةِ كُل يَومٍ لم تُصِبْه فَاقَة أبدًا**» (٣٥٩).

* * *

الفصل التاسع عشر
في الذكر عند لقاء العدو ومن يخاف سلطانًا وغيره

في سنن أبي داود والنسائي عن أبي موسى أن النبي ﷺ كان إذا خاف قومًا قال «**اللَّهُمَّ إِنَّا نَجْعَلُكَ فِي نُحُورِهِمْ وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ شُرُورِهِمْ**» (٣٦٠).

ويذكر عن النبي ﷺ أنه كان يقول عند لقاء العدو: «**اللَّهُمَّ أَنْتَ عَضُدِي وَأَنْتَ نَاصِرِي، وَبِكَ أُقَاتِلُ**» (٣٦١).

---

(٣٥٧) **حسن**: أخرجه أحمد (١/ ٣٩١، ٤٥٢) وهو حديث حسن.

(٣٥٨) **ضعيف الإسناد**: أخرجه (١٥١٨) وابن ماجه (٣٨١٩) وفي إسناده الحكم بن مصعب مجهول. فالحديث ضعيف الإسناد.

(٣٥٩) **ضعيف**: أخرجه البيهقي في الشعب (٢/ ٤٩١، ٤٩٢) برقم (٢٤٩٧، ٢٤٩٨، ٢٤٩٩، ٢٥٠٠) من طريق شجاع عن أبي ظبية عن عبد الله بن مسعود مرفوعًا. وإسناده ضعيف.

(٣٦٠) **رجاله ثقات**: أخرجه أبو داود (١٥٣٧) وأحمد (٤/ ٤١٤، ٤١٥) من طريق قتادة عن أبي بردة عن أبيه أبي موسى الأشعري، وهو حديث رجاله ثقات، لكن قتادة يدلس.

(٣٦١) **صحيح الإسناد**: أخرجه أبو داود (٢٦٣٢) والترمذي (٣٥٩٥) واللفظ له وقال: حسن

وعنه ﷺ أنه كان في غزوة فقال: «**يَا مَالِكِ يَوم الدِّينِ إِيَّاكَ أَعْبدُ وَإِيَّاكَ أَسْتَعِينُ**». قال أنس: فلقد رأيت الرجال تصرعها الملائكة من بين يديها ومن خلفها (٣٦٢).

وعن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ «**إِذَا خِفْتَ سُلْطَانًا أَوْ غَيْرَه فَقُل: لا إِلَه إِلا اللهُ الحَلِيمُ الكَرِيمُ، سُبْحَانَ اللهِ رَبِّ السَّموَاتِ السَّبْعِ وَرَبِّ العَرْشِ العَظِيمِ، لا إِلَه إِلا أَنْتَ عَزَّ جَارُكَ، وَجَلَّ ثَنَاؤكَ**» (٣٦٣).

وفي صحيح البخاري عن ابن عباس قال: حسبنا الله ونعم الوكيل قالها إبراهيم ﷺ حين ألقي في النار. وقالها محمد ﷺ حين قال له الناس: ﴿إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ﴾ » (٣٦٤) [آل عمران: ١٧٣]

* * *

الفصل العشرون
في الأذكار التي تطرد الشيطان

قد تقدم أن من قرأ آية الكرسي عند نومه لم يقربه شيطان، وأن من قرأ الآيتين من آخر سورة البقرة كفتاه، ومن قال في يوم مائة مرة: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، كانت له حرزًا من الشيطان يومه كله. وقد قال تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ﴾ [المؤمنون: ٩٨، ٩٧]

وكان النبي ﷺ يقول: «**أَعُوذُ بِاللَّهِ السَّمِيعِ الْعَلِيمِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ مِنْ هَمْزِهِ**

غريب. ا هـ. وهو صحيح الإسناد من حديث أنس، وله شاهد عند أحمد (٦/ ١٦) من حديث صهيب.

(٣٦٢) ضعيف: أخرجه ابن السني في عمل اليوم والليلة ص (١٢٠) برقم (٣٣٤) عن أنس بن مالك، وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد (٥/ ٣٢٨) عن أبي طلحة وقال رواه الطبراني في الأوسط، وفيه عبد السلام بن هاشم وهو ضعيف.

(٣٦٣) ضعيف: أخرجه ابن السني في عمل اليوم والليلة ص (١٢٤) رقم (٣٤٥) من طريق محمد بن عبد الرحمن البيلماني عن أبيه عن ابن عمر مرفوعًا. وابن البيلماني وأبوه ضعيفان.

(٣٦٤) صحيح: أخرجه البخاري (٤٥٦٣) من حديث ابن عباس.

وَنَفْخِهِ وَنَفْثِهِ» (٣٦٥) . وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [فصلت: ٣٦] والأذان يطرد الشيطان كما تقدم.

وعن زيد بن أسلم أنه ولي معادن فذكروا كثرة الجن فأمرهم أن يؤذنوا كل وقت ويكثروا من ذلك، فلم يكونوا يرون بعد ذلك شيئًا (٣٦٦) .

وفي صحيح مسلم عن عثمان بن أبي العاص رضي الله عنه أنه قال: يا رسول الله، إن الشيطان حال بيني وبين صلاتي وبين قراءتي يلبسها عليَّ، فقال رسول الله ﷺ: «**ذَاكَ شَيطَانٌ يُقَالُ لَهُ خَنزَبٌ، فَإذَا أَحْسَسْتَهُ فَتَعَوَّذْ بِاللَّهِ مِنْهُ، وَاتْفِلْ عَلَى يَسَارِكَ ثَلاثًا**» ففعلت ذلك فأذهبه الله عز وجل عني (٣٦٧) .

وأمر ابن عباس رجلاً وجد في نفسه شيئًا من الوسوسة والشك أن يقرأ: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الحديد: ٣] (٣٦٨) . ومن أعظم ما يندفع به شره قراءة المعوذتين وأول الصافات وآخر الحشر.

* * *

الفصل الحادي والعشرون

في الذكر الذي تحفظ به النعم وما يقال عند تجددها

قال الله سبحانه وتعالى في قصة الرجلين: ﴿وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾ [الكهف: ٣٩] فينبغي لمن دخل بستانه أو داره أو رأى في ماله وأهله ما يعجبه أن يبادر إلى هذه الكلمة، فإنه لا يرى فيه سوءًا.

وعن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما أنعم الله على عبد نعمة في أهل ومال وولد فقال: ﴿مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾ فيرى فيه آفة دون الموت**» (٣٦٩) .

وعنه ﷺ أنه كان إذا رأى ما يسره قال: «**الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي بِنِعْمَتِهِ تَتِمُّ**

(٣٦٥) صحيح: أخرجه أبو داود (٧٦٤، ٧٦٥) وابن ماجه (٨٠٧) من حديث جبير بن مطعم مرفوعًا وهو صحيح.
(٣٦٦) لم أقف عليه.
(٣٦٧) صحيح: أخرجه مسلم (٢٢٠٣ فؤاد) (٥٦٣٤ قلعجي) من حديث عثمان بن أبي العاص الثقفي مرفوعًا.
(٣٦٨) أثر ابن عباس أخرجه أبو داود (٥١١٠) وإسناده حسن.
(٣٦٩) ضعيف: أخرجه ابن السني في عمل اليوم والليلة ص (١٢٨) رقم (٣٥٧) من طريق

الصَّالِحَاتُ، وَإِذَا رَأَى مَا يَسُوؤه قَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى كُلِّ حَالٍ» (٣٧٠)

* * *

الفصل الثاني والعشرون
في الذكر عند المصيبة

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾ [البقرة: ١٥٥، ١٥٧]

ويذكر عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «وَلْيسترْجِعْ أَحَدُكُمْ فِي كُلِّ شَيءٍ حَتَى فِي شِسْعِ نَعْلِه ؛ فَإِنَهَا مِنَ المَصَائِبِ» (٣٧١).

وقالت أم سلمة: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «مَا مِنْ عَبْدٍ تُصِيبُهُ مُصِيبَةٌ فَيَقُولُ: إِنَا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ، اللَّهُمَّ أَجُرْنِي فِي مُصِيبَتِي وَأَخْلِفْ لِي خَيْرًا مِنْهَا؛ إِلا أَجَرَهُ اللَّهُ فِي مُصِيبَتِهِ وَأَخْلَفَ لَهُ خَيْرًا مِنْهَا» قالت: فلما توفي أبو سلمة قلت كما أمرني رسول الله ﷺ فأخلف الله لي خيرًا منه، رسول الله ﷺ (٣٧٢).

وروي أيضًا عنها رضي الله عنها قالت: «دَخَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَى أَبِي سَلَمَةَ وَقَدْ شَق بَصَرُه، فَأَغْمَضَه ثُم قَالَ: «إِنَّ الرُوحَ إِذَا قُبِضَ تَبِعَهُ الْبَصَرُ» فضج ناس من أهله فقال: «لا تَدْعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ إِلا بِخَيْرٍ فَإِنَّ الْمَلائِكَةَ يُؤَمِّنُونَ عَلَى مَا تَقُولُونَ» ثم قال: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لأَبِي سَلَمَةَ، وَارْفَعْ دَرَجَتَهُ فِي الْمَهْدِيِّينَ، وَاخْلُفْهُ فِي عَقِبِهِ فِي الْغَابِرِينَ وَاغْفِرْ لَنَا وَلَهُ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ، وَافْسَحْ لَهُ فِي قَبْرِهِ وَنَوِّرْ لَهُ فِيهِ» (٣٧٣).

* * *

عبد الملك بن زرارة الأنصاري عن أنس مرفوعًا، وأورده الهيثمي في المجمع (١٠/ ١٤٠) وقال: «رواه الطبراني في الصغير والأوسط، وفيه عبد الملك بن زرارة، وهو ضعيف».

(٣٧٠) أخرجه ابن ماجه (٣٨٠٣، ٣٨٠٤) من حديث عائشة ومن حديث أبي هريرة ولكن في كلا الإسنادين ضعف.

(٣٧١) **حسنه الألباني بشواهده**: أخرجه ابن السني في عمل اليوم والليلة ص (١٢٧) رقم (٣٥٢) وقال محققه: حسنه الألباني في الكلم لشواهده.

(٣٧٢) **صحيح**: أخرجه مسلم (٩١٨ فؤاد) (٢٠٩١ قلعجي) وابن ماجه (١٥٩٨).

(٣٧٣) **صحيح**: أخرجه مسلم (٩٢٠ فؤاد) (٢٠٩٥ قلعجي) وأبو داود (٣١١٨).

الفصل الثالث والعشرون
في الذكر الذي يدفع به الدين ويرجى قضاؤه

في الترمذي عن علي رضي الله عنه أن مكاتبًا جاءه فقال: إني عجزت عن كتابتي فأعني، فقال: ألا أعلمك كلمات علمنيهن رسول الله ﷺ لو كان عليك مثل جبل أحد دينًا إلا أداه الله عنك، قل: «**قُلْ: اللَّهُمَّ اكْفِنِي بِحَلالِكَ عَنْ حَرَامِكَ، وَأَغْنِنِي بِفَضْلِكَ عَمَّنْ سِوَاكَ**» (٣٧٤) قال الترمذي: حديث حسن.

* * *

الفصل الرابع والعشرون
في الذكر الذي يرقى به من اللسعة واللدغة وغيرهما

في صحيح البخاري عن عبد الله بن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: كان رسول الله ﷺ يعوِّذ الحسن والحسين رضي الله عنهما ويقول: «**إِنَّ أَبَاكُمَا كَانَ يُعَوِّذُ بِهَا إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ: أُعِيذُكُمَا بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّةِ مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ وَهَامَّةٍ وَمِنْ كُلِّ عَيْنٍ لامَّةٍ**» (٣٧٥).

وفي الصحيحين عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رجلاً من أصحاب النبي ﷺ رقى لديغًا بفاتحة الكتاب فجعل يتفل عليه ويقرأ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ فكأنما نشط من عقال، فانطلق يمشي وما به قلبة (٣٧٦). الحديث.

وفي الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ كان إذا اشتكى الإنسان الشيء أو كانت قرحة به أو جرح قال النبي ﷺ بإصبعه هكذا - ووضع سفيان بن عيينة إصبعه بالأرض ثم رفعها - وقال: «**بِاسْمِ اللَّهِ، تُرْبَةُ أَرْضِنَا، بِرِيقَةِ بَعْضِنَا، يُشْفَى بِهِ سَقِيمُنَا بِإِذْنِ رَبِّنَا**» (٣٧٧).

---

(٣٧٤) **حسن**: رواه الترمذي، حديث (٣٥٧٤)، وأحمد في مسنده (١/ ١٥٣) حديث (١٣١٨)، والحاكم في المستدرك (١/ ٧٢١) حديث (١٩٧٣) وقال: حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. انظر صحيح الترمذي.

(٣٧٥) **صحيح**: أخرجه البخاري (٣٣٧١) وأبو داود (٤٧٣٧) والترمذي (٢٠٦٧) وابن ماجه (٣٥٢٥).

(٣٧٦) **صحيح**: أخرجه البخاري (٢٢٧٦) ومسلم (٢٢٠١ فؤاد) (٥٦٢٩ قلعجي). وقوله: «قلبه» يعني مرض أو شكوى.

(٣٧٧) **صحيح**: أخرجه البخاري (٥٧٤٥) ومسلم (٢١٩٤ فؤاد) (٥٦١٥ قلعجي) قال ابن القيم

وفي الصحيحين أيضًا عنها رضي الله عنها أن النبيﷺ كان يعوّذ بعض أهله يمسح بيده اليمنى ويقول: «**اللَّهُمَّ رَبَّ النَّاسِ أَذْهِبِ الْبَاسَ واشْفِ أَنْتَ الشَّافِي لا شِفَاءَ إلا شِفَاؤُكَ شِفَاءً لا يُغَادِرُ سَقَمًا**»(٣٧٨) .

وفي صحيح مسلم عن عثمان بن أبي العاص رضي الله عنه، أنه شكا إلى رسول اللهﷺ وجعًا يجده في جسده منذ أسلم، فقال النبيﷺ : «**ضَعْ يَدَكَ عَلَى الَّذِي تَأَلَّمَ مِنْ جَسَدِكَ وَقُلْ: بِاسْمِ اللَّهِ - ثَلاثًا -، وَقُلْ سَبْعَ مَرَّاتٍ: أَعُوذُ بِعِزَةِ اللَّهِ وَقُدْرَتِهِ مِنْ شَرِّ مَا أَجِدُ وَأُحَاذِرُ**»(٣٧٩) .

وفي السنن عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبيﷺ قال: «**مَنْ عَادَ مَرِيضًا لَمْ يَحْضُرْ أَجَلُهُ، فَقَالَ عِنْدَهُ سَبْعَ مِرَاتٍ: أَسْأَلُ اللَّهَ الْعَظِيمَ رَبَّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ أَنْ يَشْفِيَكَ وَيُعَافِيَكَ ؛ إلا عَافَاهُ اللَّهُ تَعَالى**»(٣٨٠) .

وفي سنن أبي داود والنسائي عن أبي الدرداء قال: سمعت رسول اللهﷺ يقول: «**مَنْ اشْتَكَى مِنْكُمْ أَوْ اشْتَكَى أَخٌ لَهُ ؛ فَلْيَقُلْ: رَبَّنَا اللَّهُ الَّذِي فِي السَّمَاءِ، تَقَدَّسَ اسْمُكَ، أَمْرُكَ فِي السَّمَاءِ وَالأَرْضِ، كَمَا رَحْمَتُكَ فِي السَّمَاءِ، فَاجْعَلْ رَحْمَتَكَ فِي الأَرْضِ، اغْفِرْ لَنَا حُوبَنَا وَخَطَايَانَا، أَنْتَ رَبُّ الطَّيِّبِينَ، أَنْزِلْ رَحْمَةً مِنْ رَحْمَتِكَ، وَشِفَاءً مِنْ شِفَائِكَ عَلَى هَذَا الْوَجَعِ ؛ فَيَبْرَأ**»(٣٨١)

* * *

في زاد المعاد (٤/ ١٨٦): هذا من العلاج الميسر النافع المركب، وهي معالجة لطيفة يعالج بها القروح والجراحات الطرية»... ثم قال: «ومعنى الحديث: أنه يأخذ من ريق نفسه على أصبعه السبابة ثم يضعها على التراب فيعلق بها منه شيء. فيمسح به على الجرح ويقول هذا الكلام لما فيه من بركة ذكر اسم الله، وتفويض الأمر إليه والتوكل عليه، فينضم أحد العلاجين إلى الآخر فيقوى التأثير. اهـ. باختصار وقد جربته مرارًا في البثور والدمامل ونحوها، فما كان يمر يوم حتى تشفى بحمد الله.

(٣٧٨) صحيح: أخرجه البخاري (٥٧٥٠) ومسلم (٢١٩١ فؤاد) (٥٦٠٣ قلعجي).

(٣٧٩) صحيح: أخرجه مسلم (٢٢٠٢ فؤاد) (٥٦٣٣ قلعجي) وأبو داود (٣٨٩١) والترمذي (٢٠٨٧) وابن ماجه (٣٥٢٢) واللفظ لمسلم.

(٣٨٠) حسن: أخرجه أبو داود (٣١٠٦) والترمذي (٢٠٩٠) وقال: حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث المنهال بن عمرو. اهـ. وليس في لفظهما «ويعافيك». والمنهال صدوق. والحديث حسن.

(٣٨١) ضعيف: أخرجه أبو داود (٣٨٩٢) وفي إسناده: زياد بن محمد الأنصاري كذا في السنن والتهذيب، وفي التقريب زيادة، وهو منكر الحديث فالحديث ضعيف.

الفصل الخامس والعشرون
في ذكر دخول المقابر

في صحيح مسلم عن بريدة قال: كان رسول الله ﷺ يعلمهم إذا خرجوا إلى المقابر أن يقول قائلهم: **«السَّلامُ عَلَى أَهْلِ الدِّيَارِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُسْلِمِينَ، وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللَّهُ بِكُم لاحِقُونَ، نَسْأَلُ اللَّهَ لَنَا وَلَكُمْ الْعَافِيَةَ»** (٣٨٢).

وفي سنن ابن ماجه عن عائشة أنها فقدت النبي ﷺ فإذا هو بالبقيع فقال: **«السَّلامُ عَلَيْكُمْ دَارَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ، أَنْتُمْ لَنَا فَرَطٌ وَإِنَّا بِكُمْ لاحِقُونَ، اللَّهُمَّ لا تَحْرِمْنَا أَجْرَهُمْ وَلا تَفْتِنَّا بَعْدَهُمْ»** (٣٨٣).

* * *

الفصل السادس والعشرون
في ذكر الاستسقاء

قال تعالى: ﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا﴾ [نوح: ١١، ١٠]

عن جابر بن عبد الله قال: أتت النبي ﷺ بواك فقال: **«اللَّهُمَّ اسْقِنَا غَيْثًا مُغِيثًا مَرِيئًا مَرِيعًا نَافِعًا غَيْرَ ضَارٍّ عَاجِلًا غَيْرَ آجِلٍ»** (٣٨٤) فأطبقت عليهم السماء.

وعن عائشة: شكا الناس إلى رسول الله ﷺ قحوط المطر، فأمر بمنبر فوضع له في المصلى، ووعد الناس يومًا يخرجون فيه، فخرج رسول الله ﷺ حين بدا حاجب الشمس فقعد على المنبر فكبر وحمد الله عز وجل ثم قال: **«إِنَّكُمْ شَكَوْتُمْ جَدْبَ دِيَارِكُمْ، وَاسْتِئْخَارَ الْمَطَرِ عَنْ إِبَّانِ زَمَانِهِ عَنْكُمْ، وَقَدْ أَمَرَكُمْ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ تَدْعُوهُ وَوَعَدَكُمْ أَنْ يَسْتَجِيبَ لَكُمْ»** ثم قال: **«الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ الرَّحْمَنِ**

(٣٨٢) صحيح: أخرجه مسلم (٩٧٥ فؤاد) (٢٢٢١ قلعجي) والنسائي (٤/ ٩٤) وابن ماجه (١٥٤٧).

(٣٨٣) ضعيف بهذا اللفظ: أخرجه ابن ماجه (١٥٤٦) من حديث عائشة وأصله في مسلم (٩٧٤ فؤاد) (٢٢٢٠ قلعجي) والنسائي (٤/ ٩٤) ولكن بلفظ مختلف من غير اللفظة الأخيرة. وفي إسناد ابن ماجه إلى عائشة: عاصم بن عبيد الله، وهو ضعيف. والحديث صحيح من غير قوله: اللهم لا تحرمنا أجرهم ولا تفتنا بعدهم...، وهو عند مسلم.

(٣٨٤) رجاله ثقات: أخرجه أبو داود (١١٦٩) والحاكم (١/ ٣٢٧) وصححه على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي، والإسناد رجاله ثقات، لكن قد أعله البيهقي في السنن (٣/ ٣٥٥).

الرَّحِيمِ مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ، لا إِلَهَ إلا اللَّهُ، يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ، اللَّهُمَّ أَنْتَ اللَّهُ لا إِلَهَ إلا أَنْتَ الْغَنِيُّ وَنَحْنُ الْفُقَرَاءُ، أَنْزِلْ عَلَيْنَا الْغَيْثَ وَاجْعَلْ مَا أَنْزَلْتَ عَلَيْنَا قُوَّةً وَبلاغًا إِلَى حِينٍ» ثم رفع يديه فلم يزل في الرفع حتى بدا بياض إبطيه، ثم حول إلى الناس ظهره، وقلب أو حوَّل رداءه وهو رافع يديه، ثم أقبل على الناس فنَزل فصلى ركعتين، فأنشأ الله عز وجل سحابة فرعدت وبرقت، ثم أمطرت بإذن الله تعالى، فلم يأت مسجده حتى سالت السيول، فلما رأى سرعتهم إلى السكن ضحك النبي ﷺ حتى بدت نواجذه وقال: «أَشْهَدُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، وَأَنِّي عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ» (٣٨٥).

وفي سنن أبي داود عن عبد الله بن عمرو: كان رسول الله ﷺ إذا استسقى قال «اللَّهُمَّ اسْقِ عِبَادَكَ وَبَهَائِمَكَ، وَانْشُرْ رَحْمَتَكَ وَأَحْيِ بَلَدَكَ الْمَيِّتَ» (٣٨٦).

قال الشعبي: خرج عمر يستسقي، فلم يزد على الاستغفار. فقالوا: ما رأيناك استسقيت، فقال: لقد طلبت الغيث بمجاديح السماء التي يستنْزلون بها المطر. ثم قرأ: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا﴾ [نوح: ١٠، ١١]، ﴿وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَتَاعًا حَسَنًا إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى﴾ (٣٨٧) [هود: ٣].

* * *

---

(٣٨٥) **صحيح**: أخرجه أبو داود (١١٧٣) وقال: هذا حديث غريب إسناده جيد ا هـ. والحديث أورده ابن القيم في زاد المعاد (١/ ٤٥٧) وقال: «إن صح وإلا ففي القلب منه شيء». ا هـ. ولم يجزم محققوا الزاد فيه بشيء وإن كان صنيعهم يشير إلى تضعيفه، والحديث صحيح وإسناده جيد كما قال أبو داود. وقد صححه ابن حبان والحاكم والذهبي. وإنما ضعفه من ضعفه بيونس بن يزيد الأيلي. حيث قال فيه ابن حجر في التقريب: ثقة إلا أن في روايته عن الزهري وهما قليلاً، وفي غير الزهري خطأ. ا هـ. قلت: والرجل ثقة من رجال الجماعة كما أشار لذلك ابن حجر، وقد وثقه أحمد وابن معين وابن المبارك وغيرهم، ويعاب من روايته ما خالف في غيره من الثقات. أما ما انفرد به فالرجل ثقة.

(٣٨٦) **حسن**: أخرجه أبو داود (١١٧٦) من طريق مالك وهو عند مالك في موطأه مرسلاً ص (١٩٠) كتاب الاستسقاء باب ما جاء في الاستسقاء، وقد وصله سفيان عند أبي داود. وهو حديث حسن.

(٣٨٧) الأثر أخرجه ابن جرير (١٢/ ٢٤٩) برقم (٣٤٩٩٨) وهو صحيح إلى الشعبي. ولكن الشعبي لم يدرك عمر.

الفصل السابع والعشرون
في أذكار الرياح إذا هاجت

قال أبو هريرة: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**الرِّيحُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ تَعَالى، تَأْتِي بِالرَّحْمَةِ، وَتَأْتِي بِالْعَذَابِ، فَإِذَا رَأَيْتُمُوهَا فَلا تَسُبُّوهَا وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِن خَيْرِهَا، وَاسْتَعِيذُوا بِاللَّهِ مِنْ شَرِّهَا**» رواه أبو داود (٣٨٨). وفي صحيح مسلم عن عائشة قالت: كان النبي ﷺ إذا عصفت الريح قال: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ خَيْرَهَا وَخَيْرَ مَا فِيهَا وَخَيْرَ مَا أُرْسِلَتْ بِهِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّهَا وَشَرِّ مَا فِيهَا وَشَرِّ مَا أُرْسِلَتْ بِهِ**» (٣٨٩).

وفي سنن أبي داود عن عائشة أيضًا رضي الله عنها أن النبي ﷺ كان إذا رأى ناشئًا في أفق السماء ترك العمل - وإن كان في صلاة- ثم يقول: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّهَا**» فإن أمطرت قال: «**قَالَ: اللَّهُمَّ صَيِّبًا هَنِيئًا**» (٣٩٠)

* * *

الفصل الثامن والعشرون
في الذكر عند الرعد

كان عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما إذا سمع الرعد ترك الحديث فقال: سبحان الذي يسبح الرعد بحمده، والملائكة من خيفته (٣٩١). وعن كعب أنه قال: «**مَنْ قَالَ ذَلِكَ ثَلاثًا عُوفِيَ مِنْ ذَلِكَ الرَّعدُ**» (٣٩٢). وفي الترمذي عن عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهما أن رسول الله ﷺ كان إذا سمع صوت الرعد

(٣٨٨) **صحيح**: أخرجه أبو داود (٥٠٩٧) وابن ماجه (٣٧٢٧) وهو صحيح.

(٣٨٩) **صحيح**: أخرجه مسلم (٨٩٩ فؤاد) (٢٠٥١ قلعجي) والترمذي (٣٤٦٠) وابن ماجه (٣٨٤٦).

(٣٩٠) **حسن**: أخرجه أبو داود (٥٠٩٩) واللفظ له وابن ماجه (٣٨٩٠) وهو حسن.

(٣٩١) أخرجه مالك في موطأه ص (٩٩٢) كتاب الكلام، باب القول إذا سمعت الرعد عن عامر بن عبد الله بن الزبير من قوله. وأخرجه أحمد في الزهد ص (٢٤٩) من طريق مالك عن عامر بن عبد الله عن ابن الزبير.

(٣٩٢) أخرجه أبو الشيخ في العظمة كما ذكر ذلك السيوطي في كتابه الدر المنثور (٤/٩٨) في تفسير قوله تعالى ﴿وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ﴾ الرعد: ١٣.

والصواعق قال: «**اللَّهُمَّ لا تَقْتُلْنَا بِغَضَبِكَ، وَلا تُهْلِكْنَا بِعَذَابِكَ، وَعَافِنَا قَبْلَ ذَلِكَ**»(٣٩٣).

* * *

الفصل التاسع والعشرون
في الذكر عند نزول الغيث

في الصحيحين عن زيد بن خالد الجهني قال: صلى بنا رسول الله ﷺ صلاة الصبح بالحديبية في إثر سماء كانت من الليل، فلما انصرف أقبل على الناس فقال: «**هَلْ تَدْرُونَ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ**»؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: «**قَالَ: أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ، فَأَمَّا مَنْ قَالَ: مُطِرْنَا بِفَضْلِ اللَّهِ وَرَحْمَتِهِ؛ فَذَلِكَ مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ بِالْكَوَاكِبِ، وَأَمَّا مَنْ قَالَ: بِنَوْءِ كَذَا وَكَذَا؛ فَذَلِكَ كَافِرٌ بِي مُؤْمِنٌ بِالْكَوَاكِبِ**»(٣٩٤) وقد قيل: إن الدعاء عند نزول الغيث مستجاب.

وفي صحيح البخاري عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ كان إذا رأى المطر قال: «**صَيِّبًا نَافِعًا**»(٣٩٥). وفي صحيح مسلم عن أنس رضي الله عنه قال: أصابنا ونحن مع رسول الله ﷺ مطر، فحسر رسول الله ﷺ ثوبه حتى أصابه المطر، فقلنا: يا رسول الله، لم صنعت هذا؟ قال: «**لأَنَّهُ حَدِيثُ عَهْدٍ بِرَبِّهِ**»(٣٩٦).

* * *

الفصل الثلاثون
في الذكر والدعاء عند زيادة المطر وكثرة المياه والخوف منها

في الصحيحين عن أنس قال: دخل رجل المسجد يوم جمعة ورسول الله ﷺ قائم يخطب الناس فقال: يا رسول الله، هلكت الأموال وانقطعت السبل، فادع الله يغيثنا. فرفع رسول الله ﷺ يديه ثم قال: «**اللَّهُمَّ أَغِثْنَا، اللَّهُمَّ أَغِثْنَا، اللَّهُمَّ أَغِثْنَا**»

---

(٣٩٣) ضعيف: أخرجه الترمذي (٣٤٦١) وقال: هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه اهـ وابن السني ص (١٠٩) رقم (٣٠٣) وهو من طريق حجاج بن أرطأة عن أبي مطر عن سالم بن عبد الله عن أبيه، وحجاج ثقة كثير الخطأ، وشيخه مجهول. هكذا ذكر ابن حجر في التقريب.

(٣٩٤) صحيح: أخرجه البخاري (٨٤٦) ومسلم (٧١ فؤاد) (٢٢٧ قلعجي).

(٣٩٥) صحيح: أخرجه البخاري (١٠٣٢) والنسائي (٣/ ١٦٤).

(٣٩٦) صحيح: أخرجه مسلم (٨٩٨ فؤاد) (٢٠٤٩ قلعجي) وأبو داود (٥١٠٠).

قال أنس: والله ما نرى في السماء من سحاب ولا قزعة، وما بيننا وبين سلع من بنيان ولا دار، فطلعت من ورائه سحابة مثل الترس فلما توسطت السماء انتشرت ثم أمطرت فلا والله ما رأينا الشمس ستًا، ثم دخل رجل من ذلك الباب في الجمعة المقبلة ورسول الله ﷺ قائم يخطب فاستقبله قائمًا فقال: يا رسول الله، هلكت الأموال وانقطعت السبل، فادع الله يمسكها عنا. فرفع رسول الله ﷺ يديه ثم قال: **«اللَّهُمَّ حَوَالَيْنَا وَلا عَلَيْنَا، اللَّهُمَّ عَلَى الآكَامِ وَالظِّرَابِ وَبُطُونِ الأَوْدِيَةِ وَمَنَابِتِ الشَّجَرِ»** (٣٩٧). قال: فأقلعت، وخرجنا نمشي في الشمس

* * *

الفصل الحادي والثلاثون
في الذكر عند رؤية الهلال

عن عبد الله بن عمر قال: كان رسول الله ﷺ إذا رأى الهلال قال: **«اللَّهُ أَكْبَرُ، اللَّهُمَّ أَهِلَّهُ عَلَيْنَا بِالأَمْنِ وَالإِيمَانِ وَالسَّلامَةِ وَالإِسْلامِ وَالتَّوْفِيقِ لِمَا يُحِبُّ رَبُّنَا وَيَرْضَى، رَبُّنَا وَرَبُّكَ اللَّهُ»** (٣٩٨).

وفي سنن أبي داود عن قتادة أنه بلغه أن نبي الله ﷺ كان إذا رأى الهلال قال: **«هِلالُ خَيْرٍ وَرُشْدٍ، هِلالُ خَيْرٍ وَرُشْدٍ، هِلالُ خَيْرٍ وَرُشْدٍ، آمَنْتُ بِالَّذِي خَلَقَكَ»** ثلاث مرات. ثم يقول: **«الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي ذَهَبَ بِشَهْرِ كَذَا وَجَاءَ بِشَهْرِ كَذَا»** (٣٩٩).

* * *

الفصل الثاني والثلاثون
في الذكر للصائم عند فطره

عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ **«ثَلاثَةٌ لا تُرَدُّ دَعْوَتُهُمْ: الصَّائِمُ حَتَّى**

(٣٩٧) صحيح: أخرجه البخاري (١٠١٤) ومسلم (٨٩٧ فؤاد) (٢٠٤٠ قلعجي).

(٣٩٨) ضعيف: أخرجه الدارمي (٢/٧) رقم (١٦٨٧) من حديث عبد الله بن عمر، وأخرجه برقم (١٦٨٨) والترمذي (٣٤٦٢) من حديث طلحة بن عبيد الله. وفي أسناده ضعف.

(٣٩٩) أخرجه أبو داود (٥٠٩٢) عن قتادة بلاغًا. قال أبو داود: ليس عن النبي ﷺ في هذا الباب حديث مسند صحيح. ا هـ.

يُفطِرَ، وَالإِمَامُ الْعَادِلُ، وَدَعْوَةُ الْمَظْلُوم»(٤٠٠) ،رواه الترمذي وقال: حديث حسن.

وروى ابن ماجه عن ابن أبي مليكة عن عبد الله بن عمرو قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إِنَّ لِلصَّائِمِ عِنْدَ فِطْرِهِ لَدَعْوَةً مَا تُرَدُّ»(٤٠١) .

قال ابن أبي مليكة: سمعت عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهما إذا أفطر يقول: اللهم إني أسألك برحمتك التي وسعت كل شيء أن تغفر لي. ويذكر عن النبي ﷺ أنه كان إذا أفطر قال: «اللَّهُمَّ لَكَ صُمْتُ، وَعَلَى رِزْقِكَ أَفْطَرْتُ»(٤٠٢) . ومن وجه آخر: «اللَّهُمَّ لَكَ صُمْنا، وَعَلَى رِزْقِكَ أَفْطَرْنَا، فَتَقَبَّلْ مِنَّا إِنكَ أَنْتَ السَّمِيعُ العَلِيمُ»(٤٠٣)

* * *

الفصل الثالث والثلاثون
في أذكار السفر

روى الطبراني عن النبي ﷺ أنه قال: «مَا خَلَفَ أَحَدٌ عِنْدَ أَهْلِهِ أَفْضَلُ مِنْ رَكْعَتَيْنِ يَرْكعهُمَا عِنْدَهُم حِينَ يُرِيدُ سَفَرًا»(٤٠٤) .

وفي مسند الإمام أحمد عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «مَنْ أَرَادَ سَفَرًا فَلْيَقُل لِمَنْ يَخْلف: اسْتَوْدِعُكُم اللَّهَ الَّذِي لا يُضَيِّعُ وَدَائِعَهُ»(٤٠٥) .

---

(٤٠٠) **حسن:** أخرجه الترمذي (٣٦٠٩) وقال: حديث حسن. ا هـ. وابن ماجه (١٧٥٢) والحديث حسن.

(٤٠١) **حسن:** أخرجه ابن ماجه (١٧٥٣) وابن السني (٤٨١) من طريق إسحاق بن عبيد الله المدني، ورجح ابن حجر في التقريب والتهذيب أنه ابن أبي المهاجر. والحديث حسن وله شواهد.

(٤٠٢) **مرسل:** أخرجه أبو داود (٢٣٥٨) من حديث معاذ بن زهرة مرسلاً.

(٤٠٣) **ضعيف جدًا:** رواه الدارقطني في سننه (٢/ ١٨٥) حديث (٢٦)، وابن السني في عمل اليوم والليلة عن ابن عباس (٤٨٠)، وفي إسناده: عبد الملك بن هارون بن عنترة: متروك الحديث. انظر الإرواء (٩١٩)، وضعيف الجامع (٤٣٥٠).

(٤٠٤) أورد الهيثمي في المجمع (٢/ ٢٨٣) في باب الصلاة إذا أراد سفرًا عن عبد الله بن مسعود قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله إني أريد أن أخرج إلى البحرين في تجارة فقال رسول الله ﷺ: صلى ركعتين. رواه الطبراني في الكبير ورجاله موثقون. ا هـ. من المجمع.

(٤٠٥) **حسن:** أخرجه أحمد (٢/ ٤٠٣) من حديث أبي هريرة وهو حديث حسن، ورواه ابن ماجه (٢٨٢٥) بإسناد مختلف عن أبي هريرة أيضًا.

وفي المسند أيضًا عن ابن عمر عن النبي ﷺ قال: «**إِنَّ اللَّهَ إِذَا اسْتُوْدِعَ شَيْئًا حَفِظَهُ**»(٤٠٦).

وقال سالم: كان ابن عمر يقول للرجل إذا أراد سفرًا: ادن مني أودعك كما كان رسول الله ﷺ يودعنا، فيقول: «**أَسْتَوْدِعُ اللَّهَ دِينَكَ وَأَمَانَتَكَ وَخَوَاتِيمَ عَمَلِكَ**» (٤٠٧).

ومن وجه آخر كان النبي ﷺ إذا وَدَّع رجلاً أخذ بيده فلا يدعها حتى يكون الرجل هو الذي يدع النبي ﷺ. وذكر تمام الحديث(٤٠٨). قال الترمذي: حديث حسن صحيح.

وقال أنس رضي الله عنه: جاء إلى النبي ﷺ رجل فقال: يا رسول الله، أريد سفرًا فزودني. فقال: «**زَوَّدَكَ اللَّهُ التَّقْوَى**». قال: زدني. قال: «**وَغَفَرَ ذَنْبَكَ**» قال زدني. قال: «**وَيَسَّرَ لَكَ الْخَيْرَ حَيْثُمَا كُنْتَ**». قال الترمذي: حديث حسن(٤٠٩).

وعن أبي هريرة أن رجلاً قال: يا رسول الله إني أريد أن أسافر فأوصني. قال: «**عَلَيْكَ بِتَقْوَى اللَّهِ، وَالتَّكْبِيرِ عَلَى كُلِّ شَرَفٍ**» فلما ولى الرجل قال: «**اللَّهُمَّ اطْوِ لَهُ الْبُعْدَ وَهَوِّنْ عَلَيْهِ السَّفَرَ**». قال الترمذي: حديث حسن(٤١٠)

* * *

(٤٠٦) **حسن**: أخرجه أحمد (٢/٨٧) من حديث ابن عمر وهو حديث حسن.

(٤٠٧) **صحيح**: أخرجه أحمد (٢/٧) والترمذي (٣٤٥٤) من حديث سالم بن عبد الله عن أبيه عبد الله بن عمر. وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح غريب. من هذا الوجه ا هـ. وهو صحيح ورواه أبو داود (٢٦٠٠) وأحمد (٢/ ٢٥، ٣٦، ١٣٦) من حديث إسماعيل بن جرير عن قزعة عن ابن عمر. ورواه ابن ماجه (٢٨٢٦) من حديث نافع عن ابن عمر.

(٤٠٨) **ضعيف**: أخرجه الترمذي (٣٤٥٣) من حديث نافع عن ابن عمر وقال: الترمذي: هذا حديث غريب من هذا الوجه ا هـ وفي إسناده إبراهيم بن عبد الرحمن بن يزيد مجهول.

(٤٠٩) **ضعيف**: أخرجه الترمذي (٣٤٥٥) وقال: حسن غريب اهـ. والحديث في إسناده سيار بن حاتم العنزي ليس بالقوي.

(٤١٠) **حسن**: أخرجه الترمذي (٣٤٥٦) وأحمد (٢/ ٣٣١) والحاكم (٢/ ٩٨). وقال الترمذي: هذا حديث حسن. اهـ. وابن ماجه (٢٧٧١) مختصرًا. من طريق زيد بن الحباب عن أسامة بن زيد عن سعيد المقبري عن أبي هريرة. وأسامة بن زيد هو الليثي. فالحديث حسن. والشَرَف: المكان المرتفع.

الفصل الرابع والثلاثون
في ركوب الدابة والذكر عنده

قال علي بن ربيعة: شهدت عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه أتي بدابة ليركبها، فلما وضع رجله في الركاب قال: بسم الله، فلما استوى على ظهرها قال: الحمد لله ثم قال:

﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ﴾ [الزخرف: ١٣، ١٤]ثم قال: الحمد لله ثلاث مرات، ثم قال: الله أكبر ثلاث مرات، ثم قال: سبحانك إني ظلمت نفسي فاغفر لي إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت. ثم ضحك. فقيل: يا أمير المؤمنين من أي شيء ضحكت؟ فقال: رأيت النبي ﷺ فعل كما فعلت ثم ضحك. فقلت: يا رسول الله، من أي شيء ضحكت ؟ فقال: **«إِنَّ رَبَّكَ يَعْجَبُ مِنْ عَبْدِهِ إِذَا قَالَ: اغْفِرْ لِي ذُنُوبِي يَعْلَمُ أَنَّهُ لا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ غَيْرِي»** رواه أهل السنن وصححه الترمذي (٤١١).

وفي صحيح مسلم عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺكان إذا استوى على بعيره خارجًا إلى سفر كبر ثلاثًا ثم قال: « ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ﴾ **اللهم نسألك في سفرنا هذا البر والتقوى، ومن العمل ما ترضى. اللهم هَوِّنْ علينا سفرنا هذا واطْوِ عنا بعده، أنت الصاحب في السفر، والخليفة في الأهل. اللهم إني أعوذ بك من وعثاء السفر، وكآبة المنظر، وسوء المنقلب في المال والأهل»** وإذا رجع قالهن وزاد فيهن: **«آيِبُونَ تَائِبُونَ عَابِدُونَ لِرَبِّنَا حَامِدُونَ»**.

وفي وجه آخر: **«وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺوَأَصحَابُه إِذَا عَلَوْا الثَّنَايَا كَبَّرُوا وَإِذَا هَبَطُوا سَبَّحُوا»** (٤١٢).

* * *

(٤١١) صحيح الإسناد: أخرجه أبو داود (٢٦٠٢) والترمذي (٣٤٥٧) والحاكم في المستدرك (٢/ ٩٨) وقال الترمذي: حديث حسن صحيح. اهـ. ورجاله ثقات. وهو صحيح.

(٤١٢) صحيح: أخرجه مسلم (١٣٤٢ فؤاد) (٣٢١٧ قلعجي) وأبو داود (٢٥٩٩) والترمذي (٣٤٥٨)، وقول المصنف: وفي وجه آخر: «وكان رسول الله... الخ» هو في رواية أبي داود.

الفصل الخامس والثلاثون
في ذكر الرجوع من السفر

قال عبد الله بن عمر: كان رسول الله ﷺ إذا قفل من غزو أو حج أو اعتمر يكبر على كل شرف من الأرض ثلاث مرات ثم يقول: «**لا إِلَهَ إلا اللَّهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، آيِبُونَ تَائِبُونَ عَابِدُونَ سَاجِدُونَ لِرَبِّنَا حَامِدُونَ، صَدَقَ اللَّهُ وَعْدَهُ، وَنَصَرَ عَبْدَهُ وَهَزَمَ الأَحْزَابَ وَحْدَهُ**». رواه البخاري ومسلم(٤١٣).

* * *

الفصل السادس والثلاثون
في الذكر على الدابة إذا استصعبت

قال يونس بن عبيد: ليس رجل يكون على دابة صعبة فيقول في أذنها: ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾[آل عمران: ٨٣] إلا وقفت بإذن الله تعالى(٤١٤). قال شيخنا قدس الله روحه: وقد فعلنا ذلك فكان كذلك.

الفصل السابع والثلاثون
في الدابة إذا انفلتت وما يذكر عند ذلك

عن ابن مسعود رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «**إِذَا انْفَلَتَتْ دَابةُ أَحَدِكُمْ بِأَرْضِ فَلاةٍ فَلْيُنَادِ: يَا عِبَادَ اللهِ احبِسُوا، فَإِن للهِ عز وَجَل حَاضِرًا سَيَحْبِسَه**»(٤١٥).

* * *

(٤١٣) صحيح: أخرجه البخاري (١٧٩٧) ومسلم (١٣٤٤ فؤاد) (٣٢٢١ قلعجي).

(٤١٤) ضعيف: أخرجه ابن السني في عمل اليوم والليلة ص (١٧٩) رقم (٥١٠) عن يونس بن عبيد موقوفًا عليه. وفي إسناده المنهال بن عيسى مجهول.

(٤١٥) ضعيف: أخرجه ابن السني في عمل اليوم والليلة ص (١٧٩) رقم (٥٠٨) من طريق معروف بن حسان بإسناده عن قتادة عن أبي بردة عن أبيه عن عبد الله بن مسعود مرفوعًا. وأورده الهيثمي في المجمع (١٠/ ١٣٢) وعزاه لأبي يعلى والطبراني وقال: «وفيه معروف بن حسان وهو ضعيف».

الفصل الثامن والثلاثون
في الذكر عند القرية أو البلدة إذا أراد دخولها

عن صهيب رضي الله عنه: أن النبي ﷺ لم يَرَ قرية يريد دخولها إلا قال حين يراها: «اللهم رَبَّ السمَوَاتِ السَّبْعِ وَمَا أَظْلَلْنَ، وَرَبَّ الأرضِين السَّبْعِ وَمَا أَقْلَلْنَ، وَرَبَّ الشَّيَاطِينِ وَمَا أَضْلَلْنَ، وَرَبَّ الرياح وَمَا ذَرَيْن، أَسْأَلُكَ خَيْرَ هَذِه القَرْيَةِ وَخَيْرَ أَهْلِهَا وَخَيْرَ مَا فِيهَا، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِهَا وَشَرِّ مَا فِيهَا» رواه النسائي (٤١٦).

* * *

الفصل التاسع والثلاثون
في ذكر المنزل يريد نزوله

قالت خولة بنت حكيم رضي الله عنها: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «مَن نَزَلَ مَنزِلًا ثُمَّ قَالَ: أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ لَمْ يَضُرَّهُ شَيْءٌ حَتَّى يَرْتَحِلَ مِنْ مَنْزِلِهِ ذَلِكَ» رواه مسلم (٤١٧).

وعن عبد الله بن عمر قال: كان رسول الله ﷺ إذا سافر فأقبل الليل قال: «يَا أَرْضُ: رَبِّي وَرَبُّكِ اللَّهُ، أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شَرِّكِ وَشَرِّ مَا فِيكِ وَشَرِّ مَا خُلِقَ فِيكِ وَمِنْ شَرِّ مَا يَدِبُّ عَلَيْكِ، وَأَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ أَسَدٍ وَأَسْوَدَ، وَمِنَ الحَيَّةِ وَالْعَقْرَبِ، وَمِنْ سَاكِنِ الْبَلَدِ، وَمِنْ وَالِدٍ وَمَا وَلَدَ». رواه أبو داود (٤١٨)

* * *

---

(٤١٦) أخرجه النسائي في الكبرى (٦/ ١٣٩) رقم (١٠٣٧٧) وابن السني في عمل اليوم والليلة ص (١٨٤) رقم (٥٢٤) عن صهيب مرفوعًا، وأورده الهيثمي في المجمع (١٠/ ١٣٤) عن أبي لبابة بن عبد المنذر مرفوعًا، وقال: «رواه الطبراني في الأوسط وإسناده حسن».

(٤١٧) **صحيح**: أخرجه مسلم (٢٧٠٨ فؤاد) (٦٧٤٨ قلعجي) والترمذي (٣٤٤٨) وابن ماجه (٣٥٤٧).

(٤١٨) **ضعيف**: أخرجه أبو داود (٢٦٠٣) وأحمد (٢/ ١٣٢) و (٣/ ١٢٤) من طريق الزبير بن الوليد الشامي قال في التقريب مقبول. ا هـ. وليس له غير هذا الحديث ولم يرد عنه غير شريح بن عبيد.

الفصل الأربعون
في ذكر الطعام والشراب

قال سبحانه وتعالى: ﴿يَتَأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [البقرة: ١٧٢] .

وقال عمر بن أبي سلمة رضي الله عنه: قال لي رسول الله ﷺ «**يَا بُنَي سَمِّ اللَّهَ، وَكُلْ بِيَمِينِكَ، وَكُلْ مِمَّا يَلِيكَ**» متفق عليه(٤١٩) .

وقالت عائشة رضي الله عنها: قال رسول الله ﷺ : «**إِذَا أَكَلَ أَحَدُكُمْ فَلْيَذْكُر اسْمَ اللَّهِ فِي أَوَّلِهِ، فَإِنْ نَسِيَ أَن يَذكُر اسْمَ اللَّهِ فِي أَوَّلِهِ فَلْيَقُلْ: بِسْمِ اللَّهِ فِي أَوَّلِهِ وَآخِرِهِ**» قال الترمذي: حديث حسن صحيح(٤٢٠) .

وقال أمية بن مخشى رضي الله عنه: كان رسول الله ﷺ جالسًا ورجل يأكل، فلم يسمِّ حتى لم يبق من طعامه إلا لقيمة، فلما رفعها إلى فيه قال: بسم الله أوله وآخره، فضحك النبي ﷺ ثم قال: «**مَا زَالَ الشَّيطَانُ يَأْكُلُ مَعَهُ، فَلَمَّا ذَكَرَ اسْمَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ اسْتَقَاءَ مَا فِي بَطْنِهِ**». رواه أبو داود(٤٢١) .

وقال رسول الله ﷺ : «**إِنَّ اللَّهَ لَيَرْضَى عَنِ الْعَبْدِ أَنْ يَأْكُلَ الأَكْلَةَ فَيَحْمَدَهُ عَلَيْهَا، وَيَشْرَبَ الشَّرْبَةَ فَيَحْمَدَهُ عَلَيْهَا**». رواه مسلم في صحيحه من حديث أنس رضي الله عنه(٤٢٢) .

وقال أبو هريرة: «**مَا عَابَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ** طَعَامًا قَطُّ، إِنْ اشْتَهَاهُ أَكَلَهُ، وَإِلا تَرَكَهُ». متفق عليه(٤٢٣) .

وعن وحشي أن أناسًا قالوا: يا رسول الله، إنا نأكل ولا نشبع، قال: «**وَلَعَلَّكُمْ تَفْتَرِقُونَ؟**» قالوا: نعم. قال: «**فَاجْتَمِعُوا عَلَى طَعَامِكُمْ، وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ** ؛

---

(٤١٩) صحيح: أخرجه البخاري (٥٣٧٦) ومسلم (٢٠٢٢ فؤاد) (٥١٧١ قلعجي).
(٤٢٠) صحيح: أخرجه أبو داود (٣٧٦٧) والترمذي (١٨٦٥) وقال: حديث حسن صحيح. اهـ. والحديث صحيح.
(٤٢١) حسن بشواهده: أخرجه أبو داود (٣٧٦٨) وأحمد (٤/ ٢٣٦) وفي إسنادهما: المثنى بن عبد الرحمن الخزاعي ليس له غير هذا الحديث. قال فيه الذهبي: لا يعرف. وقال ابن حجر: مستور، ولكن يشهد له الحديث المتقدم؛ فالحديث حسن.
(٤٢٢) صحيح: أخرجه مسلم (٢٧٣٤ فؤاد) (٦٧٩٩ قلعجي) والترمذي (١٨٢٣).
(٤٢٣) صحيح: أخرجه البخاري (٥٤٠٩) ومسلم (٢٠٦٤ فؤاد) (٥٢٨٢ قلعجي).

يُبَارَكْ لَكُمْ فِيهِ» رواه أبو داود (٤٢٤).

وعن معاذ رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«مَنْ أَكَلَ أَوْ شَرِبَ فَقَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَطْعَمَنِي هَذَا الطَّعَامَ وَرَزَقَنِيهِ مِنْ غَيْرِ حَوْلٍ مِنِّي وَلا قُوَّةٍ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ»** قال الترمذي: حديث حسن (٤٢٥).

وعن أبي سعيد رضي الله عنه أن النبي ﷺ كان إذا فرغ من طعامه قال: **«الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَطْعَمَنَا وَسَقَانَا وَجَعَلَنَا مُسْلِمِينَ»** رواه أبو داود والترمذي (٤٢٦).

وذكر النسائي عن رجل خدم النبي ﷺ: أنه كان يسمع النبي ﷺ إذا قرب إليه طعامه يقول: **«بِسْمِ اللَّهِ»** وإذا فرغ من طعامه قال: **«اللَّهُمَّ أَطْعَمْتَ وَسَقَيْتَ، وَأَغْنَيْتَ وَأَقْنَيْتَ، وَهَدَيْتَ وَاجْتَبَيْتَ ؛ فَلَكَ الْحَمْدُ عَلَى مَا أَعْطَيْتَ»** (٤٢٧).

وفي صحيح البخاري عن أبي أمامة رضي الله عنه أن النبي ﷺ كان إذا رفع مائدته قال: **«الْحَمْدُ لِلَّهِ كَثِيرًا طَيِّبًا مُبَارَكًا فِيهِ غَيْرَ مَكْفِيٍّ وَلا مُوَدَّعٍ وَلا مُسْتَغْنًى عَنْهُ رَبَّنَا»**(٤٢٨).

* * *

الفصل الحادي والأربعون
في ذكر الضيف إذا نزل بقوم

عن عبد الله بن بسر قال: نزل رسول الله ﷺ على أبي، فقربنا إليه طعامًا ووطبة فأكل منها، ثم أتي بتمر فكان يأكله ويلقي النوى بين أصبعيه ويجمع السبابة

(٤٢٤) حسن بشواهده: أخرجه أبو داود (٣٧٦٤) وابن ماجه (٣٢٨٦) من طريق الوليد بن مسلم ثنا وحشي بن حرب بن وحشي عن أبيه عن جده عن النبي ﷺ. والوليد يدلس تدليس تسوية، ولم يصرح بالتحديث في كل طبقات السند، ووحشي مستور وأبوه مقبول، ولكن للحديث شواهد وإن كانت ضعيفة وعمومات تقويه، فالحديث حسن بشواهده.

(٤٢٥) ضعيف الإسناد: أخرجه أبو داود (٤٠٢٣) والترمذي (٣٤٦٩) من حديث معاذ بن أنس الجهني وهو من الصحابة، وابن ماجه (٣٢٨٥) وقال الترمذي: حسن غريب اهـ. والحديث مداره على أبي مرحوم عبد الرحيم بن ميمون وليس بالقوي.

(٤٢٦) ضعيف: أخرجه أبو داود (٣٨٥٠) والترمذي (٣٤٦٨) وابن ماجه (٣٢٨٣) وهو حديث ضعيف في أسانيده مجاهيل واضطراب.

(٤٢٧) صحيح: أخرجه النسائي في الكبرى (٤/ ٢٠٢) رقم (٦٨٩٨) وابن السني (٤٦٥) وهو عند أحمد (٤/ ٦٢) و (٣٣٧) وهو حديث صحيح.

(٤٢٨) صحيح: أخرجه البخاري (٥٤٥٨)، وأبو داود (٣٨٤٩) والترمذي (٣٤٦٧) وابن ماجه (٣٢٨٤).

والوسطى. قال شعبة: هو ظني، وهو فيه إن شاء الله إلقاء النوى. ثم أتي بشراب فشربه، ثم ناوله الذي عن يمينه. قال: فقال أبي - وأخذ بلجام دابته -: ادع الله تعالى لنا، فقال: «اللَّهُمَّ بَارِكْ لَهُمْ فِيمَا رَزَقْتَهُمْ، وَاغْفِرْ لَهُمْ وَارْحَمْهُمْ». رواه مسلم(٤٢٩).

وعن أنس أن النبيﷺ جاء إلى سعد بن عبادة فجاء بخبز وزيت فأكل، ثم قال النبيﷺ : «أَفْطَرَ عِنْدَكُمْ الصَّائِمُونَ، وَأَكَلَ طَعَامَكُمْ الأَبْرَارُ، وَصَلَّتْ عَلَيْكُمْ الْمَلائِكَةُ» رواه أبو داود(٤٣٠).

وعن جابر قال: صنع أبو الهيثم بن التيهان للنبيﷺ طعامًا، فدعا النبيﷺ وأصحابه، فلما فرغوا قال: «أَثِيبُوا أَخَاكُمْ» قالوا: يا رسول الله وما إثابته ؟ قال: «إِنَّ الرَّجُلَ إِذَا دُخِلَ بَيْتُهُ فَأُكِلَ طَعَامُهُ وَشُرِبَ شَرَابُهُ فَادَعَوْا لَهُ فَذَلِكَ إِثَابَتُهُ». رواه أبو داود(٤٣١).

* * *

الفصل الثاني والأربعون
في السلام

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رجلاً سأل رسول اللهﷺ : أي الإسلام خير ؟ قال: «تُطْعِمُ الطَّعَامَ وَتَقْرَأُ السَّلامَ عَلَى مَنْ عَرَفْتَ وَمَنْ لَمْ تَعْرِفْ». متفق عليه(٤٣٢).

وقال أبو هريرة: قال رسول اللهﷺ : «لا تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا، وَلا

(٤٢٩) صحيح: أخرجه مسلم (٢٠٤٢ فؤاد) (٥٢٣٠ قلعجي) وأبو داود (٣٧٢٩) والترمذي (٣٥٨٧) قال النووي: «الوطبة»: الحيس يجمع التمر البرني والأقط المدقوق والسمن.. ثم قال: وفي بعض النسخ: «رطبة» بالراء مضمومة وفتح الطاء وفي بعضها وطئة بالهمز: طعام يتخذ من التمر كالحيس ولامنافاة بين هذا كله. ا هـ. باختصار وتصرف.

(٤٣٠) صحيح بشواهده: أخرجه أبو داود (٣٨٥٤) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه مرفوعًا به، ورجاله ثقات؛ إلا أنه من طريق معمر بن راشد عن ثابت البناني، وفي رواية معمر عن ثابت ضعف؛ لكن للحديث شواهد وعمومات تقويه.

(٤٣١) ضعيف: أخرجه أبو داود (٣٨٥٣) وفي إسناده رجل مجهول.

(٤٣٢) صحيح: أخرجه البخاري (١٢) ومسلم (٣٩ فؤاد) (١٥٩ قلعجي).

تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُوا، أَفَلا أَدُلُّكُمْ عَلَى شَيءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ ؟ أَفْشُوا السَّلامَ بَيْنَكُمْ». رواه أبو داود [٤٣٣].

وقال عمار بن ياسر رضي الله عنهما: ثلاث من جمعهن جمع الإيمان: الإنصاف من نفسك، وبذل السلام للعالم، والإنفاق من الإقتار. ذكره البخاري [٤٣٤].

وقال عمران بن حصين: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: السلام عليكم، فرد عليه، ثم جلس. فقال النبي ﷺ: «**عَشْرٌ**» ثم جاء آخر فقال: السلام عليكم ورحمة الله، فرد عليه، فجلس. فقال: «**عِشْرُونَ**». ثم جاء آخر فقال: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، فرد عليه، فجلس. فقال: «**ثَلاثُونَ**» قال الترمذي: حديث حسن [٤٣٥].

وعن أبي أمامة قال: قال رسول الله ﷺ: «**إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِاللَّهِ مَنْ بَدَأَ بِالسَّلامِ**» قال الترمذي: حديث حسن [٤٣٦].

وخرَّج أبو داود عن علي رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**يُجْزِئُ عَنْ الْجَمَاعَةِ إِذَا مَرُّوا أَنْ يُسَلِّمَ أَحَدُهُمْ**» [٤٣٧]. وقال أنس: مر النبي ﷺ على صبيان

---

(٤٣٣) **صحيح**: أخرجه مسلم (٥٤ فؤاد) (١٩١ قلعجي) وأبو داود (٥١٩٣) والترمذي (٢٦٩٧) وابن ماجه (٣٦٩٢).

(٤٣٤) أخرجه البخاري (١/ ١٠٣) معلقًا بصيغة الجزم موقوفًا على عمار بن ياسر كتاب الإيمان، باب إنشاء السلام من الإسلام.

وقد شرح ابن القيم في زاد المعاد (٢/ ٤٠٧ - ٤١٠) كلام عمار بن ياسر فكان من كلامه: «وبذل السلام للعالم يتضمن تواضعه وأنه لا يتكبر على أحد. بل يبذل السلام للصغير والكبير. والشريف والوضيع. ومن يعرفه ومن لا يعرفه. والمتكبر ضد هذا، فإنه لا يرد السلام على كل من سلم عليه كبرًا منه وتيهًا. فكيف يبذل السلام لكل أحد». ا هـ.

(٤٣٥) **حسن**: أخرجه أبو داود (٥١٩٥) والترمذي (٢٦٩٨). قال حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه. ا هـ. وهو حديث حسن.

(٤٣٦) **صحيح**: أخرجه أبو داود (٥١٩٧) وهو حديث صحيح.

(٤٣٧) ضعيف الإسناد: أخرجه أبو داود (٢٥١٠) موقوفًا على عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه. قال أبو داود: رفعه الحسن بن علي. ا هـ.

قلت: وفي إسناده سعيد بن خالد الخزاعي، وهو ضعيف.

قال ابن القيم في زاد المعاد (٢/ ٤٢٦): «فذهب إلى هذا الحديث من قال: إن الرد فرض كفاية يقوم في الواحد مقام الجميع. لكن ما أحسنه لو كان ثابتًا؛ فإن هذا الحديث رواه أبو داود من رواية سعيد بن خالد الخزاعي المدني. قال أبو زرعة الرازي: مدني ضعيف. وقال أبو حاتم الرازي:

يلعبون فسلم عليهم». حديث صحيح [٤٣٨]. وقال أبو هريرة: قال رسول الله ﷺ: «**إِذَا انْتَهَى أَحَدُكُمْ إِلَى الْمَجْلِسِ فَلْيُسَلِّمْ، فَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَقُومَ فَلْيُسَلِّمْ؛ فَلَيْسَتْ الأُولَى بِأَحَقَّ مِنَ الآخِرَةِ**»[٤٣٩].

* * *

الفصل الثالث والأربعون
في الذكر عند العطاس

قال أبو هريرة عن النبي ﷺ: «**إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْعُطَاسَ وَيَكْرَهُ التَّثَاؤُبَ، فَإِذَا عَطَسَ أَحَدُكُمْ وَحَمِدَ اللَّهَ كَانَ حَقًّا عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ سَمِعَهُ أَنْ يَقُولَ لَهُ: يَرْحَمُكَ اللَّهُ. وَأَمَّا التَّثَاؤُبُ فَإِنَّمَا هُوَ مِنَ الشَّيْطَانِ، فَإِذَا تَثَاءَبَ أَحَدُكُمْ فَلْيَرُدَّهُ مَا اسْتَطَاعَ، فَإِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا تَثَاءَبَ ضَحِكَ الشَّيْطَانُ مِنْهُ**» رواه البخاري [٤٤٠].

وعنه أيضًا عن النبي ﷺ قال: «**إِذَا عَطَسَ أَحَدُكُمْ فَلْيَقُلْ: الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلْيَقُلْ لَهُ أَخُوهُ أَوْ صَاحِبُهُ: يَرْحَمُكَ اللَّهُ، فَإِذَا قَالَ لَهُ: يَرْحَمُكَ اللَّهُ، فَلْيَقُلْ: يَهْدِيكُمُ اللَّهُ وَيُصْلِحُ بَالَكُمْ**» رواه البخاري [٤٤١].

وفي لفظ أبي داود: «**الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى كُلِّ حَالٍ**» [٤٤٢].

وقال أبو موسى الأشعري رضي الله عنه: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إِذَا عَطَسَ أَحَدُكُمْ فَحَمِدَ اللَّهَ؛ فَشَمِّتُوهُ، فَإِنْ لَمْ يَحْمَدِ اللَّهَ فَلا تُشَمِّتُوهُ**» [٤٤٣].

ضعيف الحديث. وقال البخاري: فيه نظر، وقال الدارقطني: ليس بالقوي. اهـ وقد قواه محققو الزاد مما رواه مالك في موطئه ص (٩٥٩) عن زيد بن أسلم مرسلاً أن النبي ﷺ قال: «يسلم الراكب على الماشي، وإذا سلم من القوم واحد أجزأ عنهم».

(٤٣٨) صحيح: أخرجه البخاري (٦٢٤٧) ومسلم (٢١٦٨ فؤاد) (٥٥٩ قلعجي).

(٤٣٩) صحيح بشواهده: أخرجه أبو داود (٥٢٠٨) والترمذي (٢٧١٥) من حديث أبي هريرة وقال الترمذي حديث حسن. اهـ. وهو من رواية ابن عجلان عن المقبري عن أبي هريرة، وقد تكلم أهل العلم في رواية ابن عجلان عن المقبري لكن للحديث شواهد تعضده.

(٤٤٠) صحيح: أخرجه البخاري (٦٢٢٦) وأبو داود (٥٠٢٨) والترمذي (٢٧٥٦).

(٤٤١) صحيح: أخرجه البخاري (٦٢٢٤) عن أبي هريرة.

(٤٤٢) أخرجه أبو داود (٥٠٣٣) عن أبي هريرة والترمذي عن أبي أيوب (٢٧٥٠) وإسناد أبي داود هو إسناد البخاري، وقد أشار الحافظ ابن حجر إلى شذوذ هذه الزيادة راجع فتح الباري.

(٤٤٣) صحيح: أخرجه مسلم (٢٩٩٢ فؤاد) (٧٣٤٤ قلعجي) عن أبي موسى مرفوعًا.

الفصل الرابع والأربعون

في ذكر النكاح والتهنئة به وذكر الدخول بالزوجة

قال ابن مسعود: علمنا رسول الله ﷺ خطبة الحاجة: «**الْحَمْدُ لِلَّهِ نَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، مِنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلا مُضِلَّ لَهُ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ**»(٤٤٤) وفي رواية زيادة: «**أَرْسَلَهُ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ مَنْ يُطِعْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ رَشَدَ وَمَنْ يَعْصِهِمَا فَإِنَّهُ لا يَضُرُّ إِلا نَفْسَهُ وَلا يَضُرُّ اللَّهَ شَيْئًا**: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]. ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١]. ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾[الأحزاب: ٧١،٧٠] » رواه أهل السنن الأربعة. وقال الترمذي: حديث حسن.

وعن أبي هريرة أن النبي ﷺ كان إذا رفأ الإنسان إذا تزوج قال: «**بَارَكَ اللَّهُ لَكُمَا، وَبَارَكَ عَلَيْكُمَا، وَجَمَعَ بَيْنَكُمَا فِي خَيْرٍ**» حديث حسن صحيح(٤٤٥).

وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عن النبي ﷺ قال: «**إِذَا تَزَوَّجَ أَحَدُكُمْ امْرَأَةً أَوْ اشْتَرَى خَادِمًا فَلْيَقُلْ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ خَيْرَهَا وَخَيْرَ مَا جَبَلْتَهَا عَلَيْهِ وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّهَا وَشَرِّ مَا جَبَلْتَهَا عَلَيْهِ، وَإِذَا اشْتَرَى بَعِيرًا فَلْيَأْخُذْ بِذِرْوَةِ سَنَامِهِ وَلْيَقُلْ مِثْلَ ذَلِكَ**» رواه أبو داود(٤٤٦). وفي الصحيحين عن ابن عباس عن النبي ﷺ قال: «**إِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا أَتَى أَهْلَهُ قَالَ: بِاسْمِ اللَّهِ، اللَّهُمَّ جَنِّبْنَا الشَّيْطَانَ وَجَنِّبْ**

---

(٤٤٤) حسن: أخرجه أبو داود (٢١١٨) والترمذي (١١٠٧) والنسائي (٦/ ٨٩) وابن ماجه (١٨٩٢) وهو حديث حسن. والرواية بحذف «إن» في أولها هي من رواية محمد بن سليمان عند أبي داود، وبقية الروايات على إثباتها. وأما رواية: «أرسله بالحق بشيرًا ونذيرًا... إلخ» فرواها أبو داود (٢١١٩).

(٤٤٥) حسن: أخرجه أبو داود (٢١٣٠) والترمذي (١٠٩٣) وابن ماجه (١٩٠٥) وهو حديث حسن.

(٤٤٦) حسن: أخرجه أبو داود (٢١٦٠) وابن ماجه (١٩١٨) وهو حديث حسن.

الشَّيطَانَ مَا رَزَقْتَنَا ؛ فَقُضِيَ بَيْنَهُمَا وَلَدٌ لَمْ يَضُرُّهُ الشَّيطانُ أَبَدًا» (٤٤٧).

* * *

الفصل الخامس والأربعون

في الذكر عند الولادة والذكر المتعلق بالولد

يذكر أن فاطمة رضي الله عنها لما دنا ولادها أمر النبي ﷺ أم سلمة وزينب بنت جحش أن تأتيا فتقرآ عليها آية الكرسي و ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ [الأعراف: ٥٤] إلى آخر الآيتين وتعوذاها بالمعوذتين (٤٤٨).

وقال أبو رافع: رأيت رسول الله ﷺ أذّن في أُذُن الحسن بن علي حين ولدته فاطمة بالصلاة (٤٤٩). قال الترمذي: حديث حسن صحيح. ويذكر عن الحسين بن علي قال: قال رسول الله ﷺ: **«مَنْ وُلِدَ لَهُ مَوْلُودٌ ؛ فَأَذَّنَ فِي أُذُنِهِ الْيُمْنَى وَأَقَامَ فِي أُذُنِهِ الْيُسْرَى لَمْ تَضُرُّهُ أُمُّ الصِّبْيَانِ»** (٤٥٠).

وقالت عائشة: **«كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُؤْتَى بِالصِّبْيَانِ فَيَدْعُو لَهُمْ بِالْبَرَكَةِ**

---

(٤٤٧) صحيح: أخرجه البخاري (٥١٦٥) ومسلم (١٤٣٤ فؤاد) (٣٤٧٠ قلعجي).

(٤٤٨) موضوع: أخرجه ابن السني في عمل اليوم والليلة ص (٢١٩) رقم (٦٢٠) وفي إسناده موسى بن محمد بن عطاء كذاب، وعيسى بن إبراهيم القرشي متروك.، وقال الألباني في السلسلة الضعيفة (٣٢١): حديث موضوع.

(٤٤٩) ضعيف: أخرجه أبو داود (٥١٠٥) والترمذي (١٥١٩) وقال الترمذي: حسن صحيح اهـ. وفي إسناده عاصم بن عبيد الله ضعيف. وأورد ابن القيم في كتابه: تحفة المودود ص (٢١) من شعب البيهقي شاهدين للحديث من حديث الحسن بن علي، ومن حديث ابن عباس ثم قال: وفي إسنادهما ضعف. ثم قال: وسر التأذين والله أعلم أن يكون أول ما يقرع سمع الإنسان كلماته المتضمنة لكبرياء الرب وعظمته والشهادة التي أول ما يدخل بها في الإسلام: فكان ذلك كالتلقين له شعار الإسلام عند دخوله إلى الدنيا، كما يلقن كلمة التوحيد عند خروجه منها، وغير مستنكر وصول أثر التأذين إلى قلبه وتأثره به وإن لم يشعر، مع ما في ذلك من فائدة أخرى وهي هروب الشيطان من كلمات الآذان، وهو كان يرصده حتى يولد، فيقارنه للمحنة التي قدرها الله وشاءها، فيسمع شيطانه ما يضعفه ويغيظه أول أوقات تعلقه به. وفيه معنى آخر وهو: أن تكون دعوته إلى الله وإلى دينه الإسلام وإلى عبادته سابقة على دعوة الشيطان، كما كانت فطرة الله التي فطر الناس عليها سابقة على تغيير الشيطان لها، ونقله عنها، ولغير ذلك من الحكم. اهـ.

وقد رجع الشيخ الألباني - عليه رحمة الله - عن تحسين هذا الحديث.

(٤٥٠) موضوع: أخرجه البيهقي في الشعب (٦/ ٣٩٠) رقم (٨٦١٩) من حديث الحسين بن علي. وابن السني في عمل اليوم والليلة ص (٢٢٠) رقم (٦٢٣) وفي إسناده مروان بن سالم ضعيف ويحيى بن العلاء الرازي متروك. انظر الضعيفة (٣٢١)، والإرواء (١١٧٤).

وَيُحَنِّكُهُمْ»(٤٥١) . رواه أبو داود.

وقال عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما: «إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَمَرَ بِتَسْمِيَةِ الْمَوْلُودِ يَوْمَ سَابِعِهِ، وَوَضْعِ الأَذَى عَنْهُ، وَالْعَقِّ»(٤٥٢) . قال الترمذي: حديث حسن.

وقد سمى النبي ﷺ ابنه إبراهيم(٤٥٣) ، وإبراهيم بن أبي موسى(٤٥٤) ، وعبد الله بن أبي طلحة(٤٥٥) ، والمنذر بن أسيد(٤٥٦) قريبًا من ولادتهم.

وعن أبي الدرداء قال: قال رسول الله ﷺ: «**إِنكُمْ تُدْعَونَ يَومَ القِيامَةِ بِأَسْمَائِكُمْ، فَأَحسِنُوا أَسمَاءَكُم**»(٤٥٧) . ذكره أبو داود.

وذكر مسلم عن عبد الله بن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «**إِنَّ أَحَبَّ أَسْمَائِكُمْ إِلى اللَّهِ عَز وَجَل: عَبْدُ اللَّهِ وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ**»(٤٥٨) .

وعن أبي وهب الجشمي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**تَسَمَّوْا بِأَسْمَاءِ الأَنْبِيَاءِ، وَإِن أَحَبَّ الأَسْمَاءِ إِلَى اللَّهِ عَز وَجَل: عَبْدُ اللَّهِ، وَعَبْدُ الرَّحْمَن،**

---

(٤٥١) **صحيح**: أخرجه مسلم (٢٦٨ فؤاد) (٦٤٩، ٥٥١٥ قلعجي) وأبو داود (٥١٠٦).

(٤٥٢) **حسن بشواهده**: أخرجه الترمذي (٢٨٤١) وقال: حسن غريب ا هـ. وإسناده حسن لولا تدليس محمد بن إسحاق، لكن له شواهد تقويه من حديث الحسن عن سمرة مرفوعًا عن أبي داود (٢٨٣٧) والترمذي (١٥٢٧) وابن ماجه (٣١٦٥) وليس معنى هذا الحديث أنه لا يجوز تسمية الوليد قبل اليوم السابع، ولذلك أتبعه المصنف بذكر من سماهم النبي ﷺ قبل اليوم السابع. فتنبه.

(٤٥٣) روى مسلم (٢٣١٥ فؤاد) (٥٩١١ قلعجي) عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال: «ولد لي الليلة غلام، فسميته باسم أبي إبراهيم»... الحديث الشاهد أنه سماه ليلة مولده ولم ينتظر إلى اليوم السابع.

(٤٥٤) روى البخاري (٦١٩٨) ومسلم (٢١٤٥ فؤاد) (٥٥١١ قلعجي) عن أبي موسى قال: ولد لي غلام فأتيت النبي ﷺ فسماه إبراهيم، وحنكه بتمرة. والشاهد: أن التحنيك عادة يكون يوم المولد فدل على أن تسميته كانت يوم مولده.

(٤٥٥) روى مسلم (٢١٤٤ فؤاد) (٥٥٠٨ قلعجي) عن أنس قال: ذهبت بعبد الله بن أبي طلحة إلى رسول الله ﷺ حين ولد... فقال رسول الله: حب الأنصار التمر وسماه عبد الله. وبنحوه عند البخاري ومسلم.

(٤٥٦) روى البخاري (٦١٩١) ومسلم (٢١٤٩ فؤاد) (٥٥١٧قلعجي) عن سهل بن سعد قال: أتي بالمنذر بن أبي أسيد إلى رسول الله ﷺ حين ولد. فوضعه النبي على فخذه... فقال: «ما اسمه؟» قال: فلان يا رسول الله. قال: «ولكن اسمه المنذر»: فسماه يومئذ المنذر.

(٤٥٧) **منقطع**: أخرجه أبو داود (٤٩٤٨) من حديث عبد الله بن أبي زكريا عن أبي الدرداء. قال أبو داود: ابن أبي زكريا، لم يدرك أبا الدرداء ا هـ فالحديث منقطع.

(٤٥٨) **صحيح**: أخرجه مسلم (٢١٣٢ فؤاد) (٥٤٨٣ قلعجي) والترمذي (٢٨٤٣) وأبو داود (٤٩٤٩) وابن ماجه (٣٧٢٨).

وَأَصْدَقُهَا حَارِثٌ وَهَمَّامٌ، وَأَقْبَحُهَا حَرْبٌ وَمُرَّةُ» (٤٥٩). رواه أبو داود والنسائي.

وغير النبي ﷺ الأسماء المكروهة إلى أسماء حسنة، فغير اسم برة إلى زينب، وغير اسم حزن إلى سهل، وغير اسم عاصية فسماها جميلة، وغير اسم أصرم إلى زرعة، وسمى حربًا سلمًا، وسمى المضطجع المنبعث، وسمى أرضًا يقال لها عفرة: خضرة، وشعب الضلالة سماه شعب الهدى، وبنو الزنية سماهم بني الرشدة (٤٦٠).

* * *

الفصل السادس والأربعون
في صياح الديكة والنهيق والنباح

في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: **«إِذَا سَمِعْتُمْ صِيَاحَ الدِّيَكَةِ ؛ فَاسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ ؛ فَإِنَّهَا رَأَتْ مَلَكًا، وَإِذَا سَمِعْتُمْ نَهِيقَ الْحِمَارِ ؛ فَتَعَوَّذُوا بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ ؛ فَإِنَّهُ رَأَى شَيْطَانًا»** (٤٦١).

وفي سنن أبي داود عن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«إِذَا سَمِعْتُمْ نُبَاحَ الْكِلَابِ، وَنَهِيقَ الْحُمُرِ بِاللَّيْلِ ؛ فَتَعَوَّذُوا بِاللَّهِ ؛ فَإِنَّهُنَّ يَرَيْنَ مَا لَا تَرَوْنَ»** (٤٦٢). رواه أبو داود.

الفصل السابع والأربعون
في الذكر يطفأ به الحريق

يذكر عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«إِذَا رَأَيْتُمُ الْحَرِيقَ فَكَبِّرُوا فَإِنَّ التَّكْبِيرَ يُطْفِئُهُ»** (٤٦٣)

(٤٥٩) ضعيف: أخرجه أبو داود (٤٩٥٠)، والنسائي (٦/ ٢١٨) وأحمد (٤/ ٣٤٥) جميعًا من طريق عقيل بن شبيب عن أبي وهب الجمشي مرفوعًا به ، وعقيل بن شبيب مجهول.

(٤٦٠) راجع في تفصيل هذا الكلام وبيان أدلته زاد المعاد (٢/ ٣٣٤ - ٣٥١) وتحفة المودود ص (٧٢ - ٧٩). وانظر كلام أبي داود صاحب السنن في سننه (٤/ ٢٩١) عقب حديث (٤٩٥٦).

(٤٦١) صحيح: أخرجه البخاري (٣٣٠٣) ومسلم (٢٧٢٩ فؤاد) (٦٧٨٨ قلعجي).

(٤٦٢) حسن بمجموع طرقه: أخرجه أبو داود (٥١٠٣) ورجاله ثقات لولا تدليس ابن إسحاق . لكنْ له طريقان آخران أخرجهما أبو داود (٥١٠٤) وفيهما ضعف ولكن يصلحان للاعتبار، فالحديث حسن.

(٤٦٣) ضعيف: أخرجه ابن السني في عمل اليوم والليلة ص (١٠٧) برقم (٢٩٤، ٢٩٥، ٢٩٦، ٢٩٧) ومداره على القاسم بن عبد الله بن عمر العمري وهو متروك.

الفصل الثامن والأربعون
في كفارة المجلس

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«مَنْ جَلَسَ مَجْلِسًا فَكَثُرَ فِيهِ لَغَطُهُ فَقَالَ قَبْلَ أَنْ يَقُومَ مِنْ مَجْلِسِهِ ذَلِكَ: سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ أَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلا أَنْتَ أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ؛ إِلا كَفَّرَ اللهُ لَهُ مَا كَانَ فِي مَجْلِسِهِ ذَلِكَ»**(٤٦٤). قال الترمذي: حديث حسن صحيح. وفي حديث آخر: **«أَنَّه إِنْ كَانَ فِي مَجْلِسِ خَيْرٍ كَانَ كَالطَّابِعِ لَهُ، وَإِنْ كَانَ فِي مَجْلِسِ تَخْلِيطٍ كَانَ كَفَّارَةً لَهُ»**(٤٦٥).

وفي السنن عن أبي هريرة عن النبي ﷺ: **«مَا مِنْ قَوْمٍ يَقُومُونَ مِنْ مَجْلِسٍ لا يَذْكُرُونَ اللَّهَ فِيهِ؛ إِلا قَامُوا عَنْ مِثْلِ جِيفَةِ حِمَارٍ، وَكَانَ لَهُمْ حَسْرَةً»**(٤٦٦).

وعن ابن عمر قال: قلما كان رسول الله ﷺ يقوم من مجلس حتى يدعو بهؤلاء الكلمات لأصحابه: **«اللَّهُمَّ اقْسِمْ لَنَا مِنْ خَشْيَتِكَ مَا تَحُولُ به بَيْنَنَا وَبَيْنَ مَعْصِيَتِك، وَمِنْ طَاعَتِكَ مَا تُبَلِّغُنَا بِهِ جَنَّتَكَ، وَمِنَ الْيَقِينِ مَا تُهَوِّنُ بِهِ عَلَيْنَا مَصَائب الدُّنْيَا، اللهم أَمْتِعْنَا بِأَسْمَاعِنَا وَأَبْصَارِنَا وَقُوَّتِنَا مَا أَحْيَيْتَنَا وَاجْعَلْهُ الْوَارِثَ مِنَّا، وَاجْعَلْ ثَأْرَنَا عَلَى مَنْ ظَلَمَنَا، وَانْصُرْنَا عَلَى مَنْ عَادَانَا، وَلا تَجْعَلْ مُصِيبَتَنَا فِي دِينِنَا، وَلا تَجْعَلِ الدُّنْيَا أَكْبَرَ هَمِّنَا وَلا مَبْلَغَ عِلْمِنَا، وَلا تُسَلِّطْ عَلَيْنَا مَنْ لا يَرْحَمُنَا»**(٤٦٧). قال الترمذي: حديث حسن

* * *

(٤٦٤) صحيح: أخرجه الترمذي (٣٤٤٤) وقال: حسن صحيح ا هـ. والحديث صحيح أخرجه ابن السني في اليوم والليلة برقم (٤٤٧).

(٤٦٥) صحيح الإسناد: أخرجه النسائي في الكبرى (٦/ ١٠٦) برقم (١٠٢٣٣) من حديث عائشة مرفوعًا وإسناده صحيح.

(٤٦٦) صحيح: أخرجه أبو داود (٤٨٥٥) وأحمد (٢/ ٥١٥) والحديث صحيح.

(٤٦٧) منقطع: أخرجه الترمذي (٣٥١٣) وقال: حسن غريب ا هـ. وهو منقطع بين عمر والراوي عنه خالد بن أبي عمران لكن قال الترمذي: وقد روى بعضهم هذا الحديث عن خالد بن عمران عن نافع عن ابن عمر ا هـ.

الفصل التاسع والأربعون
فيما يقال ويفعل عند الغضب

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [فصلت:٣٦]. وقال سليمان بن صرد: كنت جالسًا مع النبي ﷺ ورجلان يستبان أحدهما قد احْمَرَّ وجهه وانتفخت أوداجه، فقال النبي ﷺ «**إِنِّي لأَعْلَمُ كَلِمَةً لَوْ قَالَهَا لَذَهَبَ عَنْهُ مَا يَجِدُ، لَوْ قَالَ: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ذَهَبَ عَنْهُ مَا يَجِدُ**» (٤٦٨)متفق عليه.

وعن عطية بن عروة قال: قال رسول الله ﷺ «**إِنَّ الْغَضَبَ مِنَ الشَّيْطَانِ، وَإِنَّ الشَّيْطَانَ خُلِقَ مِنَ النَّارِ وَإِنَّمَا تُطْفَأُ النَّارُ بِالْمَاءِ، فَإِذَا غَضِبَ أَحَدُكُمْ فَلْيَتَوَضَّأْ**» (٤٦٩)رواه أبو داود.

وفي حديث آخر: أنه أمر من غضب إن كان قائمًا أن يجلس، وإن كان جالسًا أن يضطجع (٤٧٠).

* * *

الفصل الخمسون
فيما يقال عند رؤية أهل البلاء

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺقال: «**مَنْ رَأَى مُبْتَلًى فَقَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي عَافَانِي مِمَّا ابْتَلاكَ بِهِ، وَفَضَّلَنِي عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقَ تَفْضِيلًا ؛ لَمْ يُصِبْهُ ذَلِكَ الْبَلاءُ**» (٤٧١)وقال الترمذي: حديث حسن

* * *

---

(٤٦٨) صحيح: أخرجه البخاري (٣٢٨٢) ومسلم (٦٥٢٣ قلعجي).

(٤٦٩)أخرجه أبو داود (٤٧٨٤) من حديث عروة بن محمد بن عطية السعدي عن أبيه عن جده وهو عند أحمد (٤/ ٢٢٦) وعروة وأبيه لم يوثقهما غير ابن حبان.

(٤٧٠)أخرجه أحمد (٥/ ١٥٢) ومن طريقه أبو داود (٤٧٨٢) من حديث أبي ذر وهو حديث صحيح الإسناد إلا أن أبا داود ذكره برقم (٤٧٨٣) بإسناد مرسل وقال: هذا أصح الحديثين.

(٤٧١) ضعيف: أخرجه الترمذي (٣٤٤٢) وابن ماجه (٣٨٩٢) من طريق عمرو بن دينار قهرمان آل الزبير وهو ضعيف عن سالم عن أبيه عن جده عمر وروى الترمذي نحوه (٣٤٤٣) من حديث أبي هريرة، وفي إسناده عبد الله العمري ضعيف.

الفصل الحادي والخمسون
في الذكر عند دخول السوق

عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ دَخَلَ السُّوقَ فَقَالَ: لا إِلَهَ إلا اللَّهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ حَيٌّ لا يَمُوتُ بِيَدِهِ الْخَيْرُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ؛ كَتَبَ اللَّهُ لَهُ أَلْفَ أَلْفِ حَسَنَةٍ وَمَحَا عَنْهُ أَلْفَ أَلْفِ سَيِّئَةٍ، وَرَفَعَ لَهُ أَلْفَ أَلْفِ دَرَجَةٍ**» (٤٧٢) رواه الترمذي.

وعن بريدة رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ إذا دخل السوق قال: «**بِسْم اللهِ، اللهُمَّ إني أَسْأَلُكَ خَيْرَ هَذِه السُّوقِ وَخَيْرَ مَا فِيهَا، وَأَعُوذُ بِكَ من شَرِّهَا وَشَرِ مَا فِيهَا. اللّهُمّ إني أَعُوذُ بِكَ أَنْ أُصِيبَ بِهَا يَمِينًا فَاجِرَةً، أَوْ صَفْقَةً خَاسِرَةً**» (٤٧٣).

* * *

الفصل الثاني والخمسون
في الرجل إذا خدرت رجله

عن الهيثم بن حنش قال: كنا عند عبد الله بن عمر رضي الله عنهما فخدرت رجله، فقال له رجل: اذكر أحب الناس إليك، فذكر محمدًا ﷺ فكأنما نشط من عقال (٤٧٤).

وعن مجاهد رحمه الله قال: خدرت رِجْلُ رَجُلٍ عند ابن عباس رضي الله عنهما فقال: اذكر أحب الناس إليك فقال: محمد ﷺ، فذهب خدره (٤٧٥).

---

(٤٧٢) ضعيف: أخرجه الترمذي (٣٤٣٩)، (٣٤٤٠) وابن ماجه (٢٢٣٥) والحديث ضعيف أعله ابن القيم وغيره. راجع في ذلك المنار المنيف للمؤلف ص (٢٢).

(٤٧٣) ضعيف: أخرجه ابن السني في عمل اليوم والليلة ص (٦٨) رقم (١٨١) من طريق محمد بن أبان عن علقمة بن مرثد بإسناده إلى النبي ﷺ. وأورده الهيثمي في المجمع (١٠/ ١٢٩) وقال: «رواه الطبراني وفيه محمد بن أبان الجعفي وهو ضعيف». اهـ. وقد وقع في الأصل هنا: إذا دخل السوق، والتصويب من ابن السني والمجمع.

(٤٧٤) ضعيف: أخرجه ابن السني في اليوم والليلة ص (٦٤) رقم (١٧٠) والهيثم بن حنش مجهول.

(٤٧٥) موضوع: أخرجه ابن السني ص (٦٤) رقم (١٦٩) وفي إسناده غياث بن إبراهيم كذاب. قال الشوكاني في تحفة الذاكرين ص (٢٣٩): وليس في هذا ما يفيد أن لذلك حكم الرفع فقد يكون

الفصل الثالث والخمسون
في الدابة إذا عثرت

عن أبي المليح عن رجل قال: كنت رديف النبي ﷺ فعثرت دابته فقلت: تعس الشيطان. فقال: «**لا تَقُلْ تَعِسَ الشَّيْطَانُ؛ فَإِنَّكَ إِذَا قُلْتَ ذَلِكَ تَعَاظَمَ حَتَّى يَكُونَ مِثْلَ الْبَيْتِ، وَيَقُولُ بِقُوَّتِي، وَلَكِنْ قُلْ: بِسْمِ اللَّهِ، فَإِنَّكَ إِذَا قُلْتَ ذَلِكَ تَصَاغَرَ حَتَّى يَكُونَ مِثْلَ الذُّبَابِ**» (٤٧٦).

* * *

الفصل الرابع والخمسون
فيمن أهدى هدية أو تصدق بصدقة فدعا له، ماذا يقول؟

عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: أهديت لرسول الله ﷺ شاة فقال: «**اقْتَسِمِيهَا**». وكانت عائشة رضي الله عنها إذا رجعت الخادم تقول: ما قالوا؟ تقول الخادم: قالوا: بارك الله فيكم. تقول عائشة رضي الله عنها: وفيهم بارك الله. نرد عليهم مثل ما قالوا، ويبقى أجرنا لنا (٤٧٧). وقد روي عنها في الصدقة مثل ذلك.

* * *

الفصل الخامس والخمسون
فيمن أميط عنه أذى

عن أبي أيوب رضي الله عنه أنه تناول من لحية رسول الله ﷺ أذى، فقال

مرجع مثل هذا التجريب. ا هـ.

قلت: وذهاب خدر الرجل بذكر المحبوب غير مستنكر كما قال أبو العتاهية:

وتخدر في بعض الأحايين رجله ... فإن لم يقل يا عتب لم يذهب الخدر

وذلك أن خدر العضو سببه ضعف الدورة الدموية في هذا العضو، فإذا ذكر الإنسان محبوبه انفسحت نفسه وقويت ضربات قلبه، فيذهب السبب الموجب لخدر العضو. ولكن إقحام مثل ذلك في الأذكار غريب وإن لم ينفرد المصنف به.

(٤٧٦) **صحيح**: أخرجه أبو داود (٤٩٨٢) وهو حديث صحيح.

(٤٧٧) أخرجه ابن السني في عمل اليوم والليلة ص (١٠٢) رقم (٢٧٨) من طريق يزيد بن زياد عن عبيد ابن أبي الجعد عن عائشة رضي الله عنها وقال محققه إسناده جيد. ا هـ. قلت: عبيد بن أبي الجعد لم يوثقه غير ابن حبان.

رسول الله ﷺ «**مَسَحَ اللهُ عَنكَ يَا أَبَا أَيُّوبَ مَا تَكْرَه**» (٤٧٨) وفي لفظ آخر: «**لا يَكُنْ بِكَ السّوءُ يا أبا أيوبَ**» (٤٧٩). وعن عمر رضي الله عنه: أنه أخذ عن رجل شيئًا، فقال الرجل: صرف الله عنك السوء. فقال عمر رضي الله عنه: صرف الله عنا السوء منذ أسلمنا. ولكن إذا أخذ عنك شيئًا فقل أخذت يداك خيرًا (٤٨٠)

* * *

الفصل السادس والخمسون
في رؤية باكورة الثمرة

قال أبو هريرة رضي الله عنه: كان الناس إذا رأوا الثمر، جاءوا به إلى رسول الله ﷺ فقال: «**اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي ثَمَرِنَا وَبَارِكْ لَنَا فِي مَدِينَتِنَا، وَبَارِكْ لَنَا فِي صَاعِنَا وَبَارِكْ لَنَا فِي مُدِّنَا**» (٤٨١) ثم يعطيه أصغر من يحضره من الولدان. رواه مسلم.

* * *

الفصل السابع والخمسون
في الشيء يراه ويعجبه ويخاف عليه العين

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾ [الكهف: ٣٩]. وقال النبي ﷺ: «**الْعَيْنُ حَقٌّ، وَلَوْ كَانَ شَيْءٌ سَابَقَ الْقَدَرَ سَبَقَتْهُ الْعَيْنُ**». (٤٨٢) حديث صحيح.

ويذكر عن النبي ﷺ أنه قال: «**إِذَا رَأَى أَحَدُكُمْ مَا يُعْجِبه فِي نَفْسِه أَوْ مَالِه ؛**

---

(٤٧٨) ضعيف: أخرجه ابن السني في عمل اليوم والليلة ص (١٠٣) رقم (٢٨١) وفي إسناده عثمان بن فائد ضعيف.

(٤٧٩) ضعيف: أخرجه ابن السني في عمل اليوم والليلة ص (١٠٣) رقم (٢٨٢) وفي إسناده أبو هلال الراسبي ضعيف.

(٤٨٠) منقطع وهو موقوف: أخرجه ابن السني في عمل اليوم والليلة ص (١٠٣) رقم (٢٨٣) موقوفًا عن عمر بن الخطاب ولكن إسناده منقطع.

(٤٨١) صحيح: أخرجه مسلم (١٣٧٣ فؤاد) (٣٢٧٥ قلعجي) والترمذي (٣٤٦٥) وابن ماجه (٣٣٢٩).

(٤٨٢) صحيح: أخرجه مسلم (٢١٨٨ فؤاد) (٥٥٩٨ قلعجي) وبنحوه عند الترمذي (٢٠٦٩).

يَتَبَرَّكْ عَلَيه ؛ فَإِن العَيْنَ حَقٌ» (٤٨٣) . ويذكر عنه ﷺ أنه قال: **«مَنْ رَأَى شَيئًا فَأَعْجَبَه فَلْيَقُلْ: مَا شَاءَ اللهُ، لا قُوةَ إلا باللهِ»** (٤٨٤) .

ويذكر عنه ﷺ فيمن خاف أن يصيب شيئًا بعينه قال: **«اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِيه، وَلا تَضُره»** (٤٨٥) .

وقال أبو سعيد: **«كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَتَعَوَّذُ مِنْ الْجَانِّ، وَعَيْنِ الإِنْسَانِ حَتَّى نَزَلَتْ الْمُعَوِّذَتَانِ فَلَمَّا نَزَلَتَا أَخَذَ بِهِمَا وَتَرَكَ مَا سِوَاهُمَا»** (٤٨٦) . قال الترمذي: حديث حسن. وروواه ابن ماجه في سننه.

* * *

الفصل الثامن والخمسون
في الفأل والطيرة

قال النبي ﷺ : **«لا عَدْوى ولا طِيَرَةَ، وَأَصدَقُهَا الْفَأْلُ»** قيل: وما الفأل ؟ قال: **«الْكَلِمَةُ الصَّالِحَةُ يَسْمَعُهَا الرَجلُ»** (٤٨٧) ، وكان النبي ﷺ يعجبه الفأل (٤٨٨) ، كما كان في سفر الهجرة فلقيهم رجل فقال: **«مَا اسْمُكَ؟»** قال: بريدة. قال: **«بَرُدَ أَمْرُنَا»** (٤٨٩) ، وقال ﷺ : **«رَأَيْتُ ذَاتَ لَيلَةٍ فِيمَا يَرَى النَّائِمُ كَأَنَّا فِي دَارِ عُقْبَةَ بْنِ رَافِعٍ فَأُتِينَا بِرُطَبٍ مِنْ رُطَبِ ابْنِ طَابٍ فَأَوَّلْتُها الرِّفْعَةَ لَنَا فِي الدُّنْيا، وَالْعَاقِبَةَ فِي الآخِرَةِ وَأَنَّ دِينَنَا قَدْ طَابَ»** (٤٩٠) .

---

(٤٨٣) صحيح: أخرجه النسائي في الكبرى (٦/ ٢٥٦) رقم (١٠٨٧٢) وابن السني في عمل اليوم والليلة ص (٧٧) رقم (٢٠٦) وهو صحيح وهو عند أحمد (٣/ ٤٤٧) وبنحوه عند ابن ماجه (٣٥٠٩).

(٤٨٤) ضعيف: أخرجه ابن السني في عمل اليوم والليلة ص (٧٨) رقم (٢٠٧) وفي إسناده أبو بكر الهذلي، وحجاج بن نصير ضعيفان.

(٤٨٥) مرسل: أخرجه ابن السني في عمل اليوم والليلة ص (٧٨) رقم (٢٠٨) وهو مرسل.

(٤٨٦) أخرجه الترمذي (٢٠٦٥) وقال: حسن غريب. والنسائي (٨/ ٢٧١) وابن ماجه (٣٥١١) وفي إسناده سعيد بن إياس الجريري. كان قد اختلط قبل موته، والراوي عنه «عباد». لم يذكر أحد أنه سمع من الجريري قبل الاختلاط.

(٤٨٧) صحيح: أخرجه البخاري (٥٧٥٤) ومسلم (٢٢٢٣ فؤاد) (٥٦٩٠ قلعجي) والطيرة: التشاؤم.

(٤٨٨) صحيح: أخرجه البخاري (٥٧٧٦) ومسلم (٢٢٢٤ فؤاد) (٥٦٩٣ قلعجي).

(٤٨٩) أورده المصنف في كتابه تحفة المودود ص (٧٧) وعزاه لأبي عمر بن عبد البر في الاستذكار.

(٤٩٠) صحيح: أخرجه مسلم (٢٢٧٠ فؤاد) (٥٨٢٢ قلعجي) وأبو داود (٥٠٢٥) من حديث أنس

وأما الطيرة فقال معاوية بن الحكم: قلت يا رسول الله منا رجال يتطيرون. قال: «ذَاكَ شَيْءٌ تَجِدُونَهُ فِي صُدُورِكُمْ فَلا يَصُدَّنَّكُمْ» (٤٩١)، وهذه الأحاديث في الصحاح. وعن عقبة بن عامر قال: سئل رسول الله ﷺ عن الطيرة فقال: «أَصدَقُهَا الْفَأْلُ وَلا تَرُدُّ مُسْلِمًا، وإِذَا رَأَيْتم مِن الطِّيَرةِ شيئًا تَكْرهُونَه فَقُولُوا: اللَّهُمَّ لا يَأْتِي بِالْحَسَنَاتِ إلا أَنْتَ وَلا يَذْهَبُ بِالسَّيِّئَاتِ إلا أَنْتَ وَلا حَوْلَ وَلا قُوَّةَ إلا بِاللهِ» (٤٩٢).

الفصل التاسع والخمسون
في الحمام

يذكر عن أبي هريرة أنه قال: نعم البيت الحمام يدخله المسلم، إذا دخله سأل الله الجنة، واستعاذ به من النار (٤٩٣).

* * *

الفصل الستون
في الذكر عند دخول الخلاء والخروج منه

في الصحيحين عن أنس رضي الله عنه قال: كان النبي ﷺ إذا دخل الخلاء قال: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْخُبُثِ وَالْخَبَائِثِ» (٤٩٤)، وزاد سعيد بن منصور: «بِسْمِ اللهِ».

بن مالك رضي الله عنه. وقوله: رطب ابن طاب. قال النووي: «هو نوع من الرطب معروف... وهو مضاف إلى ابن طاب رجل من أهل المدينة» اهـ.

(٤٩١) **صحيح**: أخرجه مسلم (٥٣٧ فؤاد) (١١٧٩ قلعجي) وأبو داود (٩٣٠) والنسائي (٣/ ١٥) من حديث معاوية بن الحكم مرفوعًا وهو حديث طويل.

(٤٩٢) **حسن بمجموع طرقه**: أخرجه أبو داود (٣٩١٩) من طريق حبيب بن أبي ثابت عن عروة بن عامر القرشي. وحبيب ثقة يدلس، وعروة مختلف في صحبته، لكن له شاهد مرسل أخرجه أبو داود في المراسيل ص (١٦٧) رقم (٥٧) إلا أنه من طريق بقية بن الوليد وهو يدلس، ولكن اختلاف المخرج يفيد أن للحديث أصلاً. خاصة أن الضعف في حديث عروة قابل للجبر. فالحديث حسن.

(٤٩٣) ضعيف: رواه الترمذي في نوادر الأصول (٢/ ١١٩)، والبيهقي في شعب الإيمان (٦/ ١٦٠) رقم (٧٧٨٠) عن أبي هريرة موقوفًا وقال البيهقي: «هذا موقوف وإسناده صحيح». وأخرجه ابن السني ص (١١٤) رقم (٣١٥) عن أبي هريرة مرفوعًا، وفي إسناده يحيى بن عبيد الله بن موهب ضعيف.

(٤٩٤) صحيح: أخرجه البخاري (١٤٢) ومسلم (٣٧٥ فؤاد) (٨٠٩ قلعجي).

وفي مسند الإمام أحمد عن زيد بن أرقم قال: قال رسول الله ﷺ: «**إِنَّ هَذِهِ الْحُشُوشَ مُحْتَضَرَةٌ فَإِذَا أَتَى أَحَدُكُمُ الْخَلاءَ فَلْيَقُلْ: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الْخُبُثِ وَالْخَبَائِثِ**»[٤٩٥]، وفي سنن ابن ماجه عن أبي أمامة أن رسول الله ﷺ قال: «**لا يَعْجِزْ أَحَدُكُمْ إِذَا دَخَلَ مَرْفَقَهُ أَنْ يَقُولَ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الرِّجْسِ النَّجِسِ الْخَبِيثِ الْمُخْبِثِ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ**»[٤٩٦].

وفي الترمذي عن علي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**سَتْرُ مَا بَيْنَ أَعْيُنِ الْجِنِّ وَعَوْرَاتِ بَنِي آدَمَ إِذَا دَخَلَ أَحَدُهُمُ الْخَلاءَ أَنْ يَقُولَ: بِسْمِ اللَّهِ**»[٤٩٧]، وقالت عائشة: «**كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا خَرَجَ مِنَ الْغَائِطِ قَالَ: غُفْرَانَكَ**»[٤٩٨]. رواه الإمام أحمد وأهل السنن.

وفي سنن ابن ماجه عن أنس رضي الله عنه: كان النبي ﷺ إذا خرج من الخلاء قال: «**الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنِّي الأَذَى وَعَافَانِي**»[٤٩٩].

* * *

الفصل الحادي والستون
في الذكر عند إرادة الوضوء

ثبت في النسائي عنه ﷺ أنه وضع يده في الجفنة، وقال: «**تَوَضَّأُ بِبِسْمِ اللهِ**»[٥٠٠].

وفي صحيح مسلم عن جابر رضي الله عنه في حديثه الطويل، وفيه: «**يَا جَابِرُ**

---

(٤٩٥) **صحيح الإسناد**: أخرجه أحمد (٤/ ٣٦٩) وأبو داود (٦) وابن ماجه (٢٩٦) وهو صحيح الإسناد. «والحشوش» جمع حُش، وهو النخل الكثير؛ حيث كانوا يتغوطون قبل أن تُبنى المراحيض في البيوت. وقوله محتضرة: أي تحضرها الشياطين.

(٤٩٦) **ضعيف**: أخرجه ابن ماجه (٢٩٩) وفي إسناده الألهاني ضعيف.

(٤٩٧) **ضعيف**: أخرجه الترمذي (٦٠٦) وقال: هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه، وإسناده ليس بذاك القوي، وقد رُوي عن أنس عن النبي أشياء في هذا. ا هـ. وأخرجه ابن ماجه (٢٩٧) بنفس إسناد الترمذي. والحديث من طريق الحكم بن عبد الله النصري مجهول.

(٤٩٨) **حسن**: أخرجه أحمد (٦/ ١٥٥) وأبو داود (٣٠) والترمذي (٧) وابن ماجه (٣٠٠) وهو حديث حسن.

(٤٩٩) **ضعيف**: أخرجه ابن ماجه (٣٠١) وفي إسناده إسماعيل بن مسلم ضعيف ونقل محقق ابن ماجه عن الزوائد: «والحديث بهذا اللفظ غير ثابت». ا هـ.

(٥٠٠) **صحيح الإسناد**: أخرجه النسائي (١/ ٦١) من حديث أنس بن مالك وهو صحيح الإسناد

نَادِ بِوَضُوءٍ» فقلت: ألا وضوء ؟ ألا وضوء ؟ وفيه فقال: «خُذْ يَا جَابِرُ فَصُبَّ عَلَيَّ وَقُلْ: بِاسْمِ اللَّهِ. فَصَبَبْتُ عَلَيْهِ، وَقُلْتُ: بِاسْمِ اللَّهِ ؛ فَرَأَيْتُ الْمَاءَ يَفُورُ مِنْ بَيْنِ أَصَابِعِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ»(٥٠١).

وفي المسند والسنن من حديث سعيد بن زيد عن النبي ﷺ : «لا وُضُوءَ لِمَنْ لَمْ يَذْكُرِ اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ»(٥٠٢). قال البخاري: هذا أحسن شيء في هذا الباب.

وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ : «لا صَلاةَ لِمَنْ لا وُضُوءَ لَهُ، وَلا وُضُوءَ لِمَنْ لَمْ يَذْكُرِ اسْمَ اللَّهِ تَعَالَى عَلَيْهِ»(٥٠٣). رواه الإمام أحمد وأبو داود.

وفي المسند عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ : «لا وُضُوءَ لِمَنْ لَمْ يَذْكُرِ اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ»(٥٠٤).

* * *

الفصل الثاني والستون
في الذكر بعد الفراغ من الوضوء

روى مسلم في صحيحه عن عمر بن الخطاب عن النبي ﷺ قال: «مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ يَتَوَضَّأُ فَيُبْلِغُ أَوْ فَيُسْبِغُ الْوَضُوءَ ثُمَّ يَقُولُ: أَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إلا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ ؛ إلا فُتِحَتْ لَهُ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ الثَّمَانِيَةُ يَدْخُلُ مِنْ أَيِّهَا شَاءَ»(٥٠٥)، وزاد فيه الترمذي بعد ذكر الشهادتين: «اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي مِنَ التَّوَّابِينَ وَاجْعَلْنِي مِنَ الْمُتَطَهِّرِينَ»(٥٠٦)، وفي بعض طرقه ذكرها أبو داود والإمام أحمد:

وهو وقع في الأصول هنا: «توضأ ببسم الله». والتصويب من سنن النسائي.
(٥٠١) صحيح: أخرجه البخاري (٤١٥٢) ومسلم (٣٠١٣ فؤاد) (٧٣٦٨ قلعجي).
(٥٠٢) حسن: أخرجه أحمد (٤/ ٧٠) بنحوه والترمذي (٢٥) وابن ماجه (٣٩٨) حديث حسن وله شواهد.
(٥٠٣) منقطع: أخرجه أحمد (٢/ ٤١٨) وأبو داود (١٠١) وابن ماجه (٣٩٩) من طريق يعقوب بن سلمة الليثي عن أبيه عن أبي هريرة به. ويعقوب مجهول الحال كما قال الحافظ في التقريب. ونقل عن البخاري قوله: «لا يعرف له سماع من أبيه ولا لأبيه سماع من أبي هريرة». اهـ. من التهذيب (١١/ ٣٣٨) فالحديث منقطع في موضعين لكن يشهد له ما قبله وله شواهد تحسنه.
(٥٠٤) حسن: أخرجه أحمد (٣/ ٤١) وابن ماجه (٣٩٧) وهو حديث حسن.
(٥٠٥) صحيح: أخرجه مسلم (٢٣٤ فؤاد) (٥٤٢ قلعجي) وأبو داود (١٦٩).
(٥٠٦) ضعيف: أخرجه الترمذي (٥٥) وهي زيادة معلولة من رواية زيد بن الحباب عن معاوية عن ربيعة عن أبي إدريس وأبي عثمان عن عمر. وقد خولف زيد في روايته الحديث، فقد روى الحديث مسلم، وأحمد، وأبو داود من طريق معاوية بغير هذه الزيادة. وجعلوا بين أبي إدريس وعمر عقبة بن عامر.

«فَأَحْسَنَ الْوُضُوءَ ثُمَّ رَفَعَ نَظَرَهُ إِلَى السَّمَاءِ فَقَالَ. . .» (٥٠٧)وذكره.

وفي لفظ للإمام أحمد: **«فَأَحْسَنَ الْوُضُوءَ ثُمَّ قَالَ ثَلاثَ مَرَّاتٍ: أَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إلا اللَّهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ»** (٥٠٨).

وفي سنن النسائي عن أبي سعيد الخدري قال: من توضأ ففرغ من وضوئه وقال: سبحانك اللهم، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك، طبع عليها بطابع، ثم رفعت تحت العرش فلم تكسر إلى يوم القيامة (٥٠٩). هكذا رواه من قول أبي سعيد رضي الله عنه.

وأما الأذكار التي يقولها العامة على الوضوء عند كل وضوء فلا أصل لها عن رسول الله ﷺ ولا عن أحد من الصحابة والتابعين ولا الأئمة الأربعة، وفيها حديث كذب على رسول الله ﷺ.

الفصل الثالث والستون
في ذكر صلاة الجنازة

في صحيح مسلم عن عوف بن مالك قال: صلى رسول الله ﷺ على جنازة، فحفظت من دعائه وهو يقول: **«اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَهُ وَارْحَمْهُ، وَعَافِهِ وَاعْفُ عَنْهُ، وَأَكْرِمْ نُزُلَهُ، وَوَسِّعْ مُدْخَلَهُ، وَاغْسِلْهُ بِالْمَاءِ وَالثَّلْجِ وَالْبَرَدِ، وَنَقِّهِ مِنَ الْخَطَايَا كَمَا نَقَّيْتَ الثَّوْبَ الأَبْيَضَ مِنَ الدَّنَسِ، وَأَبْدِلْهُ دَارًا خَيْرًا مِنْ دَارِهِ وَأَهْلًا خَيْرًا مِنْ أَهْلِهِ وَزَوْجًا خَيْرًا مِنْ زَوْجِهِ، وَأَدْخِلْهُ الْجَنَّةَ وَأَعِذْهُ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ»** (٥١٠) قال: حتى تمنيت أن أكون ذلك الميت، لدعاء رسول الله ﷺ. وفي لفظ: **«وَقِهِ فِتْنَةَ الْقَبْرِ وَعَذَابَ النَّارِ»** (٥١١).

وفي سنن أبي داود عن أبي هريرة قال: صلى رسول الله ﷺ على جنازة فقال:

---

(٥٠٧) ضعيف: أخرجه أبو داود (١٧٠) وأحمد (٤/ ١٥١) من حديث عقبة بن عامر وفي إسناده رجل مجهول لم يُسم.

(٥٠٨) زيادة منكرة: أخرجه أحمد (٣/ ٢٦٥) وابن ماجه (٤٦٩) من حديث أنس بن مالك وفي إسنادهما: زيد العمى ضعيف. والحديث من غير التقييد بثلاث مرات. صحيح من حديث عمر كما سبق في رواية مسلم وأبي داود.

(٥٠٩) صحيح الإسناد: أخرجه ابن السني في عمل اليوم والليلة ص (١٥) رقم (٣٠) عن أبي سعيد الخدري مرفوعًا وإسناده صحيح.

(٥١٠) صحيح: أخرجه مسلم (٩٦٣ فؤاد) (٢١٩٧ قلعجي) والنسائي (٤/ ٧٣).

(٥١١) صحيح: رواه مسلم (٩٦٣ فؤاد) (٢١٩٩ قلعجي) والنسائي (٤/ ٧٣).

«اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِحَيِّنَا وَمَيِّتِنَا، وَشَاهِدِنَا وَغَائِبِنَا، وَصَغِيرِنَا وَكَبِيرِنَا، وَذَكَرِنَا وَأُنْثَانَا، اللَّهُمَّ مَنْ أَحْيَيْتَهُ مِنَّا فَأَحْيِهِ عَلَى الإِسلامِ، وَمَنْ تَوَفَّيْتَهُ مِنَّا فَتَوَفَّهُ عَلَى الإِيمانِ، اللَّهُمَّ لا تَحْرِمْنَا أَجْرَهُ وَلا تُضِلَّنَا بَعْدَهُ»(٥١٢) .

وفي سنن أبي داود أيضًا عن واثلة بن الأسقع: صلى رسول الله ﷺ على رجل من المسلمين فأسمعه يقول: «اللَّهُمَّ إِنَّ فُلانَ بْنَ فُلانٍ فِي ذِمَّتِكَ وَحَبْلِ جِوَارِكَ، فَقِهِ مِنْ فِتْنَةِ الْقَبْرِ وَعَذَابِ النَّارِ، وَأَنْتَ أَهْلُ الْوَفَاءِ وَالْحَمْدِ، اللَّهُمَّ فَاغْفِرْ لَهُ وَارْحَمْهُ إِنَّكَ أَنْتَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ»(٥١٣) .

وسأل مروان أبا هريرة: كيف سمعت رسول الله ﷺ يصلي على الجنازة؟ قال: «اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبُّهَا وَأَنْتَ خَلَقْتَهَا وَأَنْتَ هَدَيْتَهَا لِلإِسْلامِ وَأَنْتَ قَبَضْتَ رُوحَهَا وَأَنْتَ أَعْلَمُ بِسِرِّهَا وَعَلانِيَتِهَا جِئْنَاكَ شُفَعَاءَ فَاغْفِرْ لَهُ»(٥١٤) . رواه الإمام أحمد، وأبو داود.

* * *

الفصل الرابع والستون

في الذاكر إذا قال هُجرًا أو جرى على لسانه ما يسخط ربه عز وجل

ثبت عن النبي ﷺ : «مَنْ حَلَفَ مِنْكُمْ فَقَالَ فِي حَلِفِهِ: بِاللاتِ وَالْعُزَّى، فَلْيَقُلْ: لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ وَمَنْ قَالَ لِصَاحِبِهِ تَعَالَ أُقَامِرْكَ فَلْيَتَصَدَّقْ»(٥١٥) .

«فَكُلُ مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ اللَّهِ فَقَدْ أَشْرَكَ» حديث صحيح.

---

(٥١٢) صحيح: أخرجه أبو داود (٣٢٠١) وابن ماجه (١٤٩٨) وهو حديث صحيح.

(٥١٣) رجاله ثقات: أخرجه أبو داود (٣٢٠٢) وابن ماجه (١٤٩٩) وأحمد (٣/ ٤٩١) جميعًا من طريق الوليد بن مسلم بإسناده إلى واثلة بن الأسقع رضي الله عنه مرفوعًا به. والوليد بن مسلم يدلس تدليس تسوية، وقد صرح بالتحديث عن شيخه لكن يلزمه للتسوية أن يصرح بالتحديث إلى نهاية السند.

(٥١٤) ضعيف: أخرجه أبو داود (٣٢٠٠) وأحمد (٢/ ٣٤٥، ٣٦٣) وفي إسناده علي بن شماخ، ويقال علي بن شماس، وهو مجهول لا يعرف حاله.

(٥١٥) صحيح: أخرجه البخاري (٦٦٥٠) ومسلم (١٦٤٧ فؤاد) (٤١٨١ قلعجي) من حديث أبي هريرة.

فهذا كفارة ؛ لأن النبي ﷺ قال: «**مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ اللَّهِ فَقَدْ أَشْرَكَ**» (٥١٦)، حديث صحيح، وكفارة الشركِ التوحيدُ وهو كلمة: لا إله إلا الله. ومن قال تعالَ أقامرك فقد تكلم بهجر وفحش يتضمن أكل المال وإخراجه بالباطل، وكفارة هذه الكلمة بضد القمار وهو إخراج المال بحق في مواضعه وهو الصدقة.

وقال مصعب بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه: حلفت باللات والعزى - وكان العهد قريبًا - فذكرت ذلك للنبي ﷺ فقال: «**قَدْ قُلْتَ هُجْرًا، قُلْ: لا إِلَهَ إلا اللَّهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، وَانْفُثْ عَنْ يَسَارِكَ ثَلاثًا، وَلا تَعُدْ**» (٥١٧).

* * *

الفصل الخامس والستون
فيما يقول من اغتاب أخاه المسلم

يذكر عن النبي ﷺ أن كفارة الغيبة أن تستغفر لمن اغتبته تقول: «**اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَنَا وَلَهُ**» (٥١٨). وذكره البيهقي في الدعوات الكبير وقال: في إسناده ضعف.

وهذه المسألة فيها قولان للعلماء - هما روايتان عن الإمام أحمد - وهما : هل يكفي في التوبة من الغيبة الاستغفار للمغتاب، أم لا بد من إعلامه وتحليله ؟ والصحيح أنه لا يحتاج إلى إعلامه، بل يكفيه الاستغفار وذكره بمحاسن ما فيه في المواطن التي اغتابه فيها. وهذا اختيار شيخ الإسلام ابن تيمية وغيره (٥١٩). والذين قالوا: لا بد من إعلامه جعلوا الغيبة كالحقوق المالية. والفرق بينهما ظاهر، فإن الحقوق المالية ينتفع المظلوم بعود نظير مظلمته إليه، فإن شاء أخذها وإن شاء تصدق بها.

وأما في الغيبة فلا يمكن ذلك، ولا يحصل له بإعلامه إلا عكس مقصود الشارع

(٥١٦) صحيح: أخرجه أبو داود (٣٢٥١) واللفظ له والترمذي (١٥٤٠) بلفظ فقد كفر أو أشرك. وقال الترمذي: حديث حسن ا هـ. والحديث صحيح.

(٥١٧) حسن: أخرجه النسائي (٧/٨) وأحمد (١/١٨٣، ١٨٦) وهو حديث حسن وقد وقع بالأصل: «سبعًا». والتصحيح من النسائي وأحمد: «ثلاثًا».

(٥١٨) موضوع: أورده العجلوني في كشف الخفاء (٢/١٤٥) رقم (١٩٣٢) في بيان ألفاظ حديث: «كفارة من اغتبته أن تستغفر له». وعزاه للخرائطي من حديث أنس مرفوعًا وقال: «وهو ضعيف».

(٥١٩) تناول المصنف هذه المسألة بتفصيل أكثر من هذا في كتابه: مدارج السالكين (١/٢١٩ - ٢٢٠).

ﷺ، فإنه يوغر صدره ويؤذيه إذا سمع ما رُمي به، ولعله يهيج عداوته ولا يصفو له أبدًا، وما كان هذا سبيله فإن الشارع الحكيم ﷺ لا يبيحه ولا يجوزه فضلاً عن أن يوجبه ويأمر به، ومدار الشريعة على تعطيل المفاسد وتقليلها، لا على تحصيلها وتكميلها. والله تعالى أعلم.

* * *

الفصل السادس والستون
فيما يقال ويفعل عند كسوف الشمس وخسوف القمر

في الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ قال: «**إِنَّ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لا يَخْسِفَانِ لِمَوْتِ أَحَدٍ وَلا لِحَيَاتِهِ، فَإِذَا رَأَيْتُمْ ذَلِكَ فَادْعُوا اللَّهَ وَكَبِّرُوا وَصَلُّوا وَتَصَدَّقُوا**» (٥٢٠).

وفي صحيح مسلم عن عبد الرحمن بن سمرة قال: بينا أنا أرمي بأسهم لي في حياة رسول الله ﷺ إذ كسفت الشمس، فنبذتهن، وقلت: لأنظرن ما حدث لرسول الله ﷺ في كسوف الشمس اليوم، فانتهيت إليه، وهو رافع يديه يسبح ويحمد، ويهلل، ويدعو، حتى حسر عن الشمس، فقرأ بسورتين وركع ركعتين (٥٢١).

والنبي ﷺ أمر في الكسوف بالصلاة والعتاقة والمبادرة إلى ذكر الله تعالى والصدقة، فإن هذه الأمور تدفع أسباب البلاء.

* * *

الفصل السابع والستون
فيما يقول من ضاع له شيء ويدعو به

ذكر علي بن العيني عن سفيان عن ابن عجلان عن عمر بن كثير بن أفلح قال: كان ابن عمر يقول للرجل إذا أضل شيئًا: قل اللهم رب الضالة، هادي الضالة، تهدي من الضلالة، رد علي ضالتي بقدرتك وسلطانك، فإنها من عطائك

---

(٥٢٠) صحيح: أخرجه البخاري (١٠٤٤) ومسلم (٩٠١ فؤاد) (٢٠٦١ قلعجي).

(٥٢١) صحيح: أخرجه مسلم (٩١٣ فؤاد) (٢٠٨٣ قلعجي) وأبو داود (١١٩٥) والنسائي (٣/ ١٢٥).

وفضلك (٥٢٢).

وفي وجه آخر: سئل ابن عمر رضي الله عنهما عن الضالة فقال: يتوضأ ويصلي ركعتين ثم يتشهد، ثم يقول: اللهم رادّ الضالة، هادي الضلال، وتهدي من الضلال، رد عليّ ضالتي بعزتك وسلطانك، فإنها من فضلك وعطائك.

قال البيهقي: هذا موقوف، وهو حسن. وقد قيل: إن من ضاع له شيء فقال: يا جامع الناس ليوم لا ريب فيه رد عليّ ضالتي. ردّها الله تعالى عليه (٥٢٣).

* * *

الفصل الثامن والستون

في عقد التسبيح بالأصابع وأنه أفضل من السبحة.

روى الأعمش عن عطاء بن السائب عن أبيه عن عبد الله بن عمر قال: رأيت رسول الله ﷺ يعقد التسبيح بيمينه. رواه أبو داود (٥٢٤). **وروت بُسَيرة إحدى المهاجرات رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «عَلَيْكُنَّ بِالتَّسْبِيحِ وَالتَّهْلِيلِ وَالتَّقْدِيسِ، وَلا تَغْفُلْنَ فَتَنْسَيْنَ الرَّحْمَةَ، وَاعْقِدْنَ بِالأَنَامِلِ ؛ فَإِنَّهُنَّ مَسْؤُولاتٌ مُسْتَنْطَقَاتٌ»** (٥٢٥).

الفصل التاسع والستون

في أحب الكلام إلى الله عز وجل بعد القرآن

ثبت في صحيح مسلم عن سمرة بن جندب قال: قال رسول الله ﷺ: «أَحَبُّ الْكَلامِ إِلَى اللَّهِ أَرْبَعٌ لا يَضُرُّكَ بِأَيِّهِنَّ بَدَأْتَ: سُبْحَانَ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ وَلا إِلَهَ إِلا

---

(٥٢٢) أورده الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/ ١٣٣) وقال: «رواه الطبراني في الثلاثة، وفيه عبد الرحمن يعقوب بن أبي عماد المكي ولم أعرفه، وبقية رجاله ثقات.

(٥٢٣) أورده السيوطي في الدر المنثور (٢/ ١٥) في تفسير قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لاَّ رَيْبَ فِيهِ﴾ [آل عمران: ٩] وعزاه لابن النجار في تاريخه عن جعفر بن محمد الخلدي.

(٥٢٤) ضعيف: أخرجه أبو داود (١٥٠٢) والترمذي (٣٤٢٢، ٣٤٩٧) والنسائي (٣/ ٧٩) وقال الترمذي: «حسن غريب من حديث الأعمش». ا هـ. وقد انفرد محمد بن قدامة بلفظ «بيمينه» عند أبي داود، وسائر الروايات بدونها. ولكن الحديث ضعيف فهو من رواية الأعمش عن عطاء بن السائب، والأعمش يدلس، وعطاء اختلط، وليس الأعمش ممن سمع منه قبل الاختلاط.

(٥٢٥) ضعيف: أخرجه أبو داود (١٥٠١) والترمذي (٣٥٩٤) واللفظ له وقال: حديث غريب. ا هـ. والحديث تشهد له الآيات الدالة على نطق الأعضاء يوم القيامة. ولكن إسناده ضعيف فهو من

اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ» (٥٢٦). وفي وجه آخر «أَفْضَلُ الْكَلام بَعْدَ الْقُرْآنِ أَرْبَعٌ وَهِيَ مِنَ الْقُرْآنِ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ وَلا إِلَهَ إلا اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ» (٥٢٧).

وفي أثر آخر: «أَفْضَلُ الْكَلامِ مَا اصْطَفَى اللَّهُ لِمَلائِكَتِهِ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ» (٥٢٨).

وفي الصحيحين عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ ثَقِيلَتَانِ فِي الْمِيزَانِ حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ سُبْحَانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ» (٥٢٩).

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «لأَنْ أَقُولَ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ وَلا إِلَهَ إلا اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ» (٥٣٠)

* * *

الفصل السبعون
في الذكر المضاعف

في صحيح مسلم عن جويرية أم المؤمنين أن النبي ﷺ خرج من عندها بكرة حين صلى الصبح وهي في مسجدها، ثم رجع بعدما أضحى وهي جالسة، فقال: «مَا زِلْتِ عَلَى الْحَالِ الَّتِي فَارَقْتُكِ عَلَيْهَا؟» قالت: نعم. فقال النبي ﷺ: «لَقَدْ قُلْتُ بَعْدَكِ أَرْبَعَ كَلِمَاتٍ ثَلاثَ مَرَّاتٍ لَوْ وُزِنَتْ بِمَا قُلْتِ مُنْذُ الْيَوْمِ لَوَزَنَتْهُنَّ: سُبْحَانَ اللَّهِ عَدَدَ خَلْقِهِ سُبْحَانَ اللَّهِ رِضَا نَفْسِهِ سُبْحَانَ اللَّهِ زِنَةَ عَرْشِهِ سُبْحَانَ اللَّهِ

رواية هانئ بن عثمان عن حميضة بنت ياسر عن يسيرة عن النبي ﷺ به، لكن هانئ مجهول، وكذلك حميضة.

(٥٢٦) صحيح: أخرجه البخاري (١١/ ٥٥٦) تعليقًا. كتاب الأيمان والنذور، باب: إذا قال والله لا أتكلم اليوم. وأخرجه مسلم (٢١٣٧ فؤاد) (٥٤٩٧ قلعجي).

(٥٢٧) صحيح: أخرجه أحمد (٥/ ٢٠) من حديث سمرة بن جندب مرفوعًا وهو حديث صحيح.

(٥٢٨) صحيح: أخرجه مسلم (٢٧٣١ فؤاد) (٦٧٩٣ قلعجي) والترمذي (٣٦٠٤) من حديث أبي ذر.

(٥٢٩) صحيح: أخرجه البخاري (٦٤٠٦) ومسلم (٢٦٩٤ فؤاد) (٦٧١٩ قلعجي).

(٥٣٠) صحيح: أخرجه مسلم (٢٦٩٥ فؤاد) (٦٧٢٠ قلعجي) والترمذي (٣٦٠٨).

مِدَادَ كَلِمَاتِهِ» (٥٣١) .

وعن سعد بن أبي وقاص أنه دخل مع رسول الله ﷺ على امرأة وبين يديها نوى أو حصى تسبح به فقال: «**أُخْبِرُكِ بِمَا هُوَ أَيْسَرُ عَلَيْكِ مِنْ هَذَا أَوْ أَفْضَلُ فَقَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ عَدَدَ مَا خَلَقَ فِي السَّمَاءِ، وَسُبْحَانَ اللَّهِ عَدَدَ مَا خَلَقَ فِي الأَرْضِ، وَسُبْحَانَ اللَّهِ عَدَدَ مَا خَلَقَ بَيْنَ ذَلِكَ، وَسُبْحَانَ اللَّهِ عَدَدَ مَا هُوَ خَالِقٌ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ مِثْلُ ذَلِكَ، وَلا إِلَهَ إِلا اللَّهُ مِثْلُ ذَلِكَ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ مِثْلُ ذَلِكَ، وَلا حَوْلَ وَلا قُوَّةَ إِلا بِاللَّهِ مِثْلُ ذَلِكَ**» (٥٣٢) . رواه أبو داود والترمذي، وقال: حديث حسن.

* * *

الفصل الحادي والسبعون
فيما يقال لمن حصل له وحشة

روينا في معجم الطبراني عن البراء بن عازب أن رجلاً اشتكى إلى رسول الله ﷺ الوحشة فقال: «**قُلْ: سُبْحَانَ اللهِ المَلِكِ القُدوسُ، رَبُّ المَلائِكَةِ وَالروحِ، جَلَّلْتَ السمواتُ وَالأرضُ بِالعِزَةِ وَالجَبَرُوتِ**» (٥٣٣) فقالها الرجل فأذهب الله عنه الوحشة.

الفصل الثاني والسبعون
في الذكر الذي يقوله أو يقال له إذا لبس ثوبًا جديدًا

عن أبي نضرة عن أبي سعيد الخدري قال: كان رسول الله ﷺ إذا استجد ثوبًا سماه باسمه قميصًا أو إزارًا أو عمامة يقول: «**اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ كَسَوْتَنِيهِ، أَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِهِ وَخَيْرِ مَا صُنِعَ لَهُ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّهِ وَشَرِّ مَا صُنِعَ لَهُ**» (٥٣٤) . قال أبو نضرة: وكان أصحاب رسول الله ﷺ إذا رأى أحدهم على صاحبه ثوبًا

(٥٣١) صحيح: أخرجه مسلم (٢٧٢٦ فؤاد) (٦٧٨٢ قلعجي) والترمذي (٣٥٦٦) والنسائي (٣/ ٧٧) وابن ماجه (٣٨٠٨).

(٥٣٢) ضعيف: أخرجه أبو داود (١٥٠٠) والترمذي (٣٥٧٩) وفي إسناده رجل مجهول.

(٥٣٣) ضعيف: أخرجه ابن السني في عمل اليوم والليلة ص (٢٢٦) رقم (٦٣٩) وقال محققه: منكر أخرجه العقيلي في الضعفاء (٢/ ٤٦) من طريق محمد بن أبان به، وفي إسنادهما درمك. قال العقيلي: «لا يتابع على حديثه ولا يعرف إلا به». اهـ.

(٥٣٤) صحيح: أخرجه أحمد (٣/ ٣٠) وأبو داود (٤٠٢٠) والترمذي (١٧٧٣) وقال: حسن غريب صحيح. اهـ. والحديث صحيح وكلام أبي نضرة عند أبي داود. وهو عند البيهقي في الشعب كما ذكر المصنف (٥/ ١٨٠) رقم (٦٢٨٤). وقد روى البخاري (٥٩٩٣) أن رسول الله ﷺ قال

قال: تبلى ويخلف الله تعالى. ذكره البيهقي.

وعن سهل بن معاذ بن أنس عن أبيه أن رسول الله ﷺ قال: «**مَنْ لَبِسَ ثَوْبًا فَقَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي كَسَانِي هَذَا الثَّوْبَ وَرَزَقَنِيهِ مِنْ غَيْرِ حَوْلٍ مِنِّي وَلا قُوَّةٍ؛ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ**» (٥٣٥).

* * *

الفصل الثالث والسبعون
فيما يقال عند رؤية الفجر

روى ابن وهب عن سليمان بن بلال عن سهل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة قال: كان رسول الله ﷺ إذا كان في سفر فبدا له الفجر قال: «**سَمِعَ سَامِعٌ بِحَمْدِ اللهِ وَنِعْمَتِهِ وَحُسْنِ بَلائِهِ عَلَيْنَا، رَبَّنَا صَاحِبْنَا؛ أَفْضِلْ عَلَيْنَا عَائِذًا بِاللَّهِ مِنَ النَّارِ**» (٥٣٦) يقول ذلك ثلاث مرات ويرفع بها صوته. هذا إسناد صحيح على شرط مسلم.

* * *

الفصل الرابع والسبعون
في التسليم للقضاء والقدر، بعد بذل الجهد في تعاطي ما أمر به من الأسباب

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَقَالُواْ لِإِخْوَٰنِهِمْ إِذَا ضَرَبُواْ فِي ٱلْأَرْضِ أَوْ كَانُواْ غُزًّى لَّوْ كَانُواْ عِندَنَا مَا مَاتُواْ وَمَا قُتِلُواْ لِيَجْعَلَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ وَٱللَّهُ يُحْيِۦ وَيُمِيتُ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [آل عمران: ١٥٦] نهى سبحانه عباده أن يتشبهوا بالقائلين: لو كان كذا وكذا لما وقع قضاؤه بخلافه. وقال النبي ﷺ: «**وَإِيَّاكَ وَاللَّوْ، فَإِنَّ اللَّوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ**» (٥٣٧).

لأم خالد بنت سعيد بن العاص وهي صغيرة وقد لبست ثوبًا جديدًا: «أبلي واخلقي ثم أبلي واخلقي، ثم أبلي واخلقي».

(٥٣٥) ضعيف: أخرجه أبو داود (٤٠٢٣) وفي إسناده أبو مرحوم عبد الرحيم بن ميمون ضعفه ابن معين وقال أبو حاتم: يكتب حديثه ولا يحتج به.

(٥٣٦) صحيح: أخرجه مسلم (٢٧١٨ فؤاد) (٦٧٦٩ قلعجي) وأبو داود (٥٠٨٦) وليس في روايتهما: «ثلاث مرات ويرفع بها صوته».

(٥٣٧) أخرجه ابن ماجه (٤١٦٨) وأحمد (٢/ ٣٦٦، ٣٧٠) من حديث أبي هريرة بإسناد

وقال أبو هريرة: قال النبي ﷺ: «الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ، وَفِي كُلٍّ خَيْرٌ، احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ وَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ وَلا تَعْجَزْ، وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ فَلا تَقُلْ: لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَانَ كَذَا وَكَذَا وَلَكِنْ قُلْ: قَدَرُ اللَّهِ وَمَا شَاءَ فَعَلَ، فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ»(٥٣٨) رواه مسلم.

وعن عوف بن مالك أن النبي ﷺ قضى بين رجلين، فقال المقضي عليه لما أدبر: حسبنا الله ونعم الوكيل. فقال النبي ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ يَلُومُ عَلَى الْعَجْزِ وَلَكِنْ عَلَيْكَ بِالْكَيْسِ فَإِذَا غَلَبَكَ أَمْرٌ فَقُلْ: حَسْبِيَ اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ»(٥٣٩).

فنهى النبي ﷺ أن يقول عند جريان القضاء ما يضره ولا ينفعه، وأمره أن يفعل من الأسباب ما لا غنى له عنه، فإن أعجزه القضاء قال: حسبي الله، فإذا قال: حسبي الله بعد تعاطي ما أمره من الأسباب، قالها وهو محمود فانتفع بالفعل والقول، وإذا عجز ترك الأسباب وقالها، قالها وهو ملوم بترك الأسباب التي اقتضتها حكمة الله عز وجل، فلم تنفعه الكلمة نفعها لمن فعل ما أمره به.

* * *

الفصل الخامس والسبعون

في جوامع أدعية النبي ﷺ وتعوذاته لا غنى للمرء عنها.

قالت عائشة: كان النبي ﷺ يحب الجوامع من الدعاء ويدع ما بين ذلك(٥٤٠).

وفي المسند والنسائي وغيرهما أن سعدًا سمع ابنًا له يقول: اللهم إني أسألك الجنة وغرفها وكذا وكذا، وأعوذ بك من النار، وأغلالها وسلاسلها، فقال سعد رضي الله عنه: لقد سألت الله خيرًا كثيرًا وتعوذت من شر كثير، وإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «سَيَكُونُ قَوْمٌ يَعْتَدُونَ فِي الدُّعَاءِ». وبحسبك أن تقول: اللهم إني أسألك من الخير كله ما علمتُ منه وما لم أعلم، وأعوذ بك من الشر كله ما علمتُ منه وما لم أعلم(٥٤١).

حسن.

(٥٣٨) صحيح: أخرجه مسلم (٢٦٦٤ فؤاد) (٦٦٤٩ قلعجي) وابن ماجه (٧٩).

(٥٣٩) ضعيف الإسناد: أخرجه أبو داود (٣٦٢٧) وأحمد (٦/ ٢٥) ولكنه من رواية بقية بن الوليد، وهو يدلس تدليس تسوية، ولم يصرح بالتحديث في كل طبقات السند.

(٥٤٠) صحيح: أخرجه أبو داود (١٤٨٢) وأحمد (٦/ ١٨٩) من حديث عائشة مرفوعًا وهو حديث صحيح.

(٥٤١) ضعيف: أخرجه أحمد (١/ ١٧٢، ١٨٣) واللفظ له وأبو داود (١٤٨٠) بدون قوله:

وفي مسند الإمام أحمد وسنن النسائي عن ابن عباس قال: كان من دعاء النبي ﷺ: «**رَبِّ أَعِنِّي وَلا تُعِنْ عَلَيَّ، وَانْصُرْنِي وَلا تَنْصُرْ عَلَيَّ، وَامْكُرْ لِي وَلا تَمْكُرْ عَلَيَّ، وَاهْدِنِي وَيَسِّرْ الْهُدَى إِلَيَّ، وَانْصُرْنِي عَلَى مَنْ بَغَى عَلَيَّ، رَبِّ اجْعَلْنِي لَكَ شَكَّارًا لَكَ ذَكَّارًا لَكَ رَهَّابًا لَكَ مِطْوَاعًا إِلَيْكَ مُخْبِتًا لَكَ أَوَّاهًا مُنِيبًا، رَبِّ تَقَبَّلْ تَوْبَتِي وَاغْسِلْ حَوْبَتِي، وَأَجِبْ دَعْوَتِي، وَثَبِّتْ حُجَّتِي، وَاهْدِ قَلْبِي، وَسَدِّدْ لِسَانِي، وَاسْلُلْ سَخِيمَةَ قَلْبِي**»(٥٤٢). هذا حديث صحيح. ورواه الترمذي، وحسنه وصححه.

وفي الصحيحين من حديث أنس بن مالك قال: كنت أخدم النبي ﷺ فكنت أسمعه يكثر أن يقول: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْهَمِّ وَالْحَزَنِ، وَالْعَجْزِ وَالْكَسَلِ، وَالْجُبْنِ وَالْبُخْلِ، وَضَلَعِ الدَّيْنِ وَغَلَبَةِ الرِّجَالِ**»(٥٤٣).

وفي صحيح مسلم عن زيد بن أرقم رضي الله عنه قال: لا أقول لكم إلا كما كان رسول الله ﷺ يقول. كان يقول: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْعَجْزِ وَالْكَسَلِ، وَالْجُبْنِ وَالْبُخْلِ، وَالْهَرَمِ وَعَذَابِ الْقَبْرِ، اللَّهُمَّ آتِ نَفْسِي تَقْوَاهَا وَزَكِّهَا أَنْتَ خَيْرُ مَنْ زَكَّاهَا أَنْتَ وَلِيُّهَا وَمَوْلاهَا، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ قَلْبٍ لا يَخْشَعُ، وَنَفْسٍ لا تَشْبَعُ، وَعِلْمٍ لا يَنْفَعُ، وَدَعْوَةٍ لا يُسْتَجَابُ لَهَا**»(٥٤٤).

وبحسبك... إلخ. وقد اختلف فيه على شعبة عن زياد بن مخراق عن أبي نعامة، فرواه بعضهم عن ابن لسعد عن أبيه، وبعضهم عن مولى لسعد عن سعد، وبعضهم عن مولى لسعد عن ابن لسعد. ومولى سعد لا يعرف، والحديث ضعفه الإمام كما في التهذيب (٣/ ٣٨٣).

قلت: وهي رواية معلولة بما رواه ابن ماجه (٣٨٦٤) من طريق حماد بن سلمة عن الجريري عن أبي نعامة أن عبد الله بن مغفل، وهذا إسناد رجاله ثقات، ولكنه منقطع بين أبي نعامة وعبد الله بن مغفل، فالحديث ضعيف.

(٥٤٢) صحيح: أخرجه أحمد (١/ ٢٢٧) وأبو داود (١٥١٠) والترمذي (٣٥٦٢) وابن ماجه (٣٨٣٠) وهو حديث صحيح. وقد وقع في إسناده عند ابن ماجه وَهْمٌ (من وكيع أو علي بن محمد) في الشيخ عبد الله بن الحارث: قيس بن طلق الحنفي. هكذا في ابن ماجه. وإنما هو طليق بن قيس. وهو ثقة.

وقوله: حوبتي: يعني إثمي. واسلل: انزع. سخيمة: الحقد والضغينة.

(٥٤٣) أصل الحديث في الصحيحين: فأخرجه البخاري (٦٣٦٧) ومسلم (٢٧٠٦ فؤاد) (٦٧٤٣ قلعجي) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه مرفوعًا. لكن من غير قوله: «ضلع الدين وغلبة الرجال» وهذه الزيادة أخرجها النسائي (٨/ ٢٥٨) من طريق سعيد بن سلمة، وقال النسائي عقب الحديث: سعيد بن سلمة شيخ ضعيف، وإنما أخرجناه للزيادة في الحديث. اهـ.

(٥٤٤) صحيح: أخرجه مسلم (٢٧٢٢ فؤاد) (٦٧٧٥ قلعجي) والنسائي (٨/ ٢٨٥).

وفي الصحيحين عن عائشة رضي الله تعالى عنها أن رسول الله ﷺ كان يدعو: **«اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْمَأْثَمِ وَالْمَغْرَمِ»** فقال قائل: ما أكثر ما تستعيذ من المغرم؟ قال: **«إِنَّ الرَّجُلَ إِذَا غَرِمَ حَدَّثَ فَكَذَبَ، وَوَعَدَ فَأَخْلَفَ»** (٥٤٥).

وفي صحيح مسلم عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: كان من دعاء النبي ﷺ: **«اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ زَوَالِ نِعْمَتِكَ وَتَحَوُّلِ عَافِيَتِكَ وَمِنْ فُجَاءَةِ نِقْمَتِكَ وَمِنْ جَمِيعِ سَخَطِكَ»** (٥٤٦).

وفي الترمذي عن عائشة قالت: قلت: يا رسول الله، إن وافقتُ ليلة القدر ما أسأل؟ قال: **«قُولِي: اللَّهُمَّ إِنَّكَ عُفُوٌّ تُحِبُّ الْعَفْوَ فَاعْفُ عَنِّي»** (٥٤٧). قال الترمذي: صحيح.

وفي مسند الإمام أحمد: عن أبي بكر الصديق عن النبي ﷺ أنه قال: **«عَلَيْكُمْ بِالصِّدْقِ فَإِنَّهُ مَعَ الْبِرِّ وَهُمَا فِي الْجَنَّةِ، وَإِيَّاكُمْ وَالْكَذِبَ فَإِنَّهُ مَعَ الْفُجُورِ وَهُمَا فِي النَّارِ، وَسَلُوا اللَّهَ الْمُعَافَاةَ، فَإِنَّهُ لَمْ يُؤْتَ رَجُلٌ بَعْدَ الْيَقِينِ خَيْرًا مِنَ الْمُعَافَاةِ»** (٥٤٨).

وفي صحيح الحاكم عن ابن عمر عن النبي ﷺ قال: **«مَا سُئِلَ اللَّهُ عَز وَجل شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ أَنْ يُسْأَلَ الْعَافِيَةَ»** (٥٤٩).

وذكر الفريابي في كتاب الذكر من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: أي الدعاء أفضل؟ قال: **«تَسْأَلُ اللهَ الْعَفْوَ وَالْعَافِيَةَ فَإِذَا أُعْطِيتَ ذَلِكَ فَقَدْ أَفْلَحْتَ»** (٥٥٠).

---

(٥٤٥) صحيح: أخرجه البخاري (٨٣٢) ومسلم (٥٨٩ فؤاد) (١٣٠٢ قلعجي).

(٥٤٦) صحيح: أخرجه مسلم (٢٧٣٩ فؤاد) (٦٨١٠ قلعجي) وأبو داود (١٥٤٥).

(٥٤٧) منقطع: أخرجه الترمذي (٣٥٢٤) وابن ماجه (٣٨٥٠) من حديث عبد الله بن بريدة عن عائشة مرفوعًا. ورجاله ثقات، لكن قال الدارقطني في السنن (٣٠/ ٢٣٣) «ابن بريدة لم يسمع من عائشة شيئًا».

(٥٤٨) صحيح: أخرجه أحمد (١/ ٥-٧) وابن ماجه (٣٨٤٩) وهو صحيح.

(٥٤٩) ضعيف: أخرجه الترمذي (٣٥٢٦) وقال: هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث عبد الرحمن ابن أبي بكر المليكي. اهـ. وهو ضعيف.

(٥٥٠) ضعيف: أخرجه الترمذي (٣٥٢٣) وقال: حسن غريب. وابن ماجه (٣٨٤٨) وفي

وفي الدعوات للبيهقي عن معاذ بن جبل قال: مر رسول الله ﷺ برجل يقول: اللهم إني أسألك الصبر، قال **«سَأَلْتَ اللهَ الْبَلاءَ فَسَلْ اللَّهَ الْعَافِيَةَ»** ومر برجل يقول: اللهم إني أسألك تمام النعمة. فقال: **«ومَا تَمَامُ النِّعْمَةِ ؟»** قال: سألت وأنا أرجو الخير. قال له: **«تَمَامُ النِّعْمَةِ الفَوْزُ**(٥٥١) **مِنْ النَّارِ وَدُخُولُ الْجَنَّةِ»**(٥٥٢).

وفي صحيح مسلم عن أبي مالك الأشجعي رضي الله تعالى عنه قال: كان رسول الله ﷺ يعلم من أسلم أن يقول: **«اللَّهُمَّ اهْدِنِي، وَارْزُقْنِي، وَعَافِنِي، وارْحَمْنِي»**(٥٥٣).

وفي المسند عن بسر بن أرطاة رضي الله تعالى عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«اللَّهُمَّ أَحْسِنْ عَاقِبَتَنَا فِي الأُمُورِ كُلِّهَا، وَأَجِرْنَا مِنْ خِزْيِ الدُّنْيَا وَعَذَابِ الآخِرَةِ»**(٥٥٤).

وفي المسند وصحيح الحاكم عن ربيعة بن عامر عن النبي ﷺ: **«أَلِظُّوا**(٥٥٥) **بِـ«يَا ذَا الْجَلالِ وَالإِكْرَامِ»**(٥٥٦). أي: الزموها وداوموا عليها.

وفي صحيح الحاكم أيضًا عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: **«أَتُحِبُّونَ أَيُّهَا النَّاسُ أَنْ تَجْتَهِدُوا فِي الدُّعَاءِ؟»** قالوا: نعم يا رسول الله. قال: **«قُولُوا: اللَّهُمَّ أَعِنَّا عَلَى شُكْرِكَ وَذِكْرِكَ وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ»**(٥٥٧). وفي الترمذي وغيره أن النبي ﷺ أوصى معاذًا أن يقولها دبر كل صلاة(٥٥٨).

وفي صحيحه أيضًا عن أنس قال: كنا مع النبي ﷺ في حلقة، ورجل قائم

إسناده: سلمة بن وردان ضعيف.

(٥٥١) فاز منه: نجا. القاموس ص (٥٢٠)

(٥٥٢) صحيح: أخرجه الترمذي (٣٥٣٨) وهو حديث صحيح.

(٥٥٣) صحيح: أخرجه مسلم (٢٦٩٧ فؤاد) (٦٧٢٢ قلعجي) عن ابن مالك الأشجعي عن أبيه مرفوعًا.

(٥٥٤) ضعيف: أخرجه أحمد (٤/ ١٨١) من طريق محمد بن أيوب بن ميسرة بن حلبس عن أبيه. وأيوب مجهول، ترجمته في الجرح والتعديل (٢/ ٢٥٧) رقم (٩١٨).

(٥٥٥) ألظ: لازم، وداوم. القاموس المحيط ص (٦٩٨).

(٥٥٦) صحيح: أخرجه أحمد (٤/ ١٧٧) والحاكم (١/ ٤٩٨) عن ربيعة بن عامر وهو صحيح ورواه الترمذي (٣٥٣٥ - ٣٥٣٦) من حديث أنس.

(٥٥٧) صحيح: أخرجه أحمد (٢/ ٢٩٩) والحاكم (١/ ٤٩٩) من حديث أبي هريرة مرفوعًا. وهو حديث صحيح.

(٥٥٨) صحيح: أخرجه أبو داود (١٥٢٢) والنسائي (٣/ ٥٣) وهو صحيح.

يصلي، فلما ركع وسجد تشهد ودعا فقال في دعائه: اللهم إني أسألك بأن لك الحمد لا إله إلا أنت بديع السموات والأرض يا ذا الجلال والإكرام يا حي يا قيوم. فقال النبي ﷺ: **«لَقَدْ سَأَلَ اللَّهَ بِاسْمِهِ الأَعْظَمِ الَّذِي إِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ وَإِذَا سُئِلَ بِهِ أَعْطَى»** (٥٥٩).

وفي المسند وصحيح الحاكم أيضًا عن شداد بن أوس رضي الله عنه قال: قال لي رسول الله: **«يَا شَدَّادُ إِذَا رَأَيْتَ النَّاسَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ فَاكْنِزْ هَؤُلاءِ الْكَلِمَاتِ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الثَّبَاتَ فِي الأَمْرِ، وَالْعَزِيمَةَ عَلَى الرُّشْدِ، وَأَسْأَلُكَ شُكْرَ نِعْمَتِكَ، وَحُسْنَ عِبَادَتِكَ، وَأَسْأَلُكَ قَلْبًا سَلِيمًا، وَلِسَانًا صَادِقًا، وَأَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ مَا تَعْلَمُ وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا تَعْلَمُ وَأَسْتَغْفِرُكَ لِمَا تَعْلَمُ إِنَّكَ أَنْتَ عَلامُ الْغُيُوبِ»** (٥٦٠).

وفي الترمذي أن حصين بن المنذر الخزاعي رضي الله عنه قال له النبي ﷺ: **«كَمْ إِلَهًا تَعْبُدُ ؟»** قال: سبعة: ستة في الأرض، وواحدًا في السماء. قال: **«فَمَنْ تَعُدُّ لِرَغْبَتِكَ وَرَهْبَتِكَ؟»** قال: الذي في السماء. قال: **«أَمَا لَوْ أَسْلَمْتَ لَعَلَّمْتُكَ كَلِمَتَيْنِ تَنْفَعَانِكَ»**. فلما أسلم قال: يا رسول الله، علمني الكلمتين، قال: قل: **«اللَّهُمَّ أَلْهِمْنِي رُشْدِي وَقِنِي شَرَّ نَفْسِي»** (٥٦١). حديث صحيح.

وزاد الحاكم فيه في صحيحه: **«اللَّهُمَّ قِنِي شَرَّ نَفْسِي وَاعْزِمْ لِي عَلَى أَرْشَدِ أَمْرِي اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ وَمَا أَخْطَأْتُ وَمَا عَمَدْتُ وَمَا عَلِمْتُ وَمَا جَهِلْتُ»** (٥٦٢).

وإسناده على شرط الصحيحين.

وفي صحيح الحاكم عن عائشة قالت: دخل علي أبو بكر رضي الله عنه فقال:

---

(٥٥٩) صحيح: أخرجه أبو داود (١٤٩٥) والترمذي (٣٥٥٥) والنسائي (٣/ ٥٢) وابن ماجه (٣٨٥٨).

(٥٦٠) صحيح: أخرجه أحمد (٤/ ١٢٣) وبنحوه (٤/ ١٢٥) الترمذي (٣٤١٨) والنسائي (٣/ ٥٤) وهو صحيح بإسناد أحمد في الموضع الأول فإنه من رواية أحمد عن روح عن الأوزاعي عن حسان بن عطية عن شداد، وهذا إسناد غاية في القوة.

(٥٦١) ضعيف: أخرجه الترمذي (٣٤٩٤) وقال: حسن غريب. ا هـ. وفي إسناده: شبيب بن شيبة التميمي ليس بقوي، والانقطاع بين الحسن وعمران.

(٥٦٢) صحيح: أخرجه أحمد (٤/ ٤٤٤) والحاكم (١/ ٥١٠) وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ولم يتعقبه الذهبي بشيء.

هل سمعت من رسول الله ﷺ دعاء علمنيه ؟ قلت: ما هو؟ قال: كان عيسى بن مريم ﷺ يعلمه أصحابه، قال: «لَوْ كَانَ عَلَى أَحَدِكُمْ جَبَلُ ذَهَبٍ دَيْنًا فَدَعَا الله بِذَلِكَ لَقَضَاهُ اللهُ عَنْهُ: اللَّهُمْ فارِج الهم، كَاشِفَ الغَم، مُجيبَ دَعْوَةَ المضطَّرِينَ، رَحمَنُ الدُنْيا والآخِرَةِ وَرَحِيمُهُمَا، أَنْتَ تَرحَمُنِي فَارْحَمنِي رَحمَةً تُغْنِينِي بِهَا عَنْ رَحمَةِ مِنْ سِواكَ» (٥٦٣) .

وفي صحيحه أيضًا عن أم سلمة عن النبي ﷺ: هذا ما سأل محمدٌ ربَّه: «اللَّهُمَّ إني أَسْأَلُكَ خَيرَ المسأَلَةِ وَخَيرَ الدُعاءِ وَخَيرَ النَّجاحِ وَخَيرَ العَمَلِ وَخَيرَ الثَّوابِ وَخَيرَ الحَيَاةِ وَخَيرَ المماتِ وثَبِّتني وَثقِلْ مَوازِيني وحَقق إيمَانِي وارْفَع دَرَجَتي وتَقبل الخَيرَ وخَواتِمهُ وَأَوَلَه وَآخِرَهُ وظَاهِرُهُ وبَاطِنُهُ والدَرَجَاتِ العُلَى مِنَ الجَنَة آمِينَ. اللَّهُم إني أَسْأَلُكَ خَير ما آتي، وخَيرُ مَا أَفعَل، وخَيرَ مَا بَطَنَ وَخَيرُ مَا ظَهَرَ. اللَّهُمَّ إني أَسْأَلُكَ أَنَ تَرْفَعْ ذِكْرِي وَتَضَعُ وزري وَتُصْلِح أَمْرِي وَتُطَهر قَلْبِي وَتُحَصِّنَ فَرجِي وتُنورَ لي قَلْبِي وَتَغْفِر لي ذَنْبِي. وَأَسْأَلُكَ أَنْ تُبَارِكَ لي فِي نَفْسِي وَفي سَمْعِي وَفِي بَصَرِي وَفي رَوْجِي، وفِي خُلُقِي وفِي أَهْلِي، وفِي مَحيايَ وفي مَمَاتِي، وَفي عَمَلِي، وَتَقَبل حَسَنَاتِي، وأَسْأَلُك الدَّرَجَاتُ العُلَى مِنَ الجَنة آمِين» (٥٦٤) .

وفي صحيحه أيضًا من حديث معاذ قال: أبطأ عنا رسول الله ﷺ بصلاة الفجر حتى كادت أن تدركنا الشمس، ثم خرج فصلى بنا فخفف، ثم أقبل علينا بوجهه فقال: «عَلَى مَكَانِكُمْ أُخبِرُكُم مَا بَطَأَنِي عَنْكُمْ اليَوْمَ: إِنِي صَلَيْتُ فِي لَيلَتِي هَذِهِ مَا شَاءُ الله، ثُمَّ مَلَكَتْنِي عَينِي فَنِمْتُ، فَرَأَيتُ رَبِي تَبَارِكَ وَتعَالى فَأَلْهَمَنِي أَنْ قُلْتُ: اللَّهُمَّ إِني أَسأَلُكَ الطَّيِبَاتِ، وَفِعلَ الخَيراتِ، وَتَركِ المُنْكَرَاتِ وَحُبِ المَسَاكِينَ، وَأَنْ تَتُوبَ عَلَيَّ وتَغْفِرَ لِي وتَرْحَمْنِي. وإذَا أَرَدتَ فِي خَلْقِكَ فِتْنَةً فَنَجِنِي إِلَيكَ مِنهَا غَيرَ مَفْتُونَ. اللَّهُمَّ وَأَسْأَلُكَ حُبَّكَ وحُبَّ مَن يُحِبُكَ وحُبَّ عَمَلٍ يُبَلِّغُنِي إِلَى حُبِّكَ» ثم أقبل رسول الله ﷺ فقال: «تَعَلَّمُوهُنَّ وادْرُسُوهُن

(٥٦٣) ضعيف: أخرجه الحاكم في المستدرك (١/ ٥١٥) وقال: قد احتج البخاري بعبد الله ابن عمر النميري، وهذا حديث صحيح غير أنهما لم يحتجا بالحكم بن عبد الله الأيلي. ا هـ. وتعقبه الذهبي بقوله الحكم ليس بثقة.

(٥٦٤) ضعيف: أخرجه الحاكم في المستدرك (١/ ٥٢٠) وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي على تصحيحه. وهو من طريق عاصم بن أبي عبيد عن أم سلمة مرفوعًا. ولكن عاصم مجهول الحال.

فَإِنَّهُنَّ حَقٌّ»(٥٦٥) ، ورواه الترمذي والطبراني وابن خزيمة وغيرهم بألفاظ أخر.

وفي صحيح الحاكم أيضًا عن ابن عباس قال: كان النبي ﷺ يدعو: «اللَّهُمَّ مَتِّعْنِي بِمَا رَزَقْتَنِي، وبَارِكْ لِي فِيهِ واخْلُفْ عَلَيَّ كُلَّ غَائِبَةٍ لِي بِخَيْرٍ»(٥٦٦) .

وفيه عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ كان يقول: «اللَّهُمَّ انْفَعْنِي بِمَا عَلَّمْتَنِي وَعَلِّمْنِي مَا يَنْفَعُنِي وَارزُقني عِلْمًا يَنْفَعُني»(٥٦٧) .

وفيه أيضًا عن عائشة أن رسول الله ﷺ أمرها أن تدعو بهذا الدعاء: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنَ الْخَيْرِ كُلِّهِ عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ مَا عَلِمْتُ مِنْهُ وَمَا لَمْ أَعْلَمْ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الشَّرِّ كُلِّهِ عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ مَا عَلِمْتُ مِنْهُ وَمَا لَمْ أَعْلَمْ، وأَسْأَلُكَ الْجَنَّةَ وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ النَّارِ وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ، وأَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ مَا سَأَلَكَ عَبْدُكَ وَرَسُولُكَ محمد وَأَسْأَلُكَ مَا قَضَيتَ لِي مِنْ أَمْرٍ أَنْ تَجْعَلَ عَاقِبَتَه رُشْدًا»(٥٦٨) .

وفيه عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ أوصى سلمان الخير فقال له: «إني أُرِيدُ أَنْ أَمْنَحَكَ كَلِمَاتٍ تَسْأَلُهُنَّ الرَّحْمَنَ، وتَرْغَبُ إِلَيْهِ فِيهِنَّ، وَتَدْعُو بِهِنَّ في اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ. قُلِ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ صِحَّةً في إِيمَانٍ، وَإِيمَانًا فِي خُلُقٍ حَسَنٍ، وَنَجَاحًا يَتْبَعُهُ فَلاحٌ وَرَحْمَةً مِنْكَ وَعَافِيَةً، وَمَغْفِرَةً مِنْكَ وَرِضْوَانًا»(٥٦٩) .

وفيه أيضًا عن أم سلمة عن النبي ﷺ أنه كان يدعو بهؤلاء الدعوات: «اللَّهُمَّ أَنْتَ الأَولُ لا شَيءَ قَبْلَكَ، وأَنْتَ الآخِرُ لا شَيءَ بَعدَكَ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ كُلِّ دَابةٍ نَاصِيَتُهَا بِيَدِكَ، وأَعُوذُ بِكَ مِنَ الإِثْمِ والكَسَلِ، وَمِنْ عَذَابِ القَبْرِ، ومَنْ فِتنةِ

(٥٦٥) أخرجه الحاكم في المستدرك (١/ ٥٢١).

(٥٦٦) ضعيف الإسناد: أخرجه الحاكم (١/ ٥١٠) وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. وقال الذهبي صحيح. ا هـ. وفي إسناده: يحيى بن عمارة الكوفي، قال فيه الحافظ في التقريب: مقبول. يعني إذا توبع وإلا فلين.

(٥٦٧) أخرجه الترمذي (٣٦١٠) وابن ماجه (٢٥١) وقال الترمذي: حسن غريب من هذا الوجه. ا هـ. وفي إسناده: موسى بن عبيدة ضعيف. أخرجه الحاكم (١/ ٥١٠) قال: صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه. ولم يتعقبه الذهبي بشيء. وفي إسناده: أسامة بن زيد إن كان العدوي فهو ضعيف وإن كان الليثي فالحديث حسن.

(٥٦٨) صحيح الإسناد: أخرجه الحاكم (١/ ٥٢١) وهو عند أحمد (٦/ ١٣٤) وابن ماجه (٣٨٤٦) من حديث عائشة رضي الله عنها مرفوعًا، وهو حديث صحيح الإسناد.

(٥٦٩) ضعيف: أخرجه أحمد (٢/ ٣٢١) والحاكم (١/ ٥٢٣) وقال الحاكم: صحيح الإسناد ولم يخرجاه. وسكت عليه الذهبي. وفي إسناده عبد الله بن الوليد التجيبي ليس بالقوي.

الغِنى وَمِنْ فِتْنَةِ الفَقْرِ، وأَعُوذُ بِكَ مِنَ المأْثَم والمَغْرَم. اللَّهُمَّ نَقِّ قَلْبِي مِنَ الخَطَايا كَمَا نَقيْتَ الثَّوْبَ الأَبيَض مِنَ الدَّنَسِ، اللَّهُمَ بَعِّد بَينِي وبَينَ خَطِيئتي كَمَا بَعَدتَ بَيْنَ المَشْرِقِ والمَغْرِبِ» (٥٧٠).

وفي مسند الإمام أحمد وصحيح الحاكم أيضًا عن عمار بن ياسر رضي الله عنه أنه صلى صلاة أوجز فيها، فقيل له في ذلك، فقال: لقد دعوت الله فيها بدعوات سمعتهن من رسول الله ﷺ: «اللَّهُمَّ بِعِلْمِكَ الْغَيبَ والشَّهَادَة وَقُدْرَتِكَ عَلَى الْخَلْقِ أَحْيِنِي مَا عَلِمْتَ الْحَيَاة خَيرًا لِي اللهم وأَسْأَلُكَ خَشْيَتَكَ فِي الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ وأَسْأَلُكَ كَلِمَةَ الْحَقِّ فِي الْغَضَبِ وَالرِّضَا وأَسْأَلُكَ الْقَصْدَ فِي الْفَقْرِ وَالْغِنَى، وأَسألُكَ نَعِيمًا لا يَنفَدُ، وَأَسألُكَ قُرَةَ عَينٍ لا تَنْقَطِع، وَأَسألُكَ الرِّضَا بَعْدَ القَضَاءِ، وَأَسألُكَ بَرْدَ العَيْشِ بَعْدَ المَوتِ، وأَسْأَلُكَ لَذَّةَ النَّظَرِ إِلَى وَجْهِكَ وأَسْأَلُكَ الشَّوْقَ إِلَى لِقَائِكَ مِنْ غيرِ ضَرَّاءَ مُضِرَّةٍ وَلا فِتْنَةٍ مُضِلَّةٍ، اللَّهُمَّ زَيِّنَّا بِزِينَةِ الإِيمَانِ، وَاجْعَلْنَا هُدَاةً مُهْتَدِينَ» (٥٧١).

وفي صحيح الحاكم أيضًا عن ابن مسعود قال: كان من دعاء رسول الله ﷺ: «اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ مُوجِبَاتِ رَحْمَتِكَ، وَعَزَائِمَ مَغْفِرَتِكَ، وَالسَّلامَةَ مِنْ كُلِّ إِثْمٍ، وَالْغَنِيمَةَ مِنْ كُلِّ بِرٍّ، وَالفوزَ بِالجَنَّةِ وَالنَّجَاةَ مِنَ النَّارِ» (٥٧٢).

وفيه أيضًا عن رسول الله ﷺ أنه كان يدعو: «اللَّهُمَّ احفَظْنِي بالإِسْلام قَائِمًا، واحفَظْنِي بالإِسْلام قَاعِدًا، واحفَظْنِي بالإِسْلام رَاقِدًا، ولا تُشْمِتْ بِيَ عَدُوًّا حَاسِدًا، اللَّهُمَّ إِني أَسْأَلُك مِن خَيرِ خَزَائِنُهُ بِيَدِكَ، وأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِ خَزَائِنُه بِيَدِكَ» (٥٧٣).

وعن النواس بن سمعان قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «مَا مِنْ قَلْبٍ إلا

(٥٧٠) ضعيف: أخرجه الحاكم (١/ ٥٢٤) قال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه. قال الذهبي صحيح. ا هـ. وفي إسناده: عاصم بن أبي عبيد مجهول الحال.

(٥٧١) حسن: أخرجه أحمد (٤/ ٢٦٤) والنسائي (٣/ ٥٥)، وهو عند الحاكم (١/ ٥٢٤).

(٥٧٢) ضعيف: أخرجه الترمذي (٤٧٨) وابن ماجه (١٣٨٤) في حديث صلاة الحاجة وقال الترمذي: هذا حديث غريب في إسناده مقال. ا هـ. والحديث ضعيف في إسناده فائد بن عبد الرحمن أبي الورقاء، تركوه. وأخرجه الحاكم (١/ ٥٢٥) وفي إسناده حميد بن عطاء الأعرج ضعيف.

(٥٧٣) صححه الألباني: أخرجه الحاكم (١/ ٥٢٥) من حديث أبي الصهباء عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن أبي مسعود عن النبي ﷺ وقال الحاكم: صحيح على شرط البخاري ولم يخرجاه، وتعقبه الذهبي بقوله: أبو الصهباء لم يخرج له البخاري. ا هـ. والحديث صححه الألباني في الصحيحة (١٥٤٠).

بَيْنَ أُصْبُعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ رَبِّ الرَّحْمَنِ إِنْ شَاءَ أَقَامَهُ وَإِنْ شَاءَ أَزَاغَهُ». وكان رسول الله ﷺ يقول: «**يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ، وَالْمِيزَانُ بِيَدِ الرَّحْمَنِ عَزَّ وَجَلَّ يَرْفَعُ أَقْوامًا وَيَخْفِضُ آخَرِين إِلى يَوْمِ الْقِيَامَةِ**» (٥٧٤). حديث صحيح رواه الإمام أحمد والحاكم في صحيحه.

وفي صحيح الحاكم أيضًا عن ابن عمر أنه لم يكن يجلس مجلسًا - كان عنده أحد أو لم يكن - إلا قال: «**اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ ومَا أَخَّرتُ، ومَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ وَمَا أَسْرَفْتُ، وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي. اللَّهُمَّ ارْزُقْنِي مِنْ طَاعَتِكَ مَا تَحُولُ بِهِ بَيْنِي وبَيْنَ مَعْصِيَتِكَ، وارْزُقْنِي مِنْ خَشْيَتِكَ مَا تُبَلِّغُنِي بِهِ رَحْمَتِكَ، وارْزُقْنِي مِنَ الْيَقِينِ مَا تُهَوِّنُ بِهِ عَلَيَّ مَصَائِبَ الدُّنْيَا، وبَارِكْ لِي فِي سَمْعِي وبَصَرِي، واجْعَلْهُمَا الوَارِثَ مِنِّي. اللَّهُمَّ اجْعَلْ ثَأْرِي عَلَى مَنْ ظَلَمَنِي، وانْصُرنِي عَلَى مَنْ عَادَانِي، ولا تَجْعَلِ الدُّنْيَا أَكْبَرَ هَمِّي ولا مَبْلَغَ عِلْمِي. اللَّهُمَّ لا تُسَلِّطْ عَلَيَّ مَنْ لا يَرْحَمُنِي**». فسئل عنهن ابن عمر فقال: كان رسول الله ﷺ يختم بهن مجلسه (٥٧٥).

والحمد لله رب العالمين حمدًا طيبًا مباركًا فيه كما يحب ربنا ويرضى، وكما ينبغي لكرم وجهه وعز جلاله، ملء سمواته وملء أرضه وملء ما بينهما وملء ما شاء من شيء بعد، حمدًا لا ينقطع ولا يبيد ولا يفنى، عدد ما حمده الحامدون، وعدد ما غفل عن ذكره الغافلون. وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد خاتم أنبيائه ورسله، وخيرته من بريته، وأمينه على وحيه، وسفيره بينه وبين عباده، فاتح أبواب الهدى، ومخرج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم إلى صراط العزيز الحميد، الذي بعثه للإيمان مناديًا، وإلى الصراط المستقيم هاديًا، وإلى جنات النعيم داعيًا، وبكل المعروف آمرًا، وعن كل منكر ناهيًا، فأحيا به القلوب بعد مماتها، وأنارها بعد ظلماتها، وألف بينها بعد شتاتها، فدعا إلى الله عز وجل على بصيرة بالحكمة والموعظة الحسنة، وجاهد في الله تعالى حق جهاده، حتى عُبِدَ اللهُ وحده لا شريك له، وسارت دعوته سيرة الشمس في الأقطار، وبلغ دينه الذي ارتضاه لعباده

(٥٧٤) صحيح: أخرجه أحمد (٤/ ١٨٢) وابن ماجه (١٩٩) والحاكم (١/ ٥٢٥) من حديث النواس ابن سمعان، والحديث صحيح.

(٥٧٥) حسن الإسناد: أخرجه الحاكم في المستدرك (١/ ٥٢٨) من حديث ابن عمر مرفوعًا وقال: هذا حديث صحيح على شرط البخاري ولم يخرجاه.



ما بلغ الليل والنهار، وصلى الله عز وجل وملائكته وجميع خلقه عليه كما عرف بالله تعالى ودعا إليه، وسلم تسليمًا.

* * *

الفهرس

بيضاء

* * *